

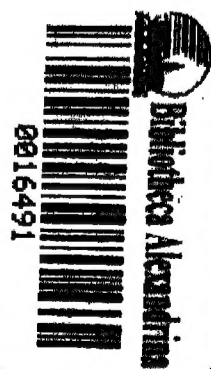
١١٧

تاريخ القضاء في مصر العثمانية

(١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبد الرزاق إبراهيم عيسى

المكتبة المصرية
للدراسات والبحوث



تاريخ القضاء في مصر العثمانية

(١٧٩٨ - ١٥١٧)

(١١٧)

تاريخ المصريين

• تاريخ المصريين

رئيس مجلس إدارة:

د. سمير سرمد

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر من

الهيئة المصرية العامة للكتاب



تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨)

عبدالرازق ابراهيم عيسى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

١٩٩٨

تقديم

بفلم : رئيس التحرير

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذه الدراسة عن « تاريخ القضاء في مصر العثمانية » التي كتبها الأستاذ عبد الرزاق إبراهيم عيسى . والدراسة في الأصل رسالة أعدها الباحث للحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت إشراف الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى والدكتورة هاجدة مخلوف ، ومن ثم فهي تنطبق عليها مقاييس الدراسة العلمية الأكاديمية .

وموضوع القضاء في مصر العثمانية من الموضوعات التي لم تلق عليها أضواء كافية ، على الرغم من أن مصر كانت تحت السيادة العثمانية منذ فتح سليم الأول سنة ١٥١٧ حتى الحرب العالمية الأولى من الناحية القانونية ، أو حتى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ من الناحية الفعلية . وفي أثناء ذلك كان

القضاء في مصر ينبع الدولة العثمانية ، وينم تعيين قضاة مصر
من قاضى عسكر الأناضول .

وقد قام الباحث بدراسة هذا الموضوع المهم ، فقسمه الى
خمسة فصول ، عالج في الفصل الأول نظام القضاء في الدولتين
المملوكية والعثمانية ، وعقد مقارنة بين النظامين لتوضيح التغيرات
التي طرأت على أوضاع القضاء والقضاة وفقا لهذه المتغيرات
السياسية .

أما الفصل الثانى ، فتناول فيه الاختصاصات القضائية في
مصر في العصر العثماني ، وحدودها ، وتوزعها بين القضاة من جهة
والوالي العثماني من جهة أخرى ، والفئات التي كانت تتمتع
بالسيادة القضائية وتخضع للولاية القضائية للقضاة .

وفي الفصل الثالث تناول الدور الإدارى والسياسى للقضاة ،
واختصاصات « قاضى عسكر » ، الذى هو رئيس الهيئة القضائية
في القاهرة ، واختصاصات قضاة الترع في الأقاليم . كما تناول
الدور السياسى للقضاة في فتنة السباهية وكذلك فتنة أفرنج أحمد .

أما الفصل الرابع فتناول فيه الباحث الحياة الاجتماعية
والاقتصادية للقضاة ، وأصولهم الطبقية ، وحياتهم العلمية ،

وفي الفصل الخامس تناول الجهاز المعاون للقضاة من الشهود
والكتبة والوكلاء والخبراء وأمناء السجلات والانكشارية والمحضرين

والمفتين والاختصاصات المنوطة بكل منهم وقد اعتمد الباحث على المصادر الأولية الممثلة في الوثائق غير المنشورة والموجودة في الشهر العقارى ودار الوثائق القومية ودار المحفوظات العمومية بالقلعة وغيرها .

والبحث على هذا النحو يمثل اضافة مهمة لتاريخ مصر وللمكتبة العربية ولسلسلة « تاريخ المصريين » ، وهو جدير بالقراءة .

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

المقدمة

بالرغم من ظهور بعض الدراسات العلمية التي تناولت جوانب مختلفة من العصر العثماني فما زال هناك العديد من الجوانب التي يكتنفها الغموض ولاسيما في النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، فموضوع هذا البحث هو القضاة في مصر في العصر العثماني ١٥١٧ : ١٧٩٨ م .

ومما حفزني على دراسة هذا الموضوع أنه بالرغم من وجود دراسات علمية تناولت القضاة وأوضاعهم وأحوالهم في العصر المملوكي وكذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد أهمل تاريخ القضاة وأوضاعهم واختصاصاتهم في العصر العثماني ولم تظهر عنهم سوى اشارات قليلة في بعض الكتابات المتعلقة بذلك العصر بوجه عام . كما ساد الاعتقاد بتدهور أوضاع القضاة في هذه الفترة وتناولهم الرشاوى وغيرها من الأمراض الاجتماعية .

كما يمثل دراسة موضوع القضاة في مصر أبان العصر العثماني قدرا كبيرا من الأهمية ، وذلك لكون مصر أصبحت مجرد ولاية تابعة للدولة العثمانية بعد أن كانت دولة كبرى . وترتب على هذا الوضع أن أصبح قضاة مصر يصدر قرار تعيينهم من قاضى عسكر الأناضول . كما أن التغييرات التي حدثت في أوضاع القضاة

فى العصر العثمانى من التغيرات النادرة التى أحدثها الفتح العثمانى
لمصر .

ولم يهتم أحد من الرحالة الأجانب أو قناصل الدول الأوربية
فى مصر بوصف اختصاصات القضاة ولا أوضاعهم فى هذه الفترة
وربما كان ذلك بسبب الأحداث السياسية والفرق العسكرية والعرب
وقادة المماليك لارتباط ذلك بأعمالهم التجارية .

ولقد دفعتنى هذه الأسباب الى دراسة هذا الموضوع لمحاو
جلاء غموضه وقسمت البحث الى خمسة فصول وخاتمة .

تناولت فى الفصل الأول القضاة فى الدولتين المملوك
والعثمانية حتى نستطيع موازنة نظم القضاة فى الدولتين
وعرضت لأوضاع واختصاصات القضاة وكذلك لعلاقاتهم بالطبقة
الحاكمة وبالشعب . وذلك حتى يتبين لنا مدى الشبه والاختلاف فى
أوضاع القضاة بعد الفتح العثمانى لمصر .

وفى الفصل الثانى تناولت الاختصاصات القضائية للقضاة
فى مصر حيث تناولت كل قاض على حدة واختصاصاته القضائية
وكذلك كيفية تعيينه ومدة شغل الوظيفة وكذلك مقره . كما تناولت
فى هذا الفصل الاختصاصات القضائية للباشا العثمانى فى مصر
حيث تمتع باختصاصات قضائية تبعا للتقليد الاسلامى لولى الامر
بالفصل فى قضايا الدم والخراج ، واستمر هذا الامر فى الدول
العثمانية . وفى نهاية الفصل قمت بتوضيح أن الولاية القضائية
للقضاة لم تكن شاملة كافة طبقات الشعب فقد استثنى منها الأشراف
الذين تمتع نقيبيهم بنوع من السيادة القضائية عليهم وكذلك فرق
الانكشارية وهناك الأجانب الذين منح قناصلهم نوعا من السيادة
القضائية عليهم تجاه معاهدات الامتيازات المعقودة بين دولهم

والدولة العثمانية ، وهناك أيضا أهل الذمة الذين منح رؤسائهم الروحانيون سلطة فى الأحوال الشخصية .

وتناولت فى الفصل الثالث الدور الادارى والسياسى للقضاة حيث تناولت اختصاصات قاضى عسكر الادارية كالاشراف على التعليم والحياة الدينية وتعيين الموظفين وتعيين مشايخ الطوائف الحرفية . وكذلك تناولت الاختصاصات الادارية لقضاة الشرع فى الأقاليم واشرافهم على الرى والزراعة والجمارك والتعليم والحياة الدينية . وتناولت الدور السياسى للقضاة فى فتنه السباهية وكذلك فتنه أفرنج أحمد .

أما الفصل الرابع فيتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة بدءا من الأصول الاجتماعية للقضاة وعلاقتهم بالطبقة الحاكمة وكذلك بالشعب المصرى . وكذلك تعليم القضاة فى مدارس استانبول حيث وضعت شروط علمية لتولى مناصب القضاة لابد أن يمر بها طالب هذا المنصب اضافة الى ذلك فقد عرض الفصل للانتاج الأدبى للقضاة حيث كان لمعظمهم أشعار وكتب أدبية ودينية باللغتين العربية والتركية . وتناولت فى هذا الفصل الحياة الاقتصادية للقضاة ومقدار الرسوم المالية على القضايا المختلفة وكذلك أوضح المرتبات التى يحصل عليها القضاة سواء المرتبات النقدية أو العينية ويعرض لاشرافهم على الأوقاف ودورهم فى ادارتها والرقابة عليها ، تلك الرقابة التى وفرت دورا مهما للأوقاف للقيام بدورها المهم الذى رصدت من أجله .

ويتناول الفصل الخامس الجهاز المعاون للقضاة من الشهود والكتابة والوكلاء والخبراء وأمناء السجلات والانكشارية والمحضرين والمفتين . وتناولت الاختصاصات المنوطة بكل منهم ،

وكذلك الرسوم المالية التى يحصلون عليها وكيفية تعيينهم ، كذلك عزلهم عندما يسيئون أداء مهامهم •

وقد انتهت البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التى تمخض عنها البحث غير أن من الجدير بالذكر أنى أخرت الجانب الاقتصادى فى حياة القضاة الى ما بعد الجوانب الادارية والسياسية والاجتماعية لأن الأوضاع الاقتصادية كانت نتاجا لهذه الأوضاع جميعا ومرتبطة عليها •

وقد اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر الأولية • وإن كانت قد تركزت بصورة أساسية حول الوثائق غير المنشورة الموجودة فى الشهر العقارى بميدان الاسعاف بالقاهرة ودار الوثائق ودار المحفوظات العمومية بالقلة • كما اعتمدت على المخطوطات المحفوظة بدار الكتب المصرية وبعض المخطوطات المحفوظة بارشيف فيينا بالنمسا والتى حصلت عليها من بعض أساتذتى وقدمت هذه المخطوطات معلومات مهمة ومفيدة عن أحوال القضاة وعلاقاتهم الاجتماعية •

أما عن المتاعب التى قابلتنى أثناء اعدادى لهذه الرسالة فتتذكر حول الوثائق ولعل من نافلة القول ان خطاها ردىء جدا ويحتاج الى قدرة خاصة على تعلمه • اضافة الى طرق حفظها السيئة التى تؤدى الى فقدان أجزاء كثيرة منها ، والذى لا يفقد بسبب سوء الحفظ يفقد بسبب الترميم الذى يتعذر معه فى أحيان كثيرة قراءة الوثيقة لطمس معالمها •

وإن الباحث ليؤمن أن من أهم الصفات التى يجب أن يتحلى بها الباحث العلمى أن يعترف بالأيدى البيضاء التى مدت اليه وأن

يتقدم بواجب الشكر لكل من أسدى له جميلا وهؤلاء كثيرون وهم حسب الترتيب الزمني لهم .

أتقدم بخالص شكرى الى استاذى الدكتور على شلبي واستاذى الدكتور على بركات أساتذتى بكلية الآداب جامعة المنصورة واللذين لولاهما لما استفدت كثيرا من آداب المنصورة ، وقدما للباحث ما ساعد على تكوينه الفكرى منذ المراحل الدراسية الأولى له وأتقدم بخالص شكرى للدكتور عبد الرحيم عيد الرحمن الذى أمدنى برعايته منذ كنت طالبا بالسنة التمهيدية للماجستير وهو السبب فى توجيهى لدراسة تاريخ مصر فى العصر العثمانى وأمدنى فى هذا البحث بالكثير من المشورة والنصح . ويقتضىنى الواجب أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى لأستاذى الدكتور محمد عفيفى الذى لم يبخل على بنصح وإرشاد وأعطانى من وقته وفكره الكثير كما أمدنى بالكثير من المخطوطات والمراجع التى كان يتعذر على الاطلاع عليها بدون مساعدته لى . جزاه الله عنى خير الجزاء .

وأتوجه بخالص شكرى الى استاذى القدير د/ محمد حرب الذى وفر لى الكثير من المراجع التى أفادتنى فى هذا البحث . كما أنه أتاح لى من وقته وفكره الكثير . أما استاذتى الدكتورة هاجدة مخلوف المشرفة المشاركة على هذا البحث فالشكر وحده لا يوفىها حقها ولا يؤدىها جزاءها فقد كانت بحق طوال فترة البحث بمثابة المرشد الأمين الذى جذبنى الوقوع فى الأخطاء . كما أنها أمدتني بالكثير من النصيح فى أثناء اعدادى لهذه الرسالة . وكان لهذه النصائح فضل كبير فى الحد من جموح الباءت أحيانا كثيرة وكان لسعة صدرها أثر كبير فى تقبل آراء الباحث والحد من جموحها فجزاها الله خيرا عن الباحث والبحث .

أما الأب والأستاذ والصدیق الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحیم
مصطفی الذی یفخر الباحت أنه تتلمذ علی یدیه فی علم التاریخ
فقد کان طوال فترة البحت بمثابة الأب الناصح والأستاذ المرشد
والصدیق المهادی الی الصواب • وكان لفضل توجیهاته اقالتی من
مواضع العثرة فی كثير من الأحيان • وأشهد أنه أسدی الی الباحت
والبحث الكثير من الخدمات الجليلة • وكان لكلماته الطيبة أثر كبير
فی تخفیف عناء البحث عن كاهل الباحت • فما الباحت والبحث الا
ثمرة من ثمار غرسه تولاهما برعايته وعنايته فجزاه الله عنی خیر
الجزاء •

غیر أن واجب الشکر لهؤلاء لا یعنی بحال من الأحوال أنهم
یتحملون تبعه ما فی البحث فذلک وحده یقع علی عاتق الباحت •
وانی لأرجو أن أكون بعملی هذا قد وفقت فی أن اضییف لبنة من
لبنات تاریخ مصرنا الحبیبة فی غصن ما زال یکتنفه الكثير من
الغموض •

وعلى الله قصد السبیل

العزیزة - المنزلة - دقهلیة فی ٣/١٠/١٩٩٤م •

الفصل الأول

القصة في الدولتين المملوكية والعثمانية

القضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية

نعرض في هذا الفصل للقضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية وأوضاعهم وأحوالهم ونظم التقاضي السائدة ، وذلك في محاولة لفهم طبيعة هذه الأوضاع وما طرأ على مصر من تغيرات في أوضاع القضاة بعد الفتح العثماني. لها سنة ١٥١٧م وارتباط هذه التغيرات بالنظم السائدة في الدولتين كذلك مدى ارتباط القضاة في مصر بهيئة القضاة في استا قبول وتبعيتهم لها .

أولا : القضاة في الدولة المملوكية :

تمهيد :

بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب وصل ابنه توران شاه إلى مصر سنة ٩٦٦هـ ١٢٥٠م وأعلن سلطانا على البلاد ولكنه لم يعترف بالفضل للمماليك الذين حققوا انتصارا على الصليبيين في موقعة المنصورة كما أنه لم يعترف بالجميل لزوجته أبيه شجرة الدر التي حفظت له العرش حتى وصوله فما كان منهم إلا أن تكالبوا على قتله في فارسكور في ٢١ مايو ١٢٥٠م .

وبمقتل توران شاه سقطت الدولة الأيوبية وتولت شجرة الدر سلطنة على البلاد ويعتبرها المؤرخون أول سلاطين الدولة المملوكية (١) وذلك بحكم انتمائها إلى الرق فهي جارية تركية الجنس

وقيل أرمينية وتزوجت بعد الملك بالقائد الصالح عز الدين إيبك الذى أصبح سلطانا على البلاد بعد تنازلها له واستمر الحكم المملوكى قائما فى مصر حتى القتح العثمانى لها على يد السلطان سليم الأول فى ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م (٢) ولعل نشأة الممالك وأصولهم التى ترجع الى الرق سبب فى احساسهم بالدرج من نظرة معاصريهم . ولاسيما بعد قيام ثورات العربان فى مصر ضدهم ، ومعاداة بنى أيوب لهم . لذا فقد عملوا على صبغ حكمهم بالصبغة الدينية والاهتمام بالأمور والمظاهر الدينية ولاسيما القضاء والقائمين عليه لنشر العدالة واكتساب احترام المعاصرين لهم . غير أنه ما لبث أن أصاب القضاء الضعف وتطرقت اليه الرشوة والوساطة مما أدى الى انهياره ، نتيجة لانهيار أسس اختيار القضاة .

وتذكر المصادر المعاصرة للدولة المملوكية أن طرق التقاضى ونظم القضاة فى هذا العصر تنوعت أربعة أنواع هى :

- (١) قضاة الشرع الشريف .
- (ب) قضاة السياسة .
- (ج) قضاة المظالم .
- (د) قضاة الحسبة .

وحدد اختصاصات كل منهم ولكنها تداخلت بعد ذلك مما أدى الى الانهيار الشامل فى أوضاع القضاة ونظمهم .

١ - قضاة الشرع فى الدولة المملوكية :

بعد سقوط الخلافة الفاطمية الفى الأيوبيون العمل بالمذهب الشيعى فى القضاء وعملوا بالمذهب الشافعى نظرا لأن غالبية الشعب المصرى ينتمون اليه ، وكان قاضى القضاة الشافعى ينيب عنه

نوابا للحكم فى البلاد المصرية • وظل الأمر هكذا حتى غى عهد الدولة المملوكية الى عهد بيبرس البندقدارى(٣) الذى أدخل العمل بالمذاهب الأربعة لأول مرة وصار يعين لكل مذهب قاضى قضاة خاصا به(٤) •

ويرجع السبب فى ذلك الى تعنت القاضى تاج الدين بن بنت الأعز قاضى مصر فى ذلك الوقت وتشده فى أحكامه حتى مع السلطان نفسه • كذلك فقد كان الأمير جمال الدين أيدغدى يحقد على القاضى « تاج الدين » ويحط من قدره عند السلطان ويرميه بالتشدد فى أحكامه والتوقف فى القضايا التى لاتتفق مع مذهبه فاستغل جلوس السلطان بدار العدل وجاءته عدة شكاوى من شدة القاضى فانتهزها الأمير جمال الدين فرصة وقال له يا قاضى مذهب الشافعى لك ونولى من كل مذهب قاضيا • فأعجب السلطان بيبرس بهذا الرأى وبذلك فقد بدأ العمل بالمذاهب الأربعة من ذى الحجة ٦٦٣ هـ سبتمبر ١٢٦٥م(٥) وربما يكون تمسك السلطان بذلك راجعا الى استخدام القضاة فى تقليده السلطة مع الخليفة ، وتقليدهم الخليفة أيضا فهم أداة فى يده(٦) فريما أراد السلطان أن يولى فيها قضاة مواليين له خوفا من تشدد القاضى تاج الدين •

غير أن هذا الأمر نتج عنه العديد من المساوئ التى ضربت أطنابها فى نظم التقاضى السائدة ، وكذلك أوضاع القضاة مما أدى الى ضياع حقوق المتقاضين واستخدام الحيل فى التقاضى •

فقد أدى العمل بالمذاهب الأربعة الى انفجار الحزانات العنيفة بين قضاة المذاهب وظهور المشاحنات التى أدت الى عرقلة إصدار العديد من الأحكام والغائها مما ترك أعظم الأثر على هيئة القضاة ويطانتهم(٧) •

ويبدو من خلال مصادر هذه الفترة أن كل قاض من القضاة الأربعة اعتبر نفسه المدافع عن سيادة مذهبه ولو عن طريق الطعن في المذاهب الأخرى والقائمين عليها من القضاة ، ولو عن طريق ذكر المثالب الشخصية لهم والخط من قدرهم مما أدى إلى الإيقاع بين قضاة القضاء .

كما أن هذا التعدد أدى إلى تمهيد الطريق أمام أرباب القضايا ليحتالوا لبلوغ مآربهم ويهجروا قاضيا إلى آخر ويستبدلوا مذهبا بسواه متى وجدوا في ذلك أربتهم . وقد ينجم من وراء هذا التحايل والاستبدال اتساع الخلاف بين المتخاصمين وكذلك فإن في تعدد القضاة في البلد الواحد مظهرا للتفرقة بين بنيه وتهيئة لاثارة الفتن والخلاف بين الفقهاء (٨) وبرغم ادخال العمل بالمذاهب الأربعة فقد بقي لقاضي القضاة الشافعي العديد من الامتيازات عن القضاة الآخرين ، حيث بقي تحت سلطته الاشراف على الأوقاف وبيت المال والاشراف على أموال مودعى اليتامى كذلك تولية النواب في البلاد المضربة (٩) .

وبقيت مصر كما كانت منذ العصر الأيوبي مقسمة إلى قسمين قضائيين أولهما : قضاة القاهرة والوجه البحري وثانيهما قضاة مصر والوجه القبلي وأحيانا كانا يجمعان في قسم واحد يتولاهما قاض واحد (١٠) .

من هذا يتضح مدى ما ترتب من مساوئ بسبب العمل بالمذاهب الأربعة واستغلال ذلك بين المتقاضين للإيقاع ببعضهم مما أدى إلى ضياع الحقوق وغياب العدالة وأدى التنافس بين قضاة المذاهب وانصرافهم إلى محاولة الدس والإيقاع فيما بينهم إلى ضياع هيبتهم وعدم الثقة في أحكامهم في نفس الوقت الذي استغل فيه

المتقاضون الاختلاف فى الاجتهاد عند المذاهب المختلفة لصالحهم
الخاص . وتكاثفت هذه العوامل لتؤدى فى النهاية الى انهيار اوضاع
القضاة والنظام القضائى ككل .

تولية قضاة الشرع واختصاصاتهم :

وضع الفقهاء المسلمون معايير محددة يجب توافرها فيمن
يختار لمنصب القضاء منها العلم بالكتاب والسنة والقياس ، والاجتهاد
والتمتع بالمزايا الخلقية والبعد عن السقطات الأخلاقية مثل تقديم
الرشوة أو قبولها والتزوير والتدليس . فأساس عمل القاضى هو
بث العدالة بين الملاجئين اليه وهنا سؤال عن كيفية اختيار القضاة
فى العصر المملوكى .

تمدنا المصادر المملوكية بالاجابة عن هذا التساؤل بأن أهم
سمات اختيار القضاة فى العصر المملوكى تتمثل فى الرغبة فى
الحصول على المال لحساب السلاطين وجشعهم والاستهانة بهذه
المناصب الجليلة ، وادى هذا الى أن تطلع الى شغلها من ليس أهلا
لها مثل الخصبان ومضحك السلطان ، وترتب على ذلك وقسوع
القضاة فى أخطاء فقهية وإشاعة ذلك بين العامة مما اثر على مكانة
القضاة جميعا ، كذلك فماذا ننتظر ممن دفع الرشوة لقولسى هذا
المنصب الا أن يكون مرتشيا ليجمع ما أنفقه من مال فى سبيل
توليته ؟

وكان جشع السلاطين هو الذى يحدد ما يدفعه طالب المنصب ،
فعلى سبيل المثال يذكر عن السلطان برقوق (١١) (٧٨٤ هـ ١٣٨٢م -
٨٠٢ هـ ١٣٩٩م) أنه كان طماعا جدا بحيث لا يقدم على جمع المال
شيئا وقد أفسد أحوال البلاد بأخذ الرشوة ممن يرغب فى تولي
منصب القضاء (١٢) وممن بذلوا المال فى تولية هذا المنصب « قاضى

القضاة محيي الدين بن النقيب الشافعي « الذي ولى القضاء ست مرات دفع فيها رشاوى ستة وثلاثين ألف دينار وكانت ولايته في هذه الولايات الست نحو سنتين (١٣) » .

كما تولى « القاضي نور الدين خليل الحكري » قاضي قضاة الحنابلة (في جمادى الآخرة ٨٠٢ هـ - ١٤٠٠ م) بعد أن دفع خمسين ألف درهم كرشوة . رغم ما عرف به من جهالة وقلة بهجة . كذلك تولى « عز الدين الشيشني » قاضي قضاة الحنابلة في ربيع الأول (٩١٩ هـ - ١٥١٣ م) بعد أن دفع رشوة للمسلطان تندر بألف دينار (١٤) وتولى قاضي القضاة الشافعي جمال الدين محمد المكي بعد أن سعى في ولاية القضاء بثلاثة آلاف دينار (١٥) وأدى التنافس بين القضاة الى بذل الرشوة لخلق بعضهم من القضاء ، والمزايدة بالمال مثل قاضي القضاة جمال الدين القلقشندي الذي صرف عن قضاء الشافعية لأنه سعى فيها برشوة مقدارها ثلاثة آلاف دينار بينما عين محيي الدين بن النقيب لأنه بذل خمسة آلاف دينار وكذلك دفع ألفي دينار للذي سعى له من الأمراء (١٦) .

وهناك « الشيخ سراج الدين بن الملحق الشافعي » الذي سعى ببذل أربعة آلاف دينار لأجل تولي هذا المنصب في عهد السلطان برقوق (١٧) وعزل القاضي بدر الدين بن أبي البقاء بعد أن غرم خمسة آلاف دينار رشوة كان قد دفعها عند توليته (١٨) .

بذلك يتضح - كما تمدنا المصادر المعاصرة لهذه الفترة - أن من النادر أن يتولى قاض بدون أن يدفع رشوة وكان الأصل في ذلك هو التولي بها والاستثناء هو التولي بدونها وهذا يوضح الى أي مدى وصلت أحوال القضاة في هذه الآونة .

كذلك فقد كان السلاطين يولون بعض أتباعهم لتنفيذ مآربهم الخاصة وبعد تحقيق أغراضهم يعزلونهم مثل قاضي القضاة

« محمد بن أبى البقاء » الذى ولاه السلطان ليقرضه ما فى مودع الأيتام من مال (١٩) كذلك قاضى القضاة الحنفى « ناصر الدين بن العديم » الذى صار يرشوا أهل الدولة بالأوقاف عن طريق تأجيرها لمن يطلبها بأبخس الأجور ليكونوا عوناً له على مقاصده حتى كاد أن يخربها (٢٠) وقد أدى ذلك الى تولية قضاة جهلة بالأحكام الشرعية فهناك القاضى « جمال الدين عبد الرحيم الجنفى » فقد ذهب الى انه امرأة وأقرت بانقضاء العدة بسقط مخلق (٢١) فحكم بذلك ثم ادعت انها حامل فكتب لها قرض حمل ، فأفتى علماء مذهبه بأن ذلك مخالف لهم فعزل وعزر (٢٢) .

وبذلك نلاحظ أن الكفاءة العلمية والمقدرة فى أمور الشرع والنزاهة فى الأحكام والقدر على القياس والفهم الصحيح للأمور كانت نادرة التوافر فى القضاة فى هذه الآونة ووثب بدلا منها صفات أخرى كالرشوة والوساطة وتقديم التنازلات للأمراء والسلاطين لأجل تولى هذا المنصب وغالبا ما تكون هذه التنازلات على حساب القضاء نفسه مما ترقب على ذلك انهيار القضاء الشرعى نتيجة لانتهيار أسس اختيار القضاة .

وترتب على ذلك أن ساءت سمعة قضاة مصر لتوليهم بالرشوة وقبولهم أياها فى أحكامهم حتى انها بلغت مسامع العثمانيين ففى شعبان سنة ٩٢٢هـ - أغسطس ١٥١٦ م التقى السلطان العثمانى سليم الأول مع قضاة مصر الذين وقعوا فى أسره بعد مرج دابق فأثبهم السلطان قائلاً لهم « أنتم تأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء » (٢٣) .

اختصاصات قضاة الشرع :

أما عن اختصاصات القضاة فلم تكن أعمالهم فى ذلك الوقت مقصورة على النظر فى قضايا الأحوال الشخصية بل كانوا يتناولون

أيضا النظر فى جميع القضايا الدينية والجناائية واتسع اختصاصهم
فتناول النظر فى دعاوى اثبات الحقوق والأموال التى ليس لها وارث
والنظر فى أوصياء اليتامى وأموال المحجور عليهم من المجانين
والفلسيين وفى وصايا المسلمين (٢٤) كما اتسعت سلطة قاضى
القضاة بحيث تضمنت أمورا ليس لها علاقة بالقضاء ولكنها ضمت
اليها حسب العرف والاصطلاح ومنها الخطابة فى الجامع الأعظم
بالقلعة والاشراف على الأوقاف وتعليم العلوم الشرعية والنظر فى
بيت المال ، ونظر الجوالى ونظر الخاص ونظر الخزانة ودار
الضيافة (٢٥) .

واعتبر الاشراف على الأوقاف من أهم المصادر المالية للقضاة
غير أنه لم يكن ثابتا تحت أيديهم فكثيرا ما يخرج السلاطين الاشراف
على الأوقاف من نظر القضاة الى بعض الموظفين الآخرين كالمحتسب
مما يسوء القضاة . ووجد من القضاة من جمع بين قضاء مصر
والشام فى وقت واحد مثل القاضى « الشهاب بن فرفور » الشافعى
الدمشقى الذى تولى منصب قاضى القضاة الشافعية فى مصر
والشام فى (ربيع أول ٩١٠هـ أغسطس ١٥٠٤م) كذلك لم يشترط
فى القاضى أن يكون مصرية فكثيرا ما تولى هذا المنصب مغاربة
وشوام وحجازيون (٢٦) .

أما جلسات المحاكم فكانت تعقد أحيانا فى المساجد وأحيانا فى
دور القضاء اذا وجدت وعند افتتاح جلسة القضاء ، يتقدم المتقاضون
أمام القاضى وفقا لترتيب خاص مع مراعاة النظام وحرمة
القضاء .

وقد جرت العادة على أن ينظر القضاة فى القضايا المتعلقة
بالغرباء أولا أما اذا كثر عددهم فقد كانت تنظر قضاياهم بحسب
ترتيب حضور أصحابها وكان الرجال يجلسون الى ناحية والنساء
الى ناحية أخرى (٢٧) .

ملابس القضاة :

كان من تقاليد العصر ونظمه أن من يتولى قاضى القضاة يلبس الأبيض من الثياب على ألا يكون حريرا ولا غلب فيه الحرير ، وأن كان شتاء الفوقانى من ملبوسهم من الصوف الأبيض ولايلبسون الأبيض الا فى بيوتهم ويبدو أن الناس فى هذا العصر ألفوا أن تكون عمامة قاضى القضاة من أكبر العمامم ان لم تكن أكبرها وحفاظا على تميز القضاة منع غيرهم من مشاركتهم هيئتهم (٢٨) .

مرتبات القضاة :

أما مرتبات القضاة فمن واقع الكتابات التى سجلها لنا المؤرخون فى العصر المملوكى أن القضاة قد تمتعوا بثروات ضخمة ، فان المرتبات كانت مجزية كما كانوا يحصلون على الانعامات الجزيلة المتكررة طوال العام فى كل المناسبات الدينية هذا بخلاف ما هو مسموح لهم بالتصرف فيه من ريع الأوقاف التى تحدث أيديهم ، كما أنهم استمتعوا أيضا بما يشبه المعاش بعد صرفهم عن وظيفة القضاء (٢٩) وبذلك فقد وضع هؤلاء مصالحهم فى سلة واحدة مع مصالح الطبقة الحاكمة ولكن التدهور العام فى أواخر هذا العصر ترك أثاره السلبية عليهم فقد تعرضت مرتباتهم للقطع والمنع مرات عديدة نتيجة لعجز ميزانية الدولة (٣٠) .

من هذا يتضح أن المصالح المشتركة بين القضاة ورجال الطبقة الحاكمة من الأمراء المماليك جعلتهم فى صف واحد حفاظا على الامتيازات التى حصلوا عليها وكان المستفيد من ذلك هم المماليك والخاسر هو من يلجأ الى القضاة من أفراد الشعب وربما كانت هذه الامتيازات التى تمتع بها القضاة هى السبب الذى دفعهم الى التنافس من أجل تولي هذا المنصب .

أخلاق وأحوال القضاة فى العصر المملوكى :

ربما يكون من المفيد أن نعرض هنا لأمثلة مختلفة من القضاة الذين تولوا هذا المنصب طوال فترات هذا العصر حتى نستطيع أن نرى بوضوح مدى تدهور الحياة القضائية فى العصر المملوكى .
فالقاضى يوسف بن موسى بن محمد الطى « الحنئى الذى تولى القضاء فى ٢٠ ربيع الآخر ٨٠٠ هـ - ديسمبر ١٣٩٣م يقال انه كان يفتى باباحة الحشيش وأفتى بأنواع من الربا بالحيلة (٣١) . واتسم بعضهم بالجهل الشديد وبالأحكام الفقهية مثل « القاضى صالح بن أحمد بن عبد الله الاسنوى » تولى القضاء فى عام ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥م ومع ذلك يصفه معاصروه بأنه كان فى غاية الجهل (٣٢) .

بل لقد وصل التنافس بين القضاة على تولية المنصب الى حد اختلاق الوقائع والتزوير بينهم فقد كان بين قاضى القضاة « عبد الرحمن بن خلدون » والقاضى « الرक्रاكسى » تنافس ، وعقد مجلس أظهر فيه ابن خلدون فتوى زعم انها بخط الرक्रاكسى وتتضمن القدح فى السلطان برقوق وبعد التحقيق فيها اتضح أن ابن خلدون زورها . فعزله السلطان لذلك (٣٣) .

ولم يتوقف الأمر على ذلك بل من القضاة من قبل الرشوة على الأحكام التى يصدرها حسب الأهواء ، فالقاضى المالكى « أحمد بن عبد الله » المتوفى فى ٨٣٩ هـ - ١٤٣٥م كان يتجاهر بأخذ الرشوة وحصل على مال طائل عرف به وفاته (٣٤) .

ووصل الفساد الى معاونى القضاة فدخلوا وزوروا فى القضايا بغية الحصول على المال ، من ذلك ما حدث مع القاضى بن خلدون من أن اثنين من الموظفين العاملين معه أعانا على بيع وقف بأن محروا الكتابة من المكتوب فى السرقة وقدموا تاريخ الاجارة

وثبت تزويرهما (٣٥) ومن القضاة من اتسم بصفات أخلاقية سيئة كان يفحش في مخاطبة النساء كالقاضي الحسن البغدادي الذي أقره الناصر في عام ٧٣٨هـ - ١٣٣٧م في القضاء وكان كثير المزاح والهزل والسخف مع بذاعة اللسان والجهل بالأحكام فكانت اذا تحاكت اليه امرأة وزوجها ينصر المرأة ويفحش في مخاطبتها حتى قال لامرأة تحاكت اليه مع زوجها اكشفي وجهك ثم قال « مثل هذه تزوج بهذا المهر والله ان مبيتها ليلة واحدة يساوي أكثر منه » (٣٦) وقد ثارت العامة عليه وحرقوا عمامته ، ومزقوا ثيابه وتناولوه بالنعال حتى أدركه بعض الأمراء وخلصوه من أيديهم (٣٧) .

وهناك القاضي « محيي الدين عبد القادر بن النقيب الشافعي » الذي تولى القضاء ست مرات كان أولها من (٩١٨هـ - ١٥١٢م) كان غير مشهور السيرة رث الهيئة يجافى النفس يزدريه كل من يراه (٣٨) والقاضي « جلال الدين محمد القزويني » كان لايعين أحدا من نوابه الا بعد أن يجتمع بأحد أولاده ويقدم اليه مبلغا من المال ، وأصاب ابنه جمال الدين مبالغ طائلة من القضاء على سبيل الرشوة (٣٩) .

ومنهم من ساءت سيرته وقبح ساوكة فاستحق المحاكمة ، مثال « القاضي ولي الدين محمد الصفتي » المتوفى (٨٥٤هـ - ١٤٥٠م) وقد اتهم باختلاس أموال الأوقاف وبيع بعضها ، واتهم بأكثر من مخالفة ووصل الأمر الى سجنه في سجن القشرة مع أولى الجرائم (٤٠) واشتهر بعض القضاة بالتزوير مثل « القاضي عبد البر بن الشحنة » الذي اتهم ببيع الأوقاف والتزوير فيها هي الأخرى (٤١) .

ويبدو أن هذا التراخي جاء نتيجة للخياة التي أصبح فيهما القضاة وحياة الدعة والترف التي انتقلوا اليها بعد أن طغت شئون

الدنيا على الدين فساد التنافس والتحاسد بينهم حتى ان المجالس السلطانية نفسها لم تخل من منازعات بين القضاة (٤٢) .

ولكن ماذا تنتظر من قضاة تولوا بالرشوة وقبلوا الرشوة في احكامهم ووصل الحال بينهم في تنافسهم الى تزوير أوراق واختلاق الوقائع ؟ ان قضاة هذه صفاتهم لاتستقيم بهم الحالة القضائية ابدا فهم السبب المباشر في انهيارها وتدهورها وتدنى نظرة المعاصرين اليها . كما امتد اثر هذا الفساد الى العاملين في النظام القضائي .

وقد دعا هذا الفساد الى امتناع كبار العلماء والمحدثين عن تولي هذا المنصب والفرار منه بل الاختفاء عن الأعين وبعضهم تولاه مكرها لاجبار السلطان له . مثل القاضي « ناصر الدين بن ميليقي » الذي تولي قضاء الشافعية في (شعبان ٧٨٩ هـ أغسطس ١٢٨٧ م) (٤٣) كذلك تولي « القاضي بن دقيق العيد » بعد أن هددوه بأن يولوا القضاء رجالا لا يصلحون له ، فخاف وأوجب على نفسه القبول خشية على العدالة . وذلك في عهد « العادل كبرشاه المنصوري » (١٢٩٤ م : ١٢٩٦ م) (٤٤) وهناك أيضا « القاضي برهان الدين بن جماعة » الذي راسله السلطان فامتنع فأرسل اليه رسولا حلف بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق على قبول هذا المنصب (٤٥) .

العلاقة بين قضاة الشرع والسلطات الحاكمة :

لقد تدخل الأمراء والسلاطين في الأحكام القضائية التي يصدرها قضاة الشرع كما أنهم تدخلوا في اختيار القضاة منذ البداية ، لذا فلم تكن وساطتهم ترد وقد كان كل أمير يحتضن مجموعة من الفقهاء ويدافع عنهم ، ويتوسط لهم ويعتبرهم من أخصائه ، ومن ثم فان التعدي على أي فرد منهم يعتبر تعديا على

هذا الأمير وكم من المأسى التى تسببت فيها تلك الوسائط بل انها كانت أبرز الأسباب لانحدار مستوى شاغلى الوظائف القضائية لأن الوساطة تغفل عن قدر طالب المنصب من حيث علمه ويشغله الأكثر والأقوى وساطة ونفوذاً (٤٦) وتدخل السلاطين وهم المفترض أن يكونوا رقباء على القضاة فى أعمالهم لاجبارهم على تنفيذ رغباتهم والا فالعزل هو جزاؤهم . فعندما رفض قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الحريرى تحقيق رغبة السلطان محمد بن قلاوون فى استبدال أرض مرقوفة عزله السلطان وجرى بمن ينفذ له رغباته (٤٧) .

ولم تمنع مكانة القضاة لدى السلاطين من القبض عليهم كما لم تحمهم من الانشاعات المغرضة ضدهم فقد قبض على قاضى القضاة الحنفى « عبد البر بن الشحنة » لوشاية عند السلطان قنصوه الغورى انه كاتب أحد أعدائه فرسم بنفيه الى قوص ، فسُفِع فيه الاتابكى (٤٨) قيت الرجبى (٤٩) وتعرض القاضى شمس الدين الحلبي لبطش السلطان قنصوه الغورى لأنه حكّم فى بعض الوقائع بما اعترض عليه فى ذلك (٥٠) .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين والأمرء تدخلوا فى أحكام القضاة لحماية أتباعهم اذا ما وقفوا أمام القضاة فى قضايا خاصة بهم والقضاة ملزمون بتنفيذ أحكامهم والا فالعزل هو جزاؤهم المنتظر .

وبالرغم من ذلك فقد شهدت تلك الطائفة الكبيرة من الفتاوى التى تضمنتها الوثائق التى وصلت لنا من عصر السلاطين المماليك على أن السلاطين اعتمدوا كثيراً على هذه الفتاوى فى كافة تصرفاتهم السياسية والاقتصادية والمالية والإدارية (٥١) .

وربما يعود ذلك الى حرص سلاطين المالك على صبغ حكمهم
بقشرة دينية تخفى وراءها أطباعهم وأهدافهم الحقيقية واستغلال
القضاة كوجهة لهذه الأعمال فمن خلال مطالعة المصادر الملوكية
يتضح أنه كثيرا ما نظر السلاطين الى القضاة نظرة أمتهان وازدراء
وتسفيه لأرائهم ولاسيما في أواخر هذا العصر . في نفس الوقت
لأنرى معارضة بين القضاة للسلاطين الا اذا تعارضت مع
مصالحهم .

واعتبر السلاطين القضاة مصدرا مهما لتمويل الخزائن
السلطانية وذلك بطرق عديدة مثل بيع المناصب لهم ، وكذا المصادرة
التي يقوم بها القضاة لصالح الخزنة السلطانية تحت اسم الشرع
الشريف . كذلك الأوقاف سواء بالبيع أو الاستبدال أو سلبها لصالح
السلاطين والأمراء .

ومع ذلك لم يكن القضاة بمنأى عن مؤامرات الوزراء ورجال
الحكم من منافسيهم ومن أبرز تلك الدسائس التي ذكرت المصادر
المعاصرة لتلك الفترة ما حدث مع القاضي « تقى الدين بن بنت
الأعز الشافعي » الذي تولى القضاء للمرة الأولى في (ربيع الآخر
٦٨٥ هـ مايو ١٢٩٦ م) فقد باشر القضاء بعزة ونزاهة وحدث بينه
وبين الوزير السلجوقي عداوة لرفض القاضي وساطة الوزير في
تعيين أحد أتباعه في وظيفة وذلك لسقوط عدالته فما كان من الوزير
الا أن أخرج عن القاضي وظائفه ، ثم رتب عليه شهودا يشهدون عليه
بالمزور بأمور منكرة حتى قيل ان جملتها مثل الزنى واللواط والزنى
بالنصارى وشرب الخمر ونال القاضي من الهوان والعذاب الشديد
الكثير (٥٢) .

من هذا يتضح أن التدخل المستمر للأمراء والسلاطين في
أحكام القضاة سواء بالوساطة أو الشفاعة أو الإكراه أدى الى

مجانبة العدل وتفشى الزور والظلم فى أعمال القضاة وكذلك لم تمنع مكانة القضاة لدى السلاطين من تدبير المؤامرات لهم كما لم تحمهم مكانتهم من التعرض للنفى والسجن مع أولى الجرائم لمجرد الوشائيات .

ويعتبر تدخل الأمراء والسلاطين فى أعمال القضاة السرطان الذى أصاب الحياة القضائية . وهو العامل الأول فى انهيار القضاء الشرعى فى العصر المملوكى كما يبدو من خلال المصادر المملوكية ان امتناع كبار الفقهاء والعلماء من تولي منصب القضاء فى هذه الآونة أدى الى تولي فقهاء الدرجة الثانية (صغار الفقهاء) مع قلة علمهم بالفقه وجهلهم بالأحكام الشرعية مما ترتب عليه وقوع أخطاء جسيمة فى أحكامهم .

قضاة العسكر :

لم يكن القضاء الشرعى فى العصر المملوكى مقصورا على قضاة المذاهب الأربعة فقد كان هناك قضاة العسكر وهم المسئولون عن القضاء بين الجند فى الجيش المملوكى وهم يرافقون الجيوش فى حروبها حتى يفصلوا بين الجند فى مشاكلهم ومنازعاتهم خاصة اذا كانت مشاكل لا تحتل التأجيل وحتى لا ينتج عنها خلل فى الجيش المحارب .

وكان من مهام قاضى العسكر أمداد الجند بما يحتاجون اليه من قتاوى فى المسائل الشرعية التى يعرضونها عليهم ، ويلاحظ أن قضاة العسكر كانوا ثلاثة يمثلون المذاهب الشافعى والحنفى والمالكى وأحيانا كان يوجد قاض حنبلى (٥٣) وربما يكون عدم وجود قاض حنبلى فى الجيش راجعا الى قلة الحنابلة بين صفوف الجيش بل قلة أتباع المذهب فى مصر عموما .

وكانت لهم صلاحيات فى الفصل بين العسكر ومن يعملون معهم فى قطاع الجيش من الإداريين والصناع والعمال وغيرهم كما كانوا يفصلون فى القضايا اذا كان العسكريون طرفا فيها بشرط أن يكون العسكرى مدعى عليه لا مدعى بناء على ماقرره الفقهاء من أنه لو تنازع الجندى والبلدى فى قضية واراد كل منهم أن يحكم قاضيه فالعبرة بقاضى المدعى عليه (٥٤) .

وفى فترة السلم كان مجلس قضاة العسكر فى دار العدل مع القضاة الأربعة ولكنهم كانوا أقل درجة منهم . ومن قضاة العسكر من تولى بيت المال بجانب قضاء العسكر مثل القاضى « محمد بن عبد البر بن يحيى الشبكي » فى عام ٧٦٥هـ ١٣٦٣م (٥٥) ومنهم من عمل بالتدريس مثل « شمس الدين بن الصائغ الحنفى » قاضى العسكر ومدرس التفسير بجامعة بن طولون (٥٦) .

يتضح من هذا أن قضاة العسكر كانوا هم المسئولين عن القضاء بين أفراد الجيش فى الحرب والسلم وامتد لهم بالرأى والفتاوى فى حالة طلبها . وقضاة العسكر أقل درجة من قضاة المذاهب الأربعة ولكنهم يمثلون الجناح الآخر للقضاء الشرعى فى هذا العصر مع قضاة المذاهب الأربعة . وقد امتدت الرشوة الى هذا المنصب أيضا عند التولية . كما يظهر من خلال مصادر الفترة المملوكية .

قضاة السياسة - القضاء الزمنى :

كان الحكم فى الدولة المملوكية على ضربين : حكم الشرع الشريف ، وحكم السياسة ويقوم عليه الأمراء والحجاب . وحكم السياسة يقصد به تطبيق قوانين « جنكيز خان » وذلك نتيجة لانتماء

بعض الممالك الى الأصل المغولى ، وكذلك لازدياد نفوذ الأمراء فى هذه الدولة فقد جلسوا للقضاء بين الناس وكان جلوسهم فى البداية على حياء وخشية جانب ولكنهم ما لبثوا أن نازعوا القضاة فى اختصاصاتهم حتى لم يعد هناك حد فاصل بين قضاة الشرع وقضاة السياسة وعمل هؤلاء على الفصل بين المتقاضين بقوانين الياسة (٥٧)

وكلمة الياسة « كلمة مغولية » أصلها ياسة فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأنخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وهى ترجع الى جنكيز خان . فعندما صارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها فى كتاب سماه ياسة ومن الناس من يسميه يسقى ولما تم وضعه كتب ذلك وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده (٥٨) .

وبذلك فقوانين الياسة ليست نظاما قضائيا اسلاميا ، وإن نسبت الى الشرع ولتأخذ صبغة اسلامية وحرفت الى كلمة السياسة لكى تقرب الى أذهان المسلمين ولذا اعتبرت السياسة الشرعية من ظلام الطبقة المملوكية . ومع أنها كانت فى أول الأمر تتعلق بالمئون الطبقة العسكرية وحدها للفصل فى أمورهم ولكن فى النهاية أصبحت تتدخل فى أمور الشرع وأحكامه وتلغيها (٥٩) كذلك يجب أن نعلم أنه لم تكن هنا معايير محددة لقضاة السياسة .

١ - قضاء الحاجب :

عرفت هذه الوظيفة من قبل العصر المملوكى ولكن لم يكن له هذه الأهمية التى تمتع بها شاغلها فى العصر المملوكى التى أصبحت وظيفة مرموقة لا يتولاها الا أحد أمراء الدولة العظام ، ان كانت على رتبة نيابة الدولة فى المنزلة (٦٠) وأطلق على أكبر الحجابة

حاجب الحجاب والحجبة وظيفته من وظائف أرباب السيوف يحلس صاحبها بدار العدل لينظر فى خصومات الأمراء والأجناد واختلافهم فى أمور الاقطاعات ونحو ذلك تارة بنفسه وتارة بمشورة السلطان وتارة بمشورة النائب (٦١) .

ولقد تطور مفهوم الحجابة وازداد عدد الحجاب ، فبعد أن كان هناك حاجب واحد ، تدرج العدد حتى وصل الى خمسة حجاب (٧٨٤ هـ - ١٣٨٢ م) ثم الى ثمانية حجاب أيام الناصر فرج بن بريقو المتوفى (٨١٥ هـ - ١٤١٢ م) وبهذا أصبح الحاجب اسما لمجموعة من الأمراء الذين ينصبون للحكم بين الناس ولم يكن وجودهم مقصورا على القاهرة وحدها باعتبارها عاصمة الملك (٦٢) .

ولقد اتيج للحاجب أن يتدخل فى اختصاصات القاضى وأن ينظر فى خصومات المدنيين فضلا عن خصومات الممالك التى كانت من اختصاصه وبذلك فقد امتد نفوذه تدريجا من القضاء الحربى الى القضاء المدنى فتدخل فى اختصاصات القاضى (٦٣) وأصبح نظر حاجب الحجاب ينظر فى كل جليل وحقير بل يغير أحيانا على أعمال القاضى العادية كما استخدم السياسة الشرعية أى الاجراءات التى تنبع لاصلاح أمر على أوسع نطاق فى مجلسه وأصبح نظره مجال الرشوة (٦٤) .

ويذكر المقرئ أن أول من حكم من الحجاب بين الناس هو الأمير « شمس الدين أقي سنقر الناصرى » عندما تولى الحجوبية فى عهد « السلطان شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون » فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم ، الى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين جرجى الذى تولى الحجابة أيام « السلطان صالح بن محمد بن قلاوون » فرسم له أن يتحدث فى أرباب الديون ويفصلهم عن

فرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحكام فيما تقدم أن يحكموا
فى الأمور الشرعية(٦٥) .

ويتضح من المصادر المملوكية أن الحجاب بحكم تكوينهم
العسكرى لم تكن قدراتهم وثقافتهم تؤهلهم أن يحكموا بين الناس فى
الأمور الشرعية . كما أدى تعدى الحاجب على اختصاصات القضاة
الى عدم وجود حد فاصل بين اختصاصات قضاة الشرع واختصاصات
الحجاب التى أصبحت متداخلة الى العجز عن الفصل بينهما ،
لأنهم أصبحوا يجمعون بين سلطتى التنفيذ والقضاء ، ومع أن
المصادر تحدثنا عن أن تعدى الحاجب على سلطة القاضى الشرعى
كانت محددة فى البداية وأن الناس كانوا ينفرون منها فانهم سرعان
ما القوه ولجأوا اليه بكثرة حتى أصبح الحاجب الجاهل بأمور
الشرع يزاحم قضاة الشرع فى أعمالهم .

ولم تكن وظيفة الحجابة بمنأى عن الرشوة فيبدو أن اتساع
سلطة الحجاب كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير
حساب على هذه الوظيفة مثل « عبد العزيز بن محمد الصغير » الذى
صار فى (ذى الحجة ٨٥٣ هـ - ١٤٠٥ م) من جملة الحجاب بالقاهرة
بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول(٦٦) وبذلك اجتمع الدهل
بأمور الشرع مع الرشوة والرساطة فى شخص يحكم بين الناس
بالأمور الشرعية .

ولقد وصل الأمر الى حد النزاع بين الحجاب وقضاة الشرع على
أخذ الخصوم من عاى أبوابهم فقد أمر « السلطان برقوق » بعزل زين
الدين الاسكندرى « النائب الحنفى من الحكم وذلك بسبب شكوى
مأمور الحاجب لبرقوق من أنه يمنع عنه الخصوم(٦٧) .

وكانت الدولة تحاول أحيانا أن تمنع الحجاب من التدخل
والتحدث فى الأحكام الشرعية فتصدر مرسوما بذلك ولكن هذا المنع

لا يلبث الا اياما معدودة ، يكون الأمراء فيها قد نجحوا فى ابطال هذا المرسوم ثم يعودون بعدها لمزاولة نظهرهم فى القضايا الشرعية كما كانوا (٦٨) .

وبذلك فقد كان فى قضاء الحاجب فى قضايا شرعية تعسد على اختصاصات قضاة الشرع ومزاحمة لهم واضعاف لمكانتهم فقد اتخذ الحاجب هذا العمل كحرفة يرتزق منها وخاصة عندما زاد عدد الحاجب وليس لهم اقطاع على الامرة فكان هذا مصدر رزقهم فضلا عن عدم تحرر الدقة فى الأحكام لضعف ان لم يكن انعدام الثقافة الشرعية وتظهر هذه جلية واضحة فى الأحكام التى أصدروها وفى محاولاتهم جمع المال والاثراء على حساب المتخاصمين .

٢ - الأمراء :

وقد حرص الأمراء على ممارسة الفصل فى قضايا العامة كمظهر من مظاهر السلطة تساندهم فى ذلك القوة الذاتية التى يتمتعون بها وقدرتهم على استخلاص الحقوق ، وكذلك المهانة والاستهتار بقضاة الشرع لذا فقد أصبح غالبية العامة بلجأون لقضاء الأمراء لقدرتهم على استخلاص حقوقهم من خصومهم .

وقد احتدم الصراع على أخذ الخصوم من وإلى أى طرف فإذا كان أحد الشكاة توجه إلى قضاة الشرع وغريمه توجه إلى أحد الأمراء فلمن يكون نظر القضائية ؟ هسل تتم عند الأمراء أو أن الاجراءات تنتهى عند القضاة ؟ وظلت تلك الاحتكاكات مستمرة طوال العصر وكان السلاطين يساندون الأمراء خوفا من بطشهم وقدرتهم على اثاره المتاعب لهم (٦٩) .

ويبدو أن السلاطان كان يأذن للأمراء للحكم بين الناس ويعين هؤلاء نقباء على بيوتهم كنقباء القضاة وكذلك يعين الأمراء رسلا

ويحكموا فى الأمور الشرعية ولم يكن هذا الأمر مقصورا على طبقة معينة من كبار الموظفين الاستادار (٧٠) ونساطر الخاص (٧١) والمشير (٧٢) وكاتب السر والدوادار (٧٣) وبذلك فقد تحول كل كبار رجال الدولة الى قضاة •

وفى أحيان كثيرة يمنع السلطان أرباب الوظائف من الأمراء من الحكم بين الناس ولا يشتكى أحد خصومه الا الى الشرع الشريف (٧٤) ولكن الأمراء سريعا ما يتدخلون لاعادة ذلك كأنه قد أصبح حقا طبيعيا وحجتهم فى ذلك هى الحرص على حقوق الناس من الضياع (٧٥) •

وبذلك فقد كان الأمراء يجلسون للأحكام فى كافة أنواع القضايا سواء كانت قضايا شرعية أو قضايا مدنية وبذلك فلم يعد يوجد أى حد فاصل بين اختصاصات الأمراء واختصاصات قضاة الشرع • وثمة مشكلة • وهى باى قانون كان يحكم الأمراء ؟ هل كانوا يحكمون بقانون الشريعة أو بقانون السياسة ؟ ان المصادر المعاصرة تجيبنا على هذا التساؤل انهم كانوا يحكمون بقانون المال أى من يدفع أكثر فله ما يريد من الأحكام • وقد اتخذ بعض الأمراء من مكانته كأمير وكقاض وسيلة لجمع المال باى صورة وكذلك للاستيلاء على الأوقاف وعلى أملاك الناس • مثل الأمير طراباى رأس نوبة النوب فعند موته فرح الناس لأنه كان صارما عسوفيا شديد القسوة (٧٦) •

وهكذا على بن أبى الجود الذى ولى الاستدارة واجتمع على بابيه مائه رسول فكان أرباب الصنائع يتركون حرفهم ويعملون رسلا على بابيه وصار غالب الناس لايشكون خصومهم الا من بابيه وكان الناس على رؤوسهم طير منهم فكان العبد يراقع سيده ويشكوه

وينتصف عليه من بابه وكل من له عدو يشكوه من بابه ويكذب عليه
ويقول : هذا القى مال فيسلب من ذلك الرجل مالا يقدر عليه(٧٧) •

قضاة المظالم(٧٨) :

نظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة وزجر
المتنازعين عن التجاهد بالهيبة فكان من شروط الناظر فيها أن يكون
جليل القدر ناثق الأمر عظيم الهيئة ظاهر العفة قليل الطمع كثير
الورع لأنه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وثبات القضاة فيحتاج
الى الجمع بين صفات الفريقين(٧٩) •

وئى العصر الملوكي ولرغبة السلاطين فى اصفاء الصفة
الدينية على حكمهم فقد جلسوا للنظر فى المظالم كعادة الخلفاء
والسلاطين من قبل • وذلك رغبة فى اكتسابهم المهابة والاحترام فى
نظر رعاياهم بعملهم على نشر العدل • لذا فقد حرص السلاطين
الأوائل على الجلوس للمظالم باستمرار •

فقد اقام السلطان المعز ايبك التركمانى الأمير علاء الدين
ايدكين البندقدارى فى نيابة السلطنة فواظب على الجلوس فى
المدرسة الصالحية بين القصيرين ومعه النواب لينظر فى المظالم ،
غير أن السلطان بيبرس هو أول من أفرد أياما خاصة لقضاء المظالم
وواظب عليها وبنى دار العدل كمقر له(٨٠) •

وكانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا فى
عصرنا تعرض عليها القضايا اذا القاضى لم يحكم بينهم بالعدل •
وكان الغرض الأساسى من انشائها هو وقف تعدى ذوى الجاه
والحسب ولهذا كانت رئاسة ديوان المظالم تسند لرجل جليل القدر
كثير الورع يعرف باسم قاضى المظالم(٨١) •

وقد كان يحدد لقضاء المظالم أياما محددة وأوقاتا مخصوصة
لنظر المظالم التي يتقدم بها أحد الرعية وهي تعقد في كل الشهور
ماعدا شهر رمضان كذلك فقد كان السلطان هو الذي يحضر لنظر
المظالم أو من ينيبه عنه من كبار الموظفين ليعطوا المجلس هيئة
ووقارا تردع الظالم وترده عن ظلمه .

ويحضر مع السلطان كبار رجال دولته وهم يجلسون حسب
درجاتهم فكان السلطان يجلس على كرسي من الخشب المغشى
بالحرير وعن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة هما الشافعي والمالكي
وعن يساره قاضيان هما الحنفي والحنبلي . ويلى القاضي المالكي
من الجانب الأيمن قضاة العسكر الشافعي والحنفي فالمالكي ثم يليهم
مفتو دار العدل فوكيل بيت المال ثم ناظر الحسبة . ومن الجانب
الأيسر يجلس بعد القاضي الحنبلي الوزير ثم كاتب السر وهكذا
تستدير الحلقة ويقف وراء السلطان مماليك صفار من
السلاحدارية (٨٢) والجمدارية (٨٣) أما أرباب الوظائف وسائر
الأمراء فيظلون وقفا (٨٤) .

وبعد ذلك يقوم الدوادار وأعوانه بجمع الشكاوى ويقوم كاتب
السر أو موقعو الدست بقراءتها واحدة بعد واحدة أمام هذا الجمع
الحاشد من كبار الموظفين وعندئذ يراجع كل صاحب اختصاص من
الحاضرين في هذا المجلس هذه الشكاوى سواء أكان من كبار
أصحاب الوظائف الديوانية أم الدينية أم أرباب السيوف وتكون
المراجعة بحسب الشرع (٨٥) .

ولكن كان جلوس السلاطين للقضاء بين الناس متقلعا بحسب
المشيئة والهوى بل من السلاطين من هجر هذه العادة ولم يجعلها
من تقليده . ومنهم من أناب عنه نائب سبلطنته لأداء هذه المهمة (٨٦)

وبذلك اقتصر جلوس السلاطين بالايوان كمجرد رسوم شكئية لاهياء المظاهر القديمة للمحكمة ولم يعد يقصد بها احقاق الحق ونشر العدالة ورد الحقوق الى اصحابها .

ويذكر المؤرخ ابن الصيرفى فى أحداث شعبان سنة ٧٩٧ هـ مايو ١٣٩٥م أن السلطان جلس بدار العدل وهو الايوان فعملت الخدمة فيه على العادة ، وكان له مدة لم تعمل فيه الخدمة نحو من سنة ونصف (٨٧) .

واشتهر بعض السلاطين بالظالم والجور على الناس وعدم زجر الظالمين مثل السلطان الغورى فقال فيه ابن اياس :

سلطان مذ كُن فى ضعفه يمحنتنا عدلا واحسانا
فمذ شفاه الله من دائه أحدث ظالما فوق ما كنا (٨٨)

ولم يكن الحكم بالشرع بل بقوانين ربما تعود الى قوانين الياسة فعلى «سبيل المثال عندما جلس السلطان الغورى يوم « الاثنين ١٤ صفر سنة ٩٢٠ هـ ، ١١ مارس سنة ١٥١٤ م » جاوسا عاما . « وفى ذلك اليوم رسم توسيط شخصين من الغلمان قد سرقا زرديتين فوسطهما فى الرملة عند سوق الخيل » (٨٩) ومن القواعد فى قوانين الياسة أن من سرق يقتل وهذا بعكس القوانين الاسلامية التى تأمر بقطع يد السارق .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين لم يكونوا قادرين دائما على انصاف المظلومين من ظالميههم ولاسيما لو كان هؤلاء الظلمة من فئة الأمراء الذين يخشى السلاطين جانبهم خوفا من قدرتهم على أحداث الاقلل لهم لذا فقد انتفى السبب الاصلى لوجود قضاء المظالم وهو القدرة على رد الحقوق من مغتصبها مهما

علت مكانتهم • كما أصبح النظر فى أمور المظالم غير دائم واقتصر على كونه احياء لمظاهر ورسوم المملكة مجرد احياء شكلى لا يهتم بالجواهر وهو بث العدالة ورد الظالمين •

قضاء المحتسب :

الحسبة هى أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله امثالاً لقوله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٩٠) •

وفى العصر المملوكى كانت سلطة القاضى موزعة بينه وبين المحتسب وقاضى المظالم ، ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات احيانا مما يستدعى الفصل فيها الى السرعة ، وكان القضاء والحسبة يسندان فى بعض الاحيان الى رجل واحد مع ما بين العاملين من التباين فعمل القاضى مبنى على التحقيق والائانة فى الحكم وعمل المحتسب مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل (٩١) •

تبين النصوص أن القائم بالحسبة فى أيام المماليك له سلطة تنفيذية كسلطة قاضى القضاة وان كانت العقوبات التى يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود ويختلف حسب الذنب وهو ما اطلق عليه التعزير (٩٢) •

وكان المحتسب يجلس للقضاء بين الناس فى جامعى عمرو والأزهر وزاد نفوذه حتى غدا من اختصاصه الاشراف على رجال الشرطة الذين يقومون بتنفيذ احكامه (٩٣) والعقوبات التى يفرضها مثل الردع بازالة الأمر المخالف مثل كسر أوانى الشرب أو ذهاب المال ويتخذ الضرب كوسيلة للتعزير وذلك عن طريق آلات الضرب أو النفى والتجريس وحيانا النفى والتوبيخ بالكلام (٩٤) •

وبذلك فقد كانت وظيفة المحتسب وظيفته دينية وكان يشترط فيمن يتولى أمرها أن يكون من العلماء لما تشتمل عليه من النظر في الأحوال الشرعية وإصدار الأحكام وهي أمور تتطلب العلم الشرعي والفقه والحديث واللغة ولكن في العصر المملوكي لم يكن هناك قاعدة لتعيين المحتسب حتى تولاه الممالك أنفسهم وهم غالباً غير متمكنين من العلوم الشرعية مما أصاب هذه الوظيفة بالتدهور كغيرها من الوظائف في هذا العصر .

وجميع ما كتبه المؤرخون عن وظيفة المحتسب في عهد المماليك تشير إلى أهمية دوره من الناحية الاقتصادية وهي أن على المحتسب أن يتعرف على دقائق كل حرفة وتجارة ليكشف بسهولة عن الغش الذي يرتكب ضد حياة الناس المعيشية وكان المحتسب يستعين في ذلك بالخبراء الذين يختارون من بين أرباب الصناعات والتجارة الذين سموا العرفاء أو النواب (٩٥) .

كما أن دور المحتسب الأخلاقي والاجتماعي انحدر في هذا العصر . كما تحدثنا المصادر المعاصرة لانحدار الأخلاق في معظم فترات هذا العصر ومحاولاتهم التمتع بالترف والجاه حتى وجد من السلاطين من جعل الخمر من رسوم الملكة (٩٦) وبالمقابل فقد ترك هؤلاء الفرصة للشعب ليعيش بنفس الطريقة وفي هذا حماية للمفسدين من المحتسب .

وبهذا نجد أن عمل المحتسب كما أقرته الشريعة الفراء من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن مستمرا في كل العهود فعلى سبيل المثال انتشر الانحلال الأخلاقي في هذه الفترة وانحصر عمل المحتسب على الناحية الاقتصادية فقط وفي ذلك تفرغ لمضمون وظيفة المحتسب وجعلها جوفاء خالية من مضمونها الطبيعي إلى الناحية الشكلية فقط .

كانت هذه هي الحالة القضائية المتدهورة التي وجدها
العثمانيون عند دخول مصر فالفساد منتشر في كافة أرجائها والقضاء
الشرعي منهزم ، ورجال السياسة والحكم يقضون بما يوافق
أهواءهم ومن يدفع أكثر . وأخلاق قضاة الشرع وصفاتهم وطرق
توليئتهم مشبوهة هي الأخرى . فلا نبأ إذا قلنا من واقع مصادر
هذا العصر أن مصر لم يكن فيها قضاء في ذلك الوقت .

ثانيا : القضاء في الدولة العثمانية :

بعد أن عرضنا للقضاء في الدولة المملوكية رأوا ضاعه ونظم
التقاضي السائدة في ذلك العصر نعرض هنا لأحوال القضاة في
الدولة العثمانية ونظم التقاضي السائدة فيها . ومما تجدر الإشارة
إليه أن فكرة الدولة عند العثمانيين كانت بسيطة للغاية فقد تمثلت
في الدفاع عن البلاد ونشر الأمن وكذلك بسط العدالة على الرعايا
من خلال جهاز قضائي قوي ومستقر ويقوم عليه نخبة ممتازة من
علماء الشرع الاسلامي لذا فقد وجهت الدولة جل رعايتها للقضاة
وعملت على تحسين أوضاعهم لانعكاس ذلك على أحوال المتقاضين
الملاجهين اليهم . كذلك لارتباط القضاة وأعمالهم بالاسلام وهو
ما اعتبرت الدولة نفسها المدافع الأساسي عنه وعما يتصل به من
أعمال .

وقد تنوعت نظم التقاضي في الدولة العثمانية بين ضربين هما :

(١) قضاة الشرع الشريف .

(ب) قضاة السياسة أو القضاء الزمني .

ولقد تباينت اختصاصات القائمين على النظامين وإن كانت
كلها تحكم وفقا لمبادئ الشريعة الاسلامية وكذلك وفقا للتشريعات

التي سنّها سلاطين آل عثمان وهي موافقة بالضرورة لأحكام الشرع الشريف وأقرها شيخ الاسلام .

قضاة الشرع في الدولة العثمانية :

شيخ الاسلام : وجد على قمة النظام القضائي في الدولة العثمانية منصب شيخ الاسلام فهو الرئيس الفعلي للهيئة الاسلامية (٩٧) الحاكمة وان كان السلطان هو الرئيس النظري لها وسلطة شيخ الاسلام موازية لسلطة الصدر الأعظم . وكان يطلق على شيخ الاسلام أول الأمر مفتي العاصمة وأحيانا المفتي الأكبر . وكان يتمتع بمركز مرموق للغاية وكان الصدر الأعظم والوزراء وفي بعض الأحيان السلطان نفسه يلتمسون رأيه (٩٨) .

وقد قيل ان وظيفة شيخ الاسلام انشئت لتوازي وظيفة بطريرك لكل المسيحيين ويبدو أن ذلك كان راجعا الى النشاط الذي تم في عهد السلاطين من محمد الفاتح الى سليمان القانوني فالقوانين كان من المفروض أن تنسجم مع ما نصت عليه الشريعة ، وهناك نظرية أخرى تحاول تفسير وجود شيخ الاسلام الى أنه تقليد ناقص للخلافة العباسية في القاهرة في عهد سلاطين المماليك (٩٩) .

ولكن يوجد رأي آخر وهو ما نميل اليه أن لقب شيخ الاسلام أطلق على مفتي العاصمة في عهد السلطان محمد الفاتح وذلك تمييزا لهذا المفتي عن سائر زملائه من رجال الافتاء الذين كانوا يعملون في معظم الأقاليم والمدن في أنحاء الدولة وأطلق ذلك اللقب لاضفاء مزيد من الأهمية والتبجيل على مفتي العاصمة في مواجهة الطوائف الدينية غير الاسلامية لاسيما انهم جميعا كانوا يمارسون اختصاصاتهم الدينية في مدينة واحدة (١٠٠) .

ولقد خضعت الهيئات العثمانية والدينية كلها لسلطة مفتى استانبول بوصفه شيخ الاسلام وقد كان عليه أن يفتى فيما يرفع اليه من المسائل القضائية ولم يكن أحد من القضاة يجزؤ على عدم الخضوع لأحكامه ، ثم أن السلطان محمد الثاني وسليمان الأول ثبتا مركز المفتى على رأس الادارة برمتها وفى الحقيقة أن السلاطين كانوا شديدي التصرص على تأييد سلطته (١٠١) .

وقد عرف قانون نامه السلطان محمد الفاتح شيخ الاسلام بأنه رئيس العلماء وهو وحده المنوط به أمر الفتوى فى الدولة وهو المرجع الأول فى الشئون الدينية فى الدولة ورئيس كل العلماء أى القضاة من المدرسين وقضاة العسكر (١٠٢) .

وبذلك فقد كان القضاة فى الدولة العثمانية خاضعين لسلطة شيخ الاسلام ولذا لم يكونوا دائمين فى مناصبهم . وعلى ذلك فقد نظم العثمانيون السلطة القضائية فى شكل تسلسلى على قمته شيخ الاسلام بوصفه الرئيس القضائى الأعلى بحكم تفويض السلطان له فى ذلك ومن حقه عزل وتعيين القضاة .

ولشيخ الاسلام هيمنة على جميع أفراد الهيئة الاسلامية وكانت الدولة لا تقدم على حرب دون صدور فتوى فيها أن اهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين وكانت أحكام المفتى (شيخ الاسلام) نهائية لا معقب عليها (١٠٣) كما كانت تحال الى شيخ الاسلام للقضايا الجنائية التى يرى القاضى الحكم فيها باعدام المتهم أو المتهمين فيها قبل اصدار الحكم باعدامهم وهو اجراء كان يستهدف الاطمئنان الى سلامة اجراءات التحقيق والمحاكمة وتوافر الأدلة على ثبوتها ويحال اليه مشروعات القوانين الوضعية قبل اقرارها بصفة نهائية لمعرفة مدى مطابقتها للشريعة الاسلامية (١٠٤) .

وكان شيخ الاسلام من الناحية الواقعية مساويا للمصدر الأعظم فى الرتبة . وكانا هما الموظفين الوحيدين اللذين يتلقدان خلعة وظيفتهما من السلطان شخصيا وفى الاحتفالات كان الاثنان يتقدمان معا لا يسبق احدهما الآخر وبطبيعة الحال كان الوزير يتمتع بسلطة أقوى ولكن الشيخ كان يحظى بقدر أكبر من الاحترام .

وكان شيخ الاسلام يتقاضى راتبا كبيرا يصل الى حوالى ٧٥٠ آقجة فى اليوم يقبضها من بيت مال المسلمين (١٠٥) وفى حديثنا عن شيخ الاسلام لابد أن نتحدث عن المفتين ودورهم فى الجهاز القضائى كجزء متمم لعمل القضاة وكانوا تابعين لمكتب شيخ الاسلام بحكم عمله فى رئاسة الهيئة الاسلامية وبوصفه المفتى الأعظم .

وقد أنشأ السلطان سليمان القانونى مكتبا فنيا الحقه بشيخ الاسلام وأطلق عليه باب فتوى أو فتوى خانه بمقتضى دار « دار الافتاء » وكان يعمل بها جماعة من كبار العلماء يحدثون بصفة تمهيدية المسائل الشرعية التى يطلب الى شيخ الاسلام اصدار فتاوى بشأنها وكان يرأس دار الافتاء أحد كبار العلماء المرموقين ويطلق عليه فتوى أمين أى أمين الافتاء (١٠٦) .

وكانت مهمة المفتين تقديم الرأى الشرعى لمن يطلب ذلك سواء كان من القضاة لتوضيح بعض الأمور الغامضة فى القضية ولاسيما لعدم وجود محامين فى هذه الأيام مما أدى الى اعتبار دور المفتى أساسيا فى العمل القضائى ، كما كانت تقدم هذه الفتاوى لأفراد الشعب لبيان الرأى الشرعى فى الأمور موضع الفتوى ويقوم شيخ الاسلام بتعيين المفتين فى أرجاء الدولة العثمانية . ومنع أن عملهم لم يكن محاطا بأنواع الهيبة والمظهرية فانهم تمتعوا بمكانة كبيرة فى نفوس الشعب ، وذلك لنظرتهم لهم كعلماء دين .

ولم يكن يقوم بعمل الافتاء اى عالم كائنا من كان الا بعد الاذن له من الجهة المختصة وكان يختار للفتوى الأعلام والأفقه والأورع من بين العلماء (١٠٧) وكان شيخ الاسلام يطلق عليه فى قانون نامه محمد الفاتح « سردار العلماء » ورغم أنه لم يكن ضمن تشكيل الديوان فإنه كان يلعب دورا رئيسيا فى الإدارة والسياسة والفكر فى الدواة فضلا عن مكانته فى الأمور العلمية والقضائية (١٠٨) .

ويتضح من هذا أن شيخ الاسلام أو « المفتى الأعظم » كان هو الرئيس الأعلى للمهينة القضائية فى الدولة العثمانية ولا يحق لأحد القضاة نقض أحكامه ، كذلك لا يستطيع أحد القضاة أن يصدر أحكاما بالاعدام مثلا الا بعد عرض القضية عليه .

قضاة الشرع فى الدولة العثمانية :

تدرجت فئات القضاة فى الدولة العثمانية من حيث درجاتهم فبعد شيخ الاسلام مباشرة يوجد :

- ١ - قضاة العسكر .
- ٢ - القضاة من فئة المولى الكبير .
- ٣ - القضاة من فئة المولى الصغير .
- ٤ - المفتشون .
- ٥ - النواب وهم أدنى درجات العاملين فى السلم القضائى .

١ - قضاء العسكر :

لم يكن فى الدولة العثمانية منصب قاضى القضاة كما لم يكن فيها قاضى العسكر الى عهد السلطان مراد الأول (١٠٩) فكان

قاضى العاصمة يصبح الجيش فى غزواته قائم مقام لقاضى
القضاة ومؤديا وظيفة قاضى العسكر . وقبل ذلك فى عهد السلطان
اورخان كان المولى خليل الأسود الجندرى قاضى ازنيقى مرجعاً
للقضاة والخطباء الذين يعينون فى المدن التابعة للدولة . وفى عهد
السلطان مراد الأول (١٧٦٣ هـ) (١٣٦١ م) كثرت صنوف الجند
فكثرت شئونهم تبعاً لكثرتهم فعين خليل الأسود الجندرى قاضياً
للعسكر (١١٠) . وأطلق على قاضى العسكر لقب قاضى القضاة
وكان مقره العاصمة ويشرف على أعمال القضاة فى سائر أنحاء
الدولة ويقوم بتجريح من يقع اختياره عليهم لشغل وظائف القضاة
على اختلاف فئاتهم .

امتيازات قاضى العسكر :

وكان منصب قاضى العسكر - الذى هو قاضى القضاة -
لا يوجه الا للعلماء الحائزين على رتبة التدريس وكانت المدة التى
يقضياها قاضى العسكر فى عمله هى عشر سنوات أو خمس عشرة
سنة وبعد انفصالهم عن أعمالهم يصبحون من أهل التقاعد بمرتبات
كافية وكان بعضهم يختار التقاعد بعاش التدريس (١١١) .

ومن الامتيازات التى تقررت لقاضى عسكر الدولة أن يقام حفل
رسمى عند تعيينه فى منصبه وكان على الصدر الأعظم أن يحضر
هذا الحفل من باب التقدير والتكريم ولا يجوز للصدر الأعظم أن
ينيب أحداً عنه فى حضور الحفل وكان الصدر الأعظم يقدم لقاضى
العسكر رداء التشرىفة وكانت تخصص لكل قاضى عسكر عربة
يسـتقلها فى تنقلاته وفى حالة الحرب يقدم لقاضى عسكر
أطواغ (١١٢) تنصب امام خيمته التى تكون مجاورة لخيمة السلطان
وخيمة الصدر الأعظم (١١٣) .

تقسيم المنصب :

ولقد أدى ازدياد مكانة قاضى العسكر ونفوذه حتى وصل الى اعظم مركز سبق أن شغله قاضى قضاة فى الماضى مما أدى الى غيرة الصدر الأعظم « قزمانى محمد باشا » فى عهد السلطان « محمد الثانى » فأغرى السلطان أن يقسم الوظيفة الى وظيفتين وأن ينشأ قاضى عسكر لك ثانية تسمى عسكر لك الأناضول على حين أن الوظيفة الأصلية قاضى عسكر الرومىلى (١١٤) وعلى هذا وجد المنصب الجديد فى عام ١٤٨٠ م بناء على حسد وغيرة الصدر الأعظم لمكانة قاضى عسكر وخوفا من نفوذه وسلطاته وليس بناء على اتساع الدولة فى ذلك الوقت وانتقال مقر الحكم والادارة الى القسطنطينية .

قاضى عسكر الرومىلى :

وكان قاضى عسكر الرومىلى أعلى مركزا من زميله قاضى عسكر الأناضول وكان يصحب الجيش العثمانى حيث كان يتوغل فى أوربا يخوض المعارك وكان من اختصاصاته تعيين جميع القضاة الذين يعملون فى أوربا وكذلك العاملين فى المساجد التى أقيمت فى الولايات العثمانية الأوربية (١١٥) .

ولقد قيض لوظيفة قاضى عسكر الرومىلى أن تزداد بمرور الزمن . وكان يساعده فى عمله قسام وذلك فى مسائل الارث كما كان يساعده فى المسائل العامة نائب ومسجل وقد اضيف اليهم الميرى كاتب وكان يبت فى الحالات المتعلقة بأموال الدولة ، كما حصل قاضى عسكر الرومىلى على الحق الخاص أن يقدم أمام محكمته كل القضايا المتعلقة فى محاكم العاصمة الصغرى وأن يختم على أملاك الأشخاص الذين يتوفون بداخلها حفظا لها (١١٦)

وكان من وظيفته كذلك أن يقوم بوظيفة مستشار ديني للسلطان مع الاشراف على توزيع الغنائم والفصل في الخصومات الناشئة (١١٧) بين أفراد الجيش والدعاوى الجنائية والمدنية التي ترفع من الأهالي ضد أحد ممن ينتمون للجيش ، أما توقيع العقوبات الخاصة بالمخالفات العسكرية فلم تكن من اختصاصات قاضي العسكر وإنما كان ذلك من اختصاص السلطة العسكرية (١١٨) .

قاضي عسكر الأناضول :

وجد هذا المنصب في عام ١٤٨٠م وكان قاضي عسكر الأناضول يشترك كعضو في الديوان مع زميله قاضي عسكر الروميلي ويقوم بمصاحبة الجيش في حملاته على آسيا وأفريقيا كما أنه يقوم بتعيين القضاة داخل المناطق التابعة له والاشراف عليهم ومراقبتهم وكذلك تعيين مديري المساجد والموظفين الدينيين داخل منطقة نفوذه .

على أن قاضي عسكر الأناضول فقد معظم سلطته مع تطور الزمن في القرن السابع عشر . فما حل ذلك الوقت حتى كانت كل مسائل القانون والنظام قد انتزعت بحكم القانون من أيدي القضاة وحيث كانت تثار قضايا في الديوان السلطاني كانت تحول برمتها الى قاضي عسكر الروميلي ولم يزد ما كان يقوم به زمياه قاضي عسكر الأناضولي عن دور رسمي في القضايا الا اذا كلفه الصدر الأعظم على وجه السرعة ببعض الأعمال الخاصة كما أصبح النظر في كل حالات الارث المتعلقة بالمسلمين من اختصاص قاضي عسكر الروميلي (١١٩) .

على أنه في حالة غياب قاضي عسكر في مصاحبة الجيوش يقوم القضاة المدنيون المحليون بالقضاء بين الناس ولكن عند

عودتهم يقولون هم القضاء وفقا لمبادئ الشرع الاسلامى وكانت ولاية القضاء فى هذه الآونة شاملة كل أنواع القضايا سواء المدنية أو الجنائية ولم تكن مقصورة على نوع محدد من القضايا . وقد بلغ قضاة تلك العهود من متانة الخلق وقوة العقيدة مستوى لا يسمح لهم باصدار الحكم من غير بحث شامل ودرس دقيق (١٢٠)

القضاة من فئة مولى كبير :

فى بداية نشأة الدولة العثمانية كان القضاة انعمانيون يختارون من بين العلماء المسلمين ممن تلقوا تعليمهم فى مصر والمشرق العربى عموما وذلك قبل أن تفتح المدارس فى الدولة العثمانية لتخريج القضاة ومرورهم بطريق علمى صعب لضمان مستواهم العلمى .

• وكان الموالى العظام يتمتعون بمميزات مختلفة فكان يسمح لهم بارتداء عباة السمر مثلهم فى ذلك مثل الوزراء كما كان يسمح لهم مع كبار أساندة استانبول بحضور الاحتفال الذى كان يقدم فيه فروض الولاء للسلطان الجديد والاحتفال الذى كان يعقد مرتين فى السنة فى عيدى الفطر والأضحى وكان يؤكد فيه الولاء للسلطان (١٢١) .

أما عن مرتباتهم فقد كانوا يحصلون على جزء كبير من دخلهم من مصدرين الرسوم القضائية والغرامات التى يحكمون بها وكلا المصدرين يدر إيرادا وفيرا وكانوا يتقاضون جزءا من الرسوم المقررة على معاينة التركات وتقسيمها والمبيعات وعلى الأوراق الرسمية التى تصدر عن المحاكم ويطلق عليها الحجج الشرعية (١٢٢) . بالإضافة الى الرواتب التى تخصصها لهم الدولة .

وبهذا فقد كان القضاة من فئة مولى كبير يتمتعون بالعديد من الامتيازات الخاصة بهم . وهم الذين يلون قاضي العسكر مباشرة غير أنهم فيما قبل كانوا يمرون بطريق دراسي صعب حتى يصلوا الى هذه المكانة وذلك حفاظا على المكانة العلمية للقضاة وليدولوا دون بلوغ الجاهلين أصحاب الوسايط الى هذه المناصب الجليلة .

المفتشون :

كان القضاة تحت اشراف قضاة العسكر ونظارتهم العامة وكانت اعمال القضاة تفتش من حين لآخر اذا كان هناك مايدعو الى التفتيش ويؤخذ من الوثائق التاريخية القديمة انه فى عهد السلطان محمد جلبي (١٢٣) الاول جد محمد الفاتح عين جمال الدين محمد جلبي مفتشا عاما على القضاة باسم الحكام العثمانية وكان يشرف أيضا على الأوقاف (١٢٤) ثم تطورت أعمالهم حتى اشرفوا على الأوقاف فهم من رجال القضاء وان كان اسمهم لاينم عن مهمتهم القضائية وكان عددهم قليلا يصل الى خمسة مفتشين وهم قضاة من فئة مولى كبير واختصوا بالاشراف على الأوقاف السلطانية ينفقون من ايرادتها على المؤسسات الدينية والخيرية وكان مقر ثلاثة من أولئك المفتشين فى مدينة بروسة ولهؤلاء المفتشين الخمسة جهاز يضم عددا كبيرا من الموظفين المساعدين يتجولون فى مناطق الأوقاف (١٢٥) .

النواب :

وكانت وظائف النواب تمثل أدنى درجات السلم الوظيفي القضائي وكانوا يباشرون اختصاصاتهم القضائية فى المدن الصغيرة

أو في القرى الكبيرة كما كانوا يحلون محل القضاة في اثناء تغيبهم عن عملهم عند قيامهم بالاجازة أو في اثناء مرضهم وكان النائب يحصل على ايرادات ضخمة من حصيللة الغرامات المالية التي كان يحكم بها على المخالفين والذين يرتكبون اعمالا مخلة بالآداب العامة وما الى ذلك (١٢٦) .

يتضح من ذلك أن القضاة في الدولة العثمانية نظموا في شكل هرمي يبدأ من شيخ الاسلام على قمته ويليه قضاة العسكر حتى يصلوا الى الثراب وهم أدنى درجة من درجات السلم القضائي وهم جميعا يقضون حسب احكام الشريعة الاسلامية وكذلك القوانين التي سنها السلاطين وسوف نعرض لها .

كما يتضح أن القضاة في احكامهم كانوا يخضعون لمراقبة شديدة سواء من جانب السلاطين أو العلماء وكذلك كان هناك مراقبة من داخل طبقة العلماء لأعمال القضاة ومدى موافقتها للمشرع الاسلامي . كما تجدر الاشارة الى أن الولاية القضائية للقضاة لم تشمل جميع طبقات السكان في الدولة فهناك محاكم خاصة لبعض الطبقات مثل الاشراف الذين تمتع نقيبهم بنوع من الولاية القضائية عليهم وكذلك وجدت محكمة خاصة بطبقة القبولاري (١٢٧) .

التشريعات العثمانية :

كان السلطان العثماني رئيس الهيئة الاسلامية الحاكمة وكذلك رئيس طبقة القبولاري فهو بذلك يرمز الى كل السلطات الموجودة من تنفيذية وقضائية وتشريعية ونتيجة لقيام الدولة العثمانية على اساس ديني فقد اُضح السلطان هو حامي الاسلام والمسلمين والمدافع عن العقيدة الاسلامية لذا فقد كان من حقه بحكم كونه اماما

للمسلمين وتمتعه بالولاية العامة أن يعين القضاة وأن يصدر التشريعات الخاصة في شكل فرمانات سلطانية لها صفة الالتزام .

ومنحت الشريعة الإسلامية لولى الأمر الحق فى إصدار التشريعات فى الأمور التى لم يأت لها نص من القرآن الكريم وفى سنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مثل قوانين الإدارة مادام تتوافر فيه شروط الاجتهاد وعلى الرعاية العمل بما آل اليه اجتهاده هو أو من أنابه عنه وفى هذه الحالة طاعة لولى الأمر واجبة الاتباع .

ومنذ عهد مؤسس الدولة عثمان الأول (١٢٨) توالى التشريعات وكان يطلق عليها اسم « القوانين » مقابلة لها بأحكام الشريعة التى تنظم شئون الحكم والإدارة ولم تكن هذه التشريعات تستند فى قوتها الإلزامية إلا إلى المبدأ المعروف الذى يقضى بخضوع الرعاية لسلطة لولى الأمر (١٢٩) ومع ذلك فلم يكن إصدارها عملاً تشريعياً بالمعنى المفهوم مادام القانون لم يضيف إضافات جديدة بل أكد العرف الشائع المتبع فقط فهذه القوانين التى سنها السلاطين كانت تعتبر مبدئياً واقعة ضمن نطاق الشريعة أو سليمة فى نظرها كما أن السلطان يصدرها لا بحكم سلطته السياسية المستقلة بل بحكم صلاحية الاجتهاد التى أسندتها الشريعة للحاكم المدنى (١٣٠) .

ويلاحظ أن الفترة التى حكم فيها كل من السلطان محمد الثانى والسلطان سليمان القانونى بنوع خاص قد شهدت نشاطاً ملحوظاً وغير عادى فى وضع التشريعات العثمانية وكان يطلق على هذه التشريعات التى تصدر فى حكم كل سلطان قانون نامه (١٣١) .

يتضح من ذلك أن سلاطين آل عثمان وجدوا على قمة النظام التشريعى فى الدولة العثمانية ولكنهم مع ذلك لم يغفلوا دور شيخ

الاسلام فقد كانت تعرض عليه القوانين قبل العمل بها لاقرارها
ومعرفة مدى مطابقتها للاسلام كما ان العديد من هذه القوانين قد
صدر عبارة عن فتاوى أصدرها شيخ الاسلام ردا على استئلة وجهت
اليه من السلطان العثماني .

ومن هذه الفرمانات التشريعية ما كان عام التطبيق نافدا في
جميع أنحاء الدولة ومنها أيضا ما كان محدود التطبيق بأقليم معين
من أقاليمها كقانون نامه مصر (١٣٢) الذي صدر في عهد السلطان
سليمان القانوني وكان هذا التوافق النظري بين التشريعات العثمانية
واحكام الشريعة الاسلامية يؤيد بان هذه التشريعات كانت تعرض
قبل اكتسابها قوة النفاذ على شيخ الاسلام (١٣٣) وعلى أية حال
فلم يذهب أحد الى أن هذه القوانين تؤلف قانونا علمانيا يناظر
الشريعة ، أو أنها تتناول مجالا خارج نطاق الشريعة فهي لا تعدو
أن تكون تنظيما في شئون لم تحدها الشريعة ، وهي بطبيعة الحال
لا تتعارض مع الشريعة (١٣٤) على أن المادة القانونية التي تضمنتها
هذه القوانين والتي صدرت باسم السلطان وبعد موافقته النهائية
عليها قد اشترك في اعدادها أعضاء الديوان وهم الذين قاموا
بمعاونة مساعديهم بوضع الصياغة القانونية لهذه القوانين (١٣٥) .

ثانيا : قضاة السياسة :

وتمثل قضاة السياسة في الديوان الذي كان يرأس جلساته
السلطان نفسه وبعد ذلك تولى الصدر الأعظم رئاسته .

الديوان :

انتقل الديوان كتقليد اسلامي الى الدولة العثمانية . وفي
أوائل عصرنا كان السلاطين يسير على خطى بعض الأسر الاسلامية
الحاكمة السابقة ، يتولون القضاء بأنفسهم ولكنهم كانوا عادة

ما يقومون بذلك بمساعدة قضاة الشرع فهم يصدررون أحكاما تطابق مفهومهم عما هو عادل ولا يخالف الشريعة أو أغراضها الضمنية(١٣٦) . وكان الديوان يجتمع أربع مرات فى الأسبوع ، أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء فى قاعة بفناء القصر وكانت المناقشات تبدأ من الصباح ثم تتوقف مرتين ليتناول الأعضاء الطعام معا ولا تنتهى الا فى ساعة متأخرة من الأصيل(١٣٧) .

وكانت الشكاوى المرفوعة الى الديوان ترتب حسب تاريخ التقدم الأول فالأول وتستوفى التحقيقات التمهيدية ثم يجتمع الأعضاء فى المواعيد المحددة ويجلس كل منهم فى مكانه حسب قواعد التشريعات وينظرون فيما ورد عليهم من الشكاوى(١٣٨) . وينبئنا الفقيه المصرى ابن حجر العسقلانى فى رواية ترجع الى القرن الـ ١٤م أن الناس كان يوسعهم فى ذلك الوقت التقدم بمظالمهم مباشرة الى السلطان بايزيد الأول وأنه كان يقوم بنظرها على الفور(١٣٩) . ولم يحتفظ بحق الاشتراك فى هذا المجلس غير أركان الدولة وهم قاضيا العسكر وكان أحدهما من الأناضول والآخر من الروم ، ثم أضيف إليهما بعد فتوح سليم الكبرى قاض ثالث من افريقيا وكل من باشا آسيا وباشا أوروبا وكذلك كل من الدفتردارين المنوط بهما أمر الادارة المالية فى نصف الدولة وقد أضيف إليهما ثالث فيما بعد أيضا وهناك أغا الانكشارية وذلك بوصفهم ممثلى الجيش وهناك أمير البحر (قبودان باشا) وصاحب التوقيع (نشانجى) القيم على خاتم السلطان وطغرائه(١٤٠) .

كما يؤخذ من بعض المراسيم السلطانية ، والفرمانات والوثائق الأخرى أنه اذا حدثت منازعات فى بعض القضايا مثل قضايا الرعى والماء والحدود وطلب المتنازعون تدخل الحكومة فيها منعاً لحدوث

أى حادث يوفد من قبل السلطان مباشرة مباشرة بالديوان رجال موثوق بكفاءتهم وخلقهم يجرون التحقيق فى مكان النزاع لظهار الحق من المبطل وعلى ضوء نتيجة تحقيقهم يصدر الفرمان وينفذ مقتضاه وكذلك يفهم من الوثائق المشار إليها أن هذه الاجراءات كانت تتم خلال مدة قليلة (١٤١) .

ذهب بعض الفقهاء الى أن ديوان السلطان العثمانى كان بمثابة مجلس الدولة وله اختصاصات قضائية ، فقد كان يجتمع لينظر فى المسائل السياسية والادارية المهمة التى تهم الدولة ككل بالاضافة الى كونه محكمة قضائية عليا تنظر ما يعرض عليها من القضايا المهمة فهو اذن عبارة عن هيئة تجمع بين طبيعة عمل الوزارة من ناحية والمحكمة من ناحية أخرى (١٤٢) .

وكان السلاطين الى عهد السلطان محمد الفاتح يرأسون الديوان بأنفسهم وفى عهده حدث حادث أدى الى استيائه اضطرب بعده أن يحضر الديوان ويستمتع للشكاوى والمداولات من وراء حجاب وكان ذلك باقتراح من « أحمد باشا كديك » الوزير الاعظم فى ذلك الوقت وكان السلطان يستقبل أعضاء الديوان بعد انتهاء اجتماعاتهم ليعرض أعضاؤه على مسامعه تقريراً عن أعماله ومقرراته (١٤٣) .

وانتقلت رئاسة الديوان بعد ذلك الى الصدر الأعظم الذى كان قد حصل على تفويض عام من السلطان بحكم تقليد الأخير وظيفة الامامة وتأسيسا على هذا التفويض كان الصدر الأعظم يتولى القضاء بالمحكمة العليا بمساعدة قضاة الشريعة بعد أن تم تطعيم الديوان بأكبر العناصر القضائية التى تمثل الشريعة الاسلامية (١٤٤)

الصدر الأعظم ورئاسة الديوان - الدور القضائي للصدر الأعظم :

عندما اتست الدولة العثمانية اتساعا كبيرا نتيجة الفتوحات فى أوربا وأفريقيا بعد ذلك ظهر منصب الصدر الأعظم الذى أصبح بمثابة نائب السلطان فى كافة أمور الدولة كما امتدت سلطاته الى رئاسة الديوان ، مما ترتب عليه وجود اختصاصات قضائية للصدر الأعظم .

وحدد قانون نامه محمد الفاتح مركز الوزير الأول فجاء فيه « لتعلم أولاً أن الصدر الأعظم هو رئيس الوزراء والأمراء وأنه أعظمهم جميعاً وصاحب الصلاحية المطلقة فى إدارة شئون الدولة وللصدر الأعظم فى حركاته وسكناته وفى قيامه وقعوده حق التقدم على جميع موظفى الدولة (١٤٥) وكان معظم من شغل منصب الوزير أو الصدر الأعظم حتى فتح القسطنطينية ١٤٥٣م من المسلمين الأحرار الذين برز من بينهم أسرة جندرلى ، ولكن بازدياد الاعتماد على الدفترمة أصبح الاعتماد متقطعاً على أفراد فى الوزارة العظمى منذ عهد السلطان محمد الأول ثم بشكل متزايد منذ عهد السلطان محمد الثانى (١٤٦) » .

وقد حفظ له نظام التشريفات الخاص بالبلاد مقامه كنائب السلطان فكان يتقبل فى أيام ثابتة من الأسبوع شأن السلطان نفسه ولاء موظفى البلاط والدولة وكان لا يظهر للجماهير الا وسط حاشية ممتازة وهكذا انتهى قصره فى الباب العالى حيث كان يجمع رؤساء الدولة للمشاورة الى أن يصبح هو مقر الحكومة الحقيقية (١٤٧) .

وكان الديوان أعلى محكمة فى الدولة العثمانية وهى محكمة من طراز فريد فليست لها اختصاصات محكمة الاستئناف أو محكمة من أول درجة أى المحاكم الابتدائية ، وكان لا يدخل فى اختصاصات

محكمة الديوان مناقشة شرعية القوانين ، ومع ذلك فإن الديوان كمحكمة تشمل ولايته القضائية جميع القضايا المدنية والجنائية التي ترفع اليه من أى جزء من أجزاء الدولة وبذلك فقد كانت سلطته القضائية غير مقيدة (١٤٨) .

أما عن عرض القضايا فعندما يبدأ الديوان النظر فى المسائل القضائية كان ببولك . تذكرجى (كبير السكرتارية) يقف أمام الصدر الأعظم ويتولى قراءة الشكاوى والعرائض المقدمة للديوان للفصل فيها ثم يكتب القرار الذى يتخذه فى شأن كل عريضة أو شكوى ولكن أدى ازدحام جدول أعماله بالعديد من المسائل المتنوعة الى استبعاد المسائل الفردية وتخصيص دفتر لبحث المسائل العامة (١٤٩) .

ويذكر البعض أن اشتراك قضاة العسكر فى هذا الديوان كان ميزة لهم لم يشاركهم فيها شيخ الاسلام (١٥٠) ولكن يمكن الرد على ذلك بأن عدم تقرير عضوية شيوخ الاسلام فى الديوان كان نوعا من التكريم لشيخ الاسلام تفاديا لوجوده فى موقع يكون فيه تحت رئاسة الصدر الأعظم انذى كان يرأس بحكم منصبه الديوان (١٥١) .

وبالإضافة الى القضاء الجالس (١٥٢) للصدر الأعظم فى الديوان كان له أيضا نوع من القضاء المتجول ان كان يقوم بجولات فى الأسواق أيام الجمعة والأربعاء من كل أسبوع بصحبة القضاة للفتيش على اتباع القوانين والأعراف المتعارف عليها فى الحرف والتجارة وتوقيع العقوبة فى الحال على من يضبط مخالفا هذه القوانين والأعراف (١٥٣) .

ولكن يبرز هنا سؤال عن دور القضاة الموجودين فى الديوان فى اصدار الأحكام ؟ وهل كانت هذه الأحكام تصدر باسم الصدر الأعظم ؟ .

اننا نميل الى ان دور القضاة فى هذه الجلسات كان دورا استشاريا مقصورا على تقديم المشورة الشرعية فى القضايا التى تعرض على الديوان وكان الصدر الأعظم بحكم رئاسته الجلسات تخرج أحكامه باسمه ورأيه . ويعتبر هذا النوع من القضاء امتدادا فى جوهره لنظام قضاء المظالم فى العهد الاسلامى وبذلك يبرز الطابع العثمانى فى محاولة اتباع التقاليد الاسلامية التى جادت بها حضارة الاسلام كما يظهر حرص السلاطين على اقرار العدالة ونشرها بين الناس وردع المظالمين والظلمة .

كما يتضح ان كثرة عرض القضايا العامة والخاصة على الديوان أدت الى عجزه عن نظر هذا الكم الهائل فاقتصر فى النهاية على الامور العامة دون الخاصة . ووجد مساعدون للصدر الأعظم فى ادارة جلسات الديوان وتطورت اختصاصاتهم القضائية مع التطور الزمنى حتى أنهم حصلوا على اختصاصات قضائية شديدة الأهمية وهؤلاء الموظفون هم جاوش باشى (١٥٤) والتذكيرية .

الجاوش باشى :

كان الجاوش باشى يقوم بمجموعة مختلفة من المهام ترجع فى أصولها على أى حال الى تولية قيادة الجاوشية فهم كانوا فى الأصل يحضرون جلسات محكمة السلطان لمراقبة تنفيذ الأحكام الصادرة من محكمة السلطان (١٥٥) وعندما تحولت رئاسة محكمة السلطان الى الصدر الأعظم أصبح الجاوش باشى تابعاً له وكان له دور كبير فى اجراءات المحكمة حتى وصل به الأمر فى القرن الثامن عشر أن أصبح نائبا لرئيسها وبهذه الصيغة الجديدة التى أضيفت كان الجاوش باشا يرأس الجلسات التحضيرية فى المحكمة توفيراً لوقت الصدر الأعظم فيعد ملخصاً للقضايا التى على الصدر الأعظم أن يفصل فيها (١٥٦) .

وكانت مهمة الجاوشية الخاضعين لأمرته هي ادخال الشائعين والمدعين والمتهمين الى محكمة المصدر الأعظم وعمل الرسائل وتعيين احكام معينة ويقرر الجاوش باشى أى القضايا تقدم الى محكمة الديوان وأيضا يقدم أمام محاكم أقل أهمية (١٥٧) .

التذكيرية :

وقد أدى تطور أعمال الجاوش باشى الى الإشراف على أعمال اثنين من الموظفين يسميان التذكيرية ويقصد بالتذكيرة هذا عرض الدعاوى المقدمة وكان يطلق على أحد هذين الموظفين «بيوك تذكيرجى» أى التذكيرجى الكبير بينما يطلق على الآخر «كجوك تذكيرجى» أى التذكيرجى الصغير وكنا يتناوبان مهمة قراءة الشكاوى المقدمة للمصدر الأعظم ثم كتابة القرار الذى يتخذه الأخير فى كل منها (١٥٨)

وعلى أية حال فإن وضعهما الرسمى كان متواضعا ، بحيث أنهما فى قانون نامه محمد الفاتح يبدوان متمتعين بالأسبقية على كتبة الرئيس وحدهم ، وبالإضافة الى ماكان عليهما عمله فى محكمة الوزير كان عليهما أن يصوغا الأوامر التى كان يقولى اصداؤها الى الادارات الحكومية المختلفة (١٥٩) .

يتضح من ذلك أن الدولة العثمانية كدولة ثنية فى أوج قوتها عملت على الاهتمام بنشر العدالة بين رعاياها ، والاهتمام بحضور السلاطين ومن بعدهم الصدور العظام فى رئاسة جلسات الديوان وهو أكبر محكمة قضائية فى الدولة ولاريب فى أن ذلك أضفى مزيدا من المهابة على أحكام هذه المحكمة التى يصدرها السلطان أو نائبه المصدر الأعظم مما أدى الى قمع المفسدين ونشر العدالة .

ولم يكن قضاء السياسة فى الدولة العثمانية مقصورا على السلطان والمصدر الأعظم بحكم رئاستهم للديوان فقد وجد قاض آخر للشئون المالية هو الدفتردار .

الدفتردار :

انشأت الدولة العثمانية فى أول الأمر وظيفتين شغل احدهما دفتردار شمل اختصاصه بلاد البلقان وبقية الأقاليم الأوربية التى خضعت للسيادة العثمانية ويسمى دفتردار الروملى وكذلك الآخر اهتم بالشئون المالية للأناضول ويسمى « دفتردار الأناضول » وكان دفتردار الروملى أعلى مكانة من دفتردار الأناضول وقد أصبح يتولى المسئولية عن السياسة المالية للدولة كلها (١٦٠) .

وفى مقدمة قانون نامه « محمد الفاتح » ورد ذكر له بصفتة وكيلًا للمسلطان فى الشئون المالية شأنه فى ذلك شأن الصدر الأعظم الذى كان هو يليه مباشرة بحيث أن الصدر الأعظم كان بمثابة مفتشه (١٦١) .

ونتيجة لخطورة وأهمية عمل الدفتردار فقد وجد تحت امرته جهاز هائل من الموظفين الاقتصاديين والمحاسبين يناظر فى حجمه الجهاز الذى يعمل فى الباب العالى نفسه وكان هذا الجهاز ينقسم الى قسمين أحدهما يختص بالموازنة والمراجعة والمحاسبة ، والقسم الآخر هو قضائى عبارة عن محكمة تفصل فى المنازعات التى تثار بين المواطنين والحكومة حول مستحقات الدولة من العائدات والضرائب (١٦٢) .

وبذلك فقد رأس الدفتردار محكمة تفصل فى المنازعات التى كانت تحدث بين الحكومة والأفراد فيما يتعلق بالمسائل المالية ، كما كانت هذه المحكمة تختص بالنظر فى الشكاوى التى يتقدم بها الأفراد ضد الدولة على سبيل المثال فيما يخص الضرائب وبهذا فقد عرفت الدولة العثمانية فى هذه الفترة المحاكم المختصة التى يختص كل منها بالنظر فى نوع معين من القضايا .

موازنة بين القضاة فى الدولتين المملوكية والعثمانية :

رأينا نظم القضاة فى الدولة المملوكية وكيف ان السلاطين اهتموا باستغلالهم كواجهة دينية لحكمهم لاكتساب الشرعية فى نظر الناس ، فى نفس الوقت الذى انهارت فيه نظم التقاضى ولاسيما قضاة المشرع الشريف ، وتعددت جهات التقاضى من كبار موظفى الدولة مما ادى الى الانهيار التام للنظم القضائية ولأوضاع القضاة الشرعيين فى هذا العصر وانتشار الفساد والرشوة سواء عند التعيين فى مناصب القضاء أو عند اصدار الأحكام القضائية •

أما فى الدولة العثمانية فقد قامت على أساس دينى كامارة مجاهدين لذا اهتمت اهتماما بالغا بالنظم القضائية وتحسين أوضاع القضاة ، وكان من أهم اختصاصات الدولة عندهم نشر العدالة عن طريق اقامة جهاز قضائى قوى لذا فقد كان على القضاة أن يملأوا بطريق دراسى صعب وطويل لدراسة العلوم الاسلامية ، وترتب على ذلك أن العثمانيين عملوا عند دخولهم مصر على تحسين النظام القضائى وربطه بهيئة القضاء الاسلامى فى استانبول ومنع الفوضى والمهاوى الأخلاقية التى وجدوا عليها أحوال قضاة مصر عند الفتح العثمانى لها •

هوامش الفصل الأول

(١) المماليك . ينتمى المماليك الى النرق وكان الخلفاء المباسيون هم أول من استخدم المماليك أو الرقيق البيض واعتمدوا عليهم فى توطيد نفوذهم . وفى مصر فى العصر الايوبى زادت اعداد المماليك زيادة كبيرة ذلك لأن ورثة صلاح الدين من أبنائه وأخوته اقتسموا فيما بينهم تلك الدولة الواسعة ونتيجة لازدياد الاضطرابات وسوء العلاقات بين هؤلاء الحكام لم يجد امراء المسلمين من أيوبيين وغير أيوبيين وسيلة يقفون بها فى وجه خصومهم سوى المماليك فاكثروا من شرائهم وعنوا بتدريبهم وتنشئتهم ليكونوا عدة وسندا لهم وسرعان ما غدا لأولئك المماليك كلمة مسموعة نى الأحداث حتى تولوا حكم البلاد بعد مقتل توران شاه . انظر د/قاسم عبده قاسم . دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى - عصر سلاطين المماليك . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٣ ط ٢ ص ١١ .

(٢) د/سعيد عبد الفتاح عاشور - العصر المماليكى فى مصر والشام دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٦ . ج ٢ ص ١١ .

(٣) بيبرس البندقدارى . تولى الحكم فى ٢٣ أكتوبر ١٢٦٠م لمدة سبعة عشر عاماً استطاع فى فترة حكمه أن يظهر قوة الشكيمة فى تصريف الأمور وظهر بطولات كثيرة فى صد اخطار الصليبيين والتتار عن بلاد الشام . وعمل على تخفيف الأعباء الملقاة على كواهل الأهالى ووضع النظام الادارى فى مصر والشام فى العصر المملوكى . انظر د/سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٧٨ .

(٤) محمود بن محمد بن عرنوس . تاريخ القضاء فى الاسلام - المطبعة الاهلية د/ت . ص ١٠٥ .

- (٥) جلال الدين السيوطى - حسن المحاضرة فى أخبار مصر الناصرة - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة ١٩٦٨ ج٢ ص ١٦٦ .
- د/ على ابراهيم حسن - دراسات فى تاريخ الممالك البحرية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٤ . ج٤ ص ٣١٥ .
- د/حسن ابراهيم حسن و د/على ابراهيم حسن - النظم الاسلامية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٠ . ص ٣٠٧ - د/محمد جمال الدين سرور - الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره - دار الكتب - القاهرة ١٩٣٨ . ص ١٣٨ .
- (٦) د/ عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر - الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤ . ج١ ص ٩٥ .
- (٧) جمال جرجس يوسف - القضاء فى العصر المملوكى - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاداب جامعة عين شمس . ص ١٣٩ .
- (٨) محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والادبى - القسم الثانى . مكتبة الاداب - القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٧٩ .
- (٩) جلال الدين السيوطى - مصدر سابق . ج٢ ص ١٦٤ .
- د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٧٨ .
- (١٠) د/ محمد جمال الدين سرور - مرجع سابق . ص ١٣٧ .
- د/ حسن ابراهيم و د/ على ابراهيم - مرجع سابق . ص ٣٠٧ .
- (١١) السلطان برقوق . هو أول سلاطين المماليك الجراكسة (١٢٨٢م : ١٥١٧م) اختص المماليك الجراكسة بالاقطاعات والوظائف الكبيرة على حساب المماليك الترك . وأدت هذه السياسة الى نشوب خنزير من الثورات التى اتصف بها عهده حتى عزل فى احداها ولكنه نجح فى العودة الى السلطنة مرة أخرى فى ١٣٩٠ : ١٣٩٩ م وأوصى بالعرش لأولاده فرج وعبد العزيز و ابراهيم على التوالى كما أنه اختار مجلس الوصاية عليهم . ابنل د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ١٦٥ .
- (١٢) ابن حجر العسقلانى - انباء الغمر بأنباء الممر - تحقيق د/ حسن حبشى . لجنة احياء التراث الاسلامى - القاهرة ١٩٦٩ . ج٢ ص ٦٨ .

- (١٣) محمد بن أحمد بن إياس - بدائع الزهور فى وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة - القاهرة ١٩٨٤ ج ٥ ص ٢٥ .
- (١٤) د/ أحمد عبد الرازق - البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٧٩ ج ٥ ص ١٠٥ .
- (١٥) ابن إياس - مصدر سابق - ج ٤ ص ١٧١ .
- (١٦) نفسه ونفس الجزء - ص ٩١ .
- (١٧) ابن حجر العسقلانى - مصدر سابق ج ١ ص ١٧٢ .
- (١٨) نفس المصدر والجزء - ص ٣٣١ .
- (١٩) على بن دواد الجوهري المصيرفى - نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان - تحقيق د/ حسن حبشى - القاهرة ١٩٦٩م ج ١ ص ٤١٠ .
- (٢٠) د/ أحمد عبد الرازق - مرجع سابق ج ٥ ص ١٠٥ .
- (٢١) سقط مخلق . والسقط هو ولادة الولد لغير تمام وقد اسقطته أمه . والمقصود هنا سقوط الجنين غير كامل وموته لأنه سقط قبل تمام مدة الحمل .
- (٢٢) ابن حجر العسقلانى مصدر سابق - ج ١ ص ١٠٤ .
- ابن المصيرفى فى - مصدر سابق - ج ١ ص ٩٧ .
- (٢٣) ابن إياس - مصدر سابق ج ٥ ص ٧٤ .
- (٢٤) د/ على إبراهيم حسن - دراسات فى المماليك البحرية مرجع سابق - ص ٣٠٤ .
- د/ عبد المنعم ماجد - مرجع سابق - ج ١ ص ١٠٢ .
- (٢٥) د/ عبد المنعم ماجد - مرجع سابق ج ١ ص ٩٨ .
- (٢٦) ابن إياس - مصدر سابق ج ٤ ص ٦٦ .
- (٢٧) د/ على إبراهيم حسن - دراسات فى تاريخ المماليك مرجع سابق ص ٣٥٥ .
- (٢٨) د/ عبد الخالق حسين - النظم القضائية فى عصر سلاطين المماليك - رسالة دكتوراه غير منشورة كلية دار علوم - جامعة القاهرة ١٩٨١ ص ٢٥٦ .
- أبى العباس أحمد بن على القلقشندى - صبح الاعشى فى صناعة الانشاء - وزارة الثقافة والارشاد القومى - القاهرة د/ت ج ٤ ص ٤٢ .

- (٢٩) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق ص ٨٢ .
 (٣٠) د/ قاسم عبده قاسم - مرجع سابق ص ٢٦ .
 (٣١) ابن حجر العسقلاني - رفع الاصر عن قضاة مصر ، مخطوط
 بدار المکتب المصرية رقم ١٣١٦ تيمور - ص ٥١١ - كذلك انظر لنفس المؤلف
 انباء الغمر - مصدر سابق ج٢ ص ١٠٢ .
 (٣٢) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر - مصدر سابق ج١ ص ١١٣
 (٣٣) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ص ٢٧٨ .
 (٣٤) د/ احمد عبد الرازق - مرجع سابق . ص ١٠٤ .
 - د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ص ٣٢٢ .
 (٣٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر . مصدر سابق ج١ ص ٢٩٠
 (٣٦) ابن حجر العسقلاني - رفع الاصر . مصدر سابق - ص ١٧٦ .
 (٣٧) د/ على ابراهيم حسن - دراسات - مرجع سابق ص ٢٦٧ .
 (٣٨) ابن اياس - مرجع سابق - ص ٢٦٧ .
 (٣٩) د/ على ابراهيم حسن - دراسات مرجع سابق . ص ٣٦٧ .
 (٤٠) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق - ص ٢٩٥ .
 - د/ احمد عبد الرازق - مرجع سابق - ص ١٠٥ .
 (٤١) ابن اياس - مصدر سابق ج٤ ص ١١٣ .
 (٤٢) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ١٥٩ .
 (٤٣) محمود رزق سليم - مرجع سابق ص ١٠٣ .
 - د/ على ابراهيم حسن - مصر في العصور الوسطى مرجع سابق
 ص ٣٥٢ .
 (٤٤) جلال الدين السيوطي - مرجع سابق . ج٢ ص ١٦٨ .
 (٤٥) ابن حجر العسقلاني انباء الغمر - مصدر سابق ج١ ص ٥٢ .
 (٤٦) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق - ص ٦٥ .
 (٤٧) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق ص ٢٦٥ .
 (٤٨) الاتابك : مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكي . انظر
 د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ٢٨٧ .
 (٤٩) ابن اياس - مصدر سابق . ج٤ ص ٢٨ .
 (٥٠) نفس المصدر - ونفس الجزء ص ٢١١ .

- (٥١) د/ قاسم ميه قاسم - مرجع سابق . ص ٢٤ .
- (٥٢) جلال الدين السيوطي - مصدر سابق . ج٢ ص ١٦٨ .
- ابن حجر العسقلاني - ربح الاصل مصدر سابق . ج١ ص ٢٩٠ .
- (٥٣) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق ص ٣٧٨ .
- (٥٤) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ص ٥٢٩ .
- د/ محمد جمال الدين سرور - مرجع سابق . ص ١٣٩ .
- د/ علي ابراهيم و د/ حسن ابراهيم - مرجع سابق ص ٣١٩ .
- (٥٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغرر مصدر سابق . ج١ ص ١٢١ .
- (٥٦) نفس المصدر ونفس الجزء . ج١ ص ١١ .
- (٥٧) من القواعد التي توجد في قانون المياسة أن من زنى قتل ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ومن بال في الماء قتل ، وبها حدود ربما وافق القليل منها الشريعة الاسلامية وأكثرها مخالف . انظر . القلقشندي مصدر سابق ج٤ ص ٣١١ .
- (٥٨) تقي الدين المقرئ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - مكتبة الثقافة الدينية القاهرة - ١٩٨٧ ط٢ ج٢ ص ٢٣٠ .
- القلقشندي - مصدر سابق . ج٤ ص ٣١٠ .
- (٥٩) د/ عبد المنعم ماجد . مرجع سابق . ج١ ص ٩٢ .
- (٦٠) د/ عبد الخالق حسين . مرجع سابق . ص ٤٠١ .
- (٦١) د/ حكيم امين عبد السيد - قيام دولة المماليك الثانية - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ ص ١١٩ - محمود رزق سليم . مرجع سابق . ص ٥٤ .
- (٦٢) عبد الخالق حسين . مرجع سابق . ص ٤٠٢ .
- د/ حكيم امين - مرجع سابق . ص ١١٩ .
- (٦٣) جلال الدين السيوطي - مصدر سابق . ج٢ ص ١٣٣ .
- د/ علي ابراهيم حسن - دراسات في عصر المماليك . مرجع سابق ص ٣٥٥ .
- (٦٤) د/ عبد المنعم ماحد - مرجع سابق . ج١ ص ١١١ .
- (٦٥) المقرئ - مصدر سابق . ج١ ص ٢٢١ وما بعدها .
- (٦٦) د/ احمد عبد الرازق مرجع سابق ص ٥٥ .

(٦٧) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق . ج١ ص ١٩٤ .

(٦٨) د/ عبد الخالق حسين - مرجع سابق . ج٢ ص ١٤٢ .
- ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق ج٢ ص ١٤٢ -
وعن جهل الحاجب بالامور الشرعية انظر ابن اياس - مصدر سابق . ج٤ ص ٣٤٠ .

(٦٩) جمال جرجس يوسف - مرجع سابق . ص ٥٠ .

(٧٠) الأستاذار : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خائاه والغلمان وهو الذي يمشى بطلب السلطان ويحكم في غلمانه وباب داره وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاج اليه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى - انظر القلقشندي . مصدر سابق . ج٤ ص ٢٠ .

(٧١) ناظر المخاص : هو من كبار الموظفين الذين شاركوا الوزير في تصريف أعماله ومهمة ناظر الخاص أن ينظر في خاص اموال السلطان .
انظر د/ سعيد عاشور . مرجع سابق ص ٤٨٠ .

(٧٢) المشير : الوظيفة من الوظائف الكبرى في الدولة المملوكية جعلها القلقشندي في الترتيب بعد نيابة السلطنة والوزراء ومع ذلك لا نجد تحديدا لاختصاص صاحب هذه الوظيفة في المراجع المعاصرة وان كان من الثابت أنه تولاها عادة بعض كبار رجال الممالك وأن صاحبها كان يحضر مجلس المشورة . انظر د/ سعيد عاشور مرجع سابق ص ٤١٢ .

(٧٣) الدوادار : أى ممسك الدواة والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه ويقدم القصص والشكاوى اليه . انظر د/ سعيد عاشور - مرجع سابق . ص ٤٣٨ .

(٧٤) ابن اياس - مصدر سابق . ج٤ ص ٧٦ .

(٧٥) ابن حجر العسقلاني - انباء الغمر مصدر سابق . ج٢ ص ١٤٢ .

(٧٦) ابن اياس - مصدر سابق . ج٤ ص ٢٠٩ .

(٧٧) ابن اياس - مصدر سابق ج٤ ص ٤٤ وقال فيه ابن اياس :
يقول له اذا طيشته رياسته رويدك لا تعجل فقد غلط الدهر
ترفق يراجع فيك دهرك رأيه فما سرت الا والزمان به سكر

(٧٨) يذكر المؤرخون أن أول من أفرد يوما خاصا لقضاء المظالم هو الخليفة عبد الملك بن مروان وكان اذا وقف منها على أمر يحتاج الى مراجعة راجع فيه قاضيه أبا ادريس الأودي .

(٧٩) المارودي - الأحكام السلطانية والولايات الدينية دار الفكر - القاهرة ١٩٨٣ . ص ١٥١ .

(٨٠) المقرئى - مصدر سابق ج٢ ص ٢٠٧ .

(٨١) د . حسن إبراهيم ود . على إبراهيم - مرجع سابق . ص ٢٩٤

(٨٢) السلاحدار : حامل السلاح بين يدى السلطان .

(٨٣) الجمدارية : وهو الذى يتصدر لالباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله جاما دار فحذفت الالف بعد الجيم وبعد الميم استثقلا وقيل جمدار وهو فى الأصل مركب من لفطين فارسيين أحدهما جاما ومعناها الثوب والثانى دار ومعناها ممسك كما تقدم فيكون المعنى ممسك الثوب . انظر القلقشندى . ج٥ ص ٤٥٩ .

(٨٤) د/سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٨٠ .

(٨٥) د . عبد المنعم ماجد ، مرجع سابق . ج١ ص ١١٣ .

(٨٦) ابن الصيرفى . مصدر سابق . ج١ ص ٤١٠ .

(٨٧) د . محمود رزق سليم - مرجع سابق . ص ٥١ .

(٨٨) ابن اياس - مصدر سابق - ج٤ - ص ٣٢٩ .

(٨٩) نفس المصدر ونفس الجزء . ص ٣٦٨ .

(٩٠) القرآن الكريم . آل عمران آية ١٠٤ .

(٩١) د . حسن إبراهيم ود . على إبراهيم حسن - مرجع سابق .

ص ٣١٣ .

د . سعيد عبد الفتاح عاشور - مرجع سابق . ص ٣٨١ .

(٩٢) د . عبد المنعم ماجد - مرجع سابق ج١ ص ١٢٨ .

(٩٣) د . على إبراهيم حسن - دراسات فى تاريخ الممالك مرجع

سابق . ص ٣٥٢ .

(٩٤) د . عبد المنعم ماجد - مرجع سابق - ج١ ص ١٢٩ .

(٩٥) نفس المرجع ونفس الجزء . ص ١٢٧ .

(٩٦) هو السلطان فرج بن برقوق الذى جعل شرب الخمر من شعائر المملكة وذلك منذ عام ٧٩١هـ - ١٣٨٩ م .

(٩٧) الهيئة الاسلامية الحاكمة كانت هذه الهيئة تضم بين صفوفها جميع رعايا الدولة المسلمين الاحرار بما انضم اليهم من مسيحيين اعتنقوا الاسلام طوعا فاصبحوا بدورهم مسلمين احرارا . وافراد الهيئة الاسلامية متساوون جميعا . وهيات لهم الدولة مبدءا تكافؤ الفرص بمعنى ان الذين حصلوا منهم على قسط وافر من التعليم فى علوم الشريعة وأصول الدين وما يتصل بها من دراسات كانوا يشغلون المناصب فى سلك القضاء والافتاء والتدريس وما الى ذلك ، أما افراد الهيئة الاسلامية الذين لم يصلوا فى تعليمهم لنهاية الشوط فكانوا يشغلون المناصب الصغرى فى القطاع الدينى وفى وظائفه الادارية - انظر د/ عبد العزيز الشناوى - الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتقرى عليها - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٠ . ج١ ص ٣٩٦ .

(٩٨) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٨ .

(٩٩) هاملتون جب . ومارولدبيروين - المجتمع الاسلامى والغرب ترجمة د/ احمد عبد الرحيم مصطفى - دار المعارف - القاهرة ١٩٧١ . ج١ ص ١٧٠ .

(١٠٠) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٤٠١ .

(١٠١) كارل بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية - ترجمة نبيه أمين غارس منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت د/ت ص ١٠١ .

(١٠٢) İsmail Hakkı, uzuncarsili Osmanlı Devletinin
İlimiye Teshkilatı, Ankara, 1984, C, P. 458.

(١٠٣) د/ عمر عبد العزيز - تاريخ المشرف العربى ١٥١٦/١٩٢٢م .
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٨٥ . ص ٥٩ .
- جب وبويوين - مرجع سابق . ج١ ص ١٧١ .

(١٠٤) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٩ .

(١٠٥) عين على افندى - قوانين آل عثمان - ترجمة وتعليق خليل ساحلى اوغلو - مجلة دراسات - عمان - المجلد ١٤ - شعبان ١٤٠٧ هـ
ص ١١٣ .

(١٠٦) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج١ ص ٤٠٨ .

(١٠٧) على همت اقسكى - العادل العثماني ابو الفتح السلطان محمد الثاني وحياته العدلية - ترجمة محمد احسان عبد العزيز - مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٠ .

Ismail Hakki, Uzuncarsili, P. 14. (١٠٨)

(١٠٩) السلطان مراد الاول هو ابن السلطان اورخان تولى الحكم في عام ٧٦١ هـ ١٣٦٠م وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة انقره قتل اثناء قتاله مع الصرب في موقعة قوصوه عام ١٣٨٩م وبذلك فقد كانت مدة حكمه ثلاثين سنة نجح خلالها في مد رتبة الدولة العثمانية في أجزاء كثيرة من أوروبا . انظر محمد فريد - تاريخ الدولة العثمانية - دار الجبل - بيروت ١٩٧٧ ص ٤٨ .

(١١٠) على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٥ .

(١١١) أحمد جودت - تاريخ حودك - ترجمة المجلد الاول عبد القادر الدنا - جريدة بيروت - لبنان - ١٣٠٨ هـ . ص ١٢٢ .

(١١٢) الطوغ « ذيل الحصان » استعمل للدلالة على المرتبة والنفوذ - وهو تقليد قبلي استمده الاتراك من بيئتهم الأصلية وكان الوزراء وحكام الولايات يحمل كل منهم « طوغ » والبكوات وشيخ الاسلام كان له اثنان وقضاة العسكر يحملون طوغ انظر :

S.J. Shaw. Ottoman Egypt In Eighteenth Century Harvard, 1962 P. 38.

(١١٣) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ١٢٢ .

(١١٤) جب / يويين - مرجع سابق ج١ ص ١٦٨ د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ٤١ ، ٤٢ .

- على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٦ .

(١١٥) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٤٢٥ .

(١١٦) جب / يويين - مرجع سابق ج١ ص ١٧٥ .

(١١٧) كان قاضى عسكر الرومبلى اعلى راتبا من قاضى عسكر الاناضول فقد كان يحصل على ٥٧٢ أقة يوميا بينما قاضى الاناضول يحصل على ٥٦٣ أقة - انظر عين على افندى - مرجع سابق ص ١١٣ .

(١١٨) على همت اقسكى - مرجع سابق ص ١٠٦ .

- (١١٩) جب / بووين - مرجع سابق • ص ١٧٤ •
 (١٢٠) على همت اقسكى - مرجع سابق • ص ٩٣ •
 E.J. Show Op. Cit. P. 38

- (١٢١) جب / بووين مرجع سابق ص ١٧٩ •
 (١٢٢) د/ عبد العزيز الشناوى مرجع سابق ص ١٧٩ •
 - عين على افندى مرجع سابق ص ١١٣ •

(١٢٣) السلطان محمد جلبى الأول - بعد هزيمة السلطان بايزيد الأول في موقعة انقرة امام تيمور لك عام ١٤٠٢ م وبعد وفاته في الأسر حدثت المنازعات بين أبنائه الثلاثة على العرش الى أن استطاع السلطان محمد جلبى الأول القضاء عليهما وتولى أمور البلاد • وكانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروبا داخلية لارجاع الامارات التي استقلت في مدة الفوضى التي اعقبت موت السلطان بايزيد وتولى السلطان محمد جلبى في عام ١٦٢١م - انظر محمد فريد - مرجع سابق ص ٥٣ •

- (١٢٤) على همت اقسكى - مرجع سابق • ص ١٣٤ •
 (١٢٥) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق • ص ٤٢٩ •
 (١٢٦) نفس المرجع والجزء • ص ٤٣٢ •

(١٢٧) طبقة القبوقلارى - وهى تعنى عبيد السلطان وكانوا في نشاطهم الأولى مسيحيين أنقزعتهم الدولة من ضمن أسرى الحرب وحولوا الى الاسلام لا يعرفون لهم أبا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله وكانوا هم أدوات الحرب والحكم في الدولة بدأ ذلك منذ عهد السلطان اورخان • انظر محمد فريد - مرجع سابق • ص ٤٢ •

(١٢٨) عثمان الأول : هو المؤسس الحقيقى للدولة العثمانية ، تولى الحكم بعد وفاة أبيه أرطغرل في ١٢٨٨م منحه الملك علاء الدين لقب بك وأجاز له ضرب العملة وان يذكر اسمه في الخطبة وبعد وفاة علاء الدين بـ (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة « يكي شهر » انظر محمد فريد مرجع سابق - ص ٤٠ •

- (١٢٩) د/ محمد نور فرحات - التاريخ الاجتماعى للقانون في مصر الحديثة - القاهرة ١٩٨٦ • ص ٢١ •
 (١٣٠) د/ عمر عبد العزيز - مرجع سابق • ص ٥٧ انظر ايضا •

- (١٣١) د / عبد العزيز الشناوى مرجع سابق ج١ ص ٤٠٢ .
- (١٣٢) قانون نامه مصر : وضع هذا القانون فى عهد السلطان سليمان القانونى ١٥٢٥م لتنظيم امور ولاية مصر وهو ينظم الادارة العثمانية فى مصر واختصاصات الموظفين بدءا من الباشا والديوان وكيفية انعقاده . وترجى نسخة محفوظة من هذا القانون بالترخية - دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤ طلعت - وقام د / احمد فؤاد متولى بترجمته ونشره بالعربية - انظر قانون نامه مصر - ترجمة د / احمد فؤاد متولى - الانجلو المصرية القاهرة ١٩٨٢ .
- (١٣٣) د / عمر عبد العزيز - مرجع سابق ص ٥٨ د / محمد نور فرحات - مرجع سابق ص ٩٦ .
- (١٣٤) جب / يويين - مرجع سابق ص ٣٦ .
- (١٣٥) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج١ ص ٣٩٤ .
- (١٣٦) جب / يويين - مرجع سابق ص ١٦٠ .
- (١٣٧) كارل بروكلمان - مرجع سابق ص ٤٧٧ .
- (١٣٨) على همت افسكى - مرجع سابق ص ٤٩ .
- (١٣٩) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق ص ٢٣ .
- (١٤٠) كارل بروكلمان - مرجع سابق ص ٤٧٦ .
- (١٤١) على همت افسكى - مرجع سابق ص ٥٤ .
- (١٤٢) د / محمد نور فرحات - مرجع سابق ص ٤٦ .
- (١٤٣) على همت افسكى - مرجع سابق ص ٥١ جب / يويين - مرجع سابق ص ١٦٦ . كارل بروكلمان - مرجع سابق ص ٤٧٧ .
- (١٤٤) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ٣٩١ جب / يويين - مرجع سابق ص ١٦٠ .
- د / محمد نور فرحات - مرجع سابق ص ٢٢ .
- (١٤٥) د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ٣٥٩ .
- (١٤٦) د / عبد الكريم رافق - بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بوناپرت - دمشق د / ت ٠ ج١ ص ٦٣ .
- (١٤٧) كارل بروكلمان - مرجع سابق ص ٤٧٤ .
- د / عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ص ٣٦٢ .

- (١٤٨) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٣٩٣ .
 - د/ محمد نور فرحات - مرجع سابق ٠ ص ٣٣ .
- (١٤٩) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٣٩١ .
 - د/ محمد نور فرحات - مرجع سابق ٠ ص ٤٨ .
- (١٥٠) جب / بووين - مرجع سابق ٠ ج١ ص ١٧٣ .
- (١٥١) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٤٢٥ .
- (١٥٢) يقصد بالقضاء الجالس أى القضاء المستقر فى المحاكم بعكس القضاء اثناء السير مثل قضاء المحتسب اثناء جولاته أو قضاء الصبر الاعظم فى جولاته .
- (١٥٣) د/ محمد نور فرحات - مرجع سابق ٠ ص ٣٣ - جب / بووين - مرجع سابق ٠ ج١ ص ١٦٠ .
- (١٥٤) جاوش باشى - تولى قيادة فرقة الجاوشية وكانت تقسم هذه الفرقة الى خمس عشرة فصيلة يقود كل منها ضابط وكان قوام كل فصيلة ٤٢ رجلاً وكانوا يشتركون فى مواكب السلطان العامة بصفقتهم جزءاً من الحرس انسلطاني ويصحبونه حين يخرج الى ساحات الحرب - انظر د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٣٨٢ .
- (١٥٥) جب / بووين - مرجع سابق - ج١ ص ١٦٩ .
- (١٥٦) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق - ص ٥٢ .
- (١٥٧) على همت اقسكى - مرجع سابق ٠ ص ٥٢ جب / بووين - مرجع سابق - ج١ ص ١٧٠ .
- (١٥٨) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق - ج١ ص ٣٨٢ .
- (١٥٩) جب / بووين - مرجع سابق ٠ ج١ ص ١٧١ .
- (١٦٠) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٢٨٤ .
- (١٦١) جب / بووين - مرجع سابق ٠ ج١ ص ١٨٤ .
- (١٦٢) د/ محمد نور فرحات - مرجع سابق ٠ ص ٤٤ .
 - جب / بووين - مرجع سابق ٠ ج١ ص ١٨٢ .
- د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ٠ ج١ ص ٣٨٥ .

الفصل الثاني

الاختصاصات القضائية للقضاة

- ١ - قاضى العسكر
- ٢ - قضاة الأقاليم
- ٣ - القسم
 - (أ) القسم العسكرى
 - (ب) القسم العربى
- ٤ - قضاة الاخطاط فى القاهرة
- ٥ - الباشا واختصاصاته القضائية
- ٦ - انحسار الولاية القضائية للقضاة
 - (أ) الاشراف
 - (ب) الانكشارية
 - (ج) اهل الذمة
 - (د) الأجانب

الانتصاصات القضائية للقضاة

تمهيد :

عندما فتح العثمانيون مصر وجدوا الاضطرابات تسيطر على كافة الأمور في البلاد سواء أكانت في النواحي السياسية أم الاقتصادية أم القضائية . غير أن الناحية القضائية كانت أكثر هذه الأوضاع تردياً وسوءاً ، فقد حدثت اعتداءات كثيرة على القضاة في نهاية العصر المملوكي وضاعت سلطات قضاة الشرع نتيجة لتدخل قضاة السياسة في اختصاصات قضاة الشرع حتى لم يعد هناك فاصل بين الاثنين . لذا عمل العثمانيون على إدخال بعض الإصلاحات على هذا النظام المتهالك بغية إصلاحه .

ومن طبيعة الحكم العثماني الإبقاء على الوضع القائم في البلاد للاستفادة من خبرة من سبقوهم في تسيير الأمور ، ثم بعد ذلك يقومون بوضع النظام بشكل تدريجي ومنظم .

ولم يبلغ السلطان سليم الأول قضاة المذاهب الأربعة نقسد أبقاهم في مناصبهم(١) وإن كان قد أخذ يعمل على تقليل سلطاتهم بأن أدخل من جانبه قاضياً سماه قاضى العرب كان بمثابة الرقيب على قضاة مصر ونوابها ، ولايستطيع أحدهم القيام بأمر من الأمور إلا بعد العرض عليه(٢) .

واستمرت هذه الاصلاحات فى طريقها المرسوم حتى ربيع الأول ٩٢٤هـ ١٥١٨م وجد «محضر» كان يجلس على نكة بباب المدرسة الصالحية وحوله جماعة من الانكشارية فكان لا يقضى امر من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه وكان يزعم أنه مستوف على القضاة فى الأمور الشرعية (٣) .

وبعد ذلك تتابعت الخطوات الاصلاحية فى مصر وأدخلت نظم جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القسام العسكرى ، غير أن أهم خطوة فى هذا المجال كانت الغاء القضاة من المذاهب الأربعة والعمل بالمذهب الحنفى وجمع السلطة القضائية فى شخص واحد هو قاضى العسكر الذى يعين من قبل السلطان العثمانى مباشرة .

قاضى عسكر واختصاصاته القضائية

تعين قاضى العسكر :

كان قاضى العسكر هو رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة فى العهد العثمانى فهو صاحب الولاية القضائية على قضاة محاكم القاهرة ، وإن لم يكن له سلطة على قضاة الاقاييم .

ويأتى قاضى عسكر مصر فى البروتوكول العثمانى من حيث الترتيب بعد قضاة استانبول ومكة المكرمة والمدينة وادرنه وبروصة (٤) . بذلك يتضح أنه كان فى مقدمة قضاة الدولة العثمانية .

وكان قاضى العسكر يعين بموجب براءة سلطانية بناء على ترشيح قاضى عسكر الأناضول وهو بالتالى مسئول أمامه ، ويسجل

قرار تعيين قاضى العسكر فى سجلات المحاكم على النحو التالى
 « يوم اربعاء (١٦ شهر شوال سنة ١٠٠٤ هـ مايو ١٥٩٦ م) وفيه
 ورد الأمر الشريف الخاقانى ٠٠٠٠ بتولية شيخ الاسلام ٠٠٠٠
 حضرة سيدنا ومولانا أحمد أفندى الانصارى قاضى العسكر
 المنصورة بروم ايللى سابقا ادام الله تعالى معدلته نظارة الأمور
 الشرعية بالديار المصرية جعل الله قدمه مباركا وحفظه فى حركته
 وسكناته » ٠٠٠(٥)

وبعد صدور البراءة السلطانية بتعيين قاضى العسكر(٦)
 كان يرسل الى قائم مقام يحل محله حتى وصوله ، وأحيانا كان يختاره
 من بين العلماء المصريين مثل القاضى « عثمان بن محمد باشا »
 الشهير بقادن زادة فى ولايته الثانية عندما أرسل للشيخ « البدر
 القراقى » يقول له فالمرجو من مكارمكم انجاز الوعد الموعود والقيام
 بنفسكم فى استماع كلام الخصام والشهود(٧) .

وفى حالة وفاة قاضى العسكر وهو فى الخدمة أو عند انتهاء
 مدته كان الباشا يصدر فرمانا بتعيين قائم مقام عنه حتى يصل
 القاضى الجديد من استانبول فعندما توفى شيخ الاسلام
 « السيد محمد أمين » جلس عيضا عنه « محمد أفندى قريشى »
 بموجب فرمان من « أبو بكر باشا حاكم مصر »(٨) وفى هذه الحالة
 كان القائم مقام يطلع الى الديوان ويلبسه الباشا كرت سباجا عنبر
 احمر وينزل ويتولى أعمال القايمقامية حتى قدوم قاضى العسكر الى
 مصر(٩) .

وعندما كان يقدم قاضى العسكر يأتى معه أهله وأولاده وغالبا
 ما يتولون أعمالا قضائية بجانبه مثل قاضى العسكر فى عام
 (١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م) الذى كان له من الأولاد ثلاثة أحدهم قسام
 عسكرى والثانى قسام عربى والثالث نايب الباب العالى(١٠) .

وفي حالات السفر أو الغياب يختار قاضى العسكر من يحل محله حتى يعود مثل « أحمد أفندى الناظر فى الأحكام الشرعية بالخانقاة السرياقوسية أصالة وبالديار المصرية خلافة (١١) وكذلك « محمود جلبى الناظر فى الأحكام الشرعية بمدينة بلبس أصالة والديار المصرية خلافة » (١٢) .

ويختار قاضى العسكر له نائبا وهو دائما يأتى معه من استانبول ويكون تعيين النائب دائما مصاحبا لتعيين قاضى العسكر نفسه ويتمتع بمكانة كبيرة فقد كان يقوم بأعمال قاضى العسكر فى حالة عدم تواجده .

وأحيانا ما يتولى بعض النواب منصب قاضى العسكر مثل « موسى أفندى » الذى كان نائبا بالباب فى زمن « قاسم أفندى الكردى » (عام ١٠٣٤ هـ ١٦٢٤ م) وتولى قاضى عسكر مصر فى (١٠٥٣ هـ ١٦٤٣ م) (١٣) .

وأضافة الى النائب فقد كان فى المحكمة أربعة من النواب على المذاهب الإسلامية الأربعة حتى يلجأ اليهم اتباع مذاهبهم وان كان فى بعض الأحيان وجد بعض قضاة العسكر الذين منتموا للعمل بالمذاهب الأربعة الا من محكمة الباب العالى (١٤) .

مدة تولية قضاة العسكر :

يلاحظ أنه شئ بداية التتبع العثمانى له يكن هناك مدة محددة لتولية قضاة العسكر فقد تولى « مصطفى أفندى الرومى » من عام ٩٢٩ هـ - ١٥٢٢ م حتى ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م ومنذ نهاية القرن السادس عشر كانت المدة التى يقضيها قضاة العسكر تتراوح بين عام وثلاثة أعوام . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى

كانت المدة غالبا عاما واحدا مثل « كمال أفندى » بل وصلت تولية بعض القضاة الى ثلاثة أشهر مثل «مصطفى أفندى محمد البكرى» .

وكثيرا ما كان يتولى قاضى العسكر مرتين أو ثلاثا فى فترات مختلفة . وعلى ذلك فلم تكن هناك مدة محددة لتعيين قضاة العسكر فقد تدرجت هذه المدة الطويلة حتى قصرت فيما بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر الذى وصلت فيه مدة القاضى أدناها مما ترتب على ذلك العديد من المساوىء(١٥) .

مقر قاضى العسكر :

ويبدو من خلال كتابات ابن اياس المعاصر لبدايات الفتح العثمانى لمصر أن أول قاضى عسكر عثمانى وهو « جلبى أفندى » قد جلس فى محكمة الصالحية النجمية وهى التى يصنفها بقلعة العلماء والتى كان لها الصدارة والأهمية خلال العصر المملوكى(١٦) ولكن يبدو أن فترة اتخاذ قاضى العسكر للصالحية كمقر له لم تكن فترة طويلة فقد انتقل الى مقعد(١٧) مامائى أزيك السيفى .

وتوجد كتابة تاريخية على أزار خشبى أسفل السقف تدل على أن الأمير مامائى السيفى كان يشغل وظيفة عسكرية كان أمير مائة مقدم ألف وهى تعنى أن صاحب هذه الوظيفة من حقه أن يكون مالكا لمائة من المماليك ويتقدم ألفا من العسكر فى حالة الحرب ، ويظل المقعد على فناء من المرجح أنه كان يمثل حوش القصر نفسه وتتكون واجهة المقعد من خمسة عقود مدببة على شكل حدوة(١٨) .

وأحيانا كان قاضى العسكر يجلس بالديوان العالى للنظر فى القضايا التى تعرض عليه .

الاختصاص القضائي النوعى لقاضى العسكر :

يقصد بالاختصاص النوعى تحديد أنواع معينة من القضايا دون غيرها .

وكان لقاضى العسكر اختصاصات نوعية وكذلك اختصاصات قيمي . وكانت المراسيم تصدر من قاضى العسكر الى قضاة أخطاء القاهرة تحدد الاختصاص النوعى لهم . ولكن يلاحظ أن هذه المراسيم كانت قليلة فى القرن الـ ١٦م وأول مرسوم يقابلنا فى ٨ ذى القعدة ٩٨٨هـ (ديسمبر ١٥٨٠م) (١٩) .

وان كان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر قد زادت هذه المراسيم والتحذير من الاعتداء على هذه الاختصاصات ، ويفهم من ذلك وجود اعتداءات على اختصاصات قاضى العسكر من قبل قضاة محاكم القاهرة .

وهذه الاختصاصات هي :

ابطال العقود : فأمام قاضى العسكر أبطل عقد التواجر المتصادق عليه للشيخ « يحيى بن الشيخ محيى الدين » من جهة وقف السعدى على مدرسته الكاينة بحدرة البقر وما هو موقوف عليها من قبل السلطان « الظاهر جقمق » أن عقد التواجر المتصادق عليه بالحجة المؤرخة فى ٢٦ ذى القعدة فى عام ١٠٠٣ هـ . لم يسند إلا بموجب العقد المعين وبمقتضى مضى معظم استيفا المنفعة فى المدة المؤجرة ولكون الأرض اشتغلت بزراعة الغير ولكون الأجرة المعينة بالنحبة دون أجرة المثل ابطالا شرعيا وذلك لما وضع لديه (٢٠) .

الكتابة على الأرض الرزقة (٢١) :

اختص قاضى العسكر بالنظر فى الأمور الخاصة بالأراضى الرزقة ٠ فقد أبقى قاضى العسكر على « على بن حسن الدمامى » من اهالى منية عفيف بالمنوفية على تواجده فى جميع الرزقة الطين السوداء الكائنة بالناحية المذكورة ومساحتها عشرون فدانا والمؤجرة عليه لواجب (سنة ١٠٠٣ هـ - ١٥٩٤ م) بستة وعشرين دينارا (٢٢) ٠

كتابة التواجر الطوية :

فقد استأجر « أحمد أوده باشا » طايقة مستحفظات بمصر المحروسة الشهير بالعنتبلى بن درويش محمد بن المرحوم الدرويش يوسف شيخ تكية قصر العينى وناظرها حالا جميع الحاصلين المتلاصقين لبعضهما بعضا لينتفع المستأجر بالحاصلين المذكورين سكنا واسكانا واجرة واجارة ٠ وكيف شاء الانتفاع الشرعى لمدة ثلاثين عقدا عدة كل عقد فى ذلك ثلاث سنوات مشتملة على تسعين سنة (٢٣) ٠

الاسقاطات فى القرى (٢٤) :

ولم يكن يسمح بالاسقاطات فى القرى وتوثيقها الا امام قاضى العسكر « قلديه أشهد على نفسه فخر الأكابر الأمير عمر أغا كتخدا الجاويشيه بمصر الاشهاد الشرعى انه فرغ ونزل وأسقط حقه لفخر الأماثل الأمير « حسين أفندى بن المحترم الأمير عمر أفندى كاتب خليفة المتفرقة فى التصرف والتحدث والالتزام بجميع الحصة التى قدرها الربع سبعة قراريط شايعا ذلك فى كامل أراضى ناحية كفر بوريج (٢٥) تابع ولاية الغربية المعلوم ذلك عندهما شرعا والجارى

الحصة المذكورة فى الناحية المرموقة فى تصرف وتحدث والتزام الأمير « عمر أغا المسقط المرقوم عن حلوان قدره خمس أكياس مصرية كل كيس منها ٢٥ ألف نصف (٢٦) » .

الاستبدال فى الأوقاف :

وحفاظا على الأوقاف ولنع التلاعب فيها كانت أمور الاستبدال (أى بيع جزء من الأوقاف مقابل ثمن نقدي أو استبدالها بأوقاف أخرى) لا تتم الا بين بدئى قاضى العسكر وبإذنه فعندما طلب الأمير مامائ بك أن المتضمن بيده وتصرفه وملكه النصف من كامل المكان الخرب المتهدم المملوك المنفعة الكاين خارج بابى زويسنة والخرق بخط حدرة الكما حين وقف المرحومان الأخوان عبد الفتاح وكمال الدين المندليلى على أولادهما وذريتهما وقد سألوا فى استبدال ذلك لفقرهم وعجزهم عن عمارة ذلك وليس فى الوقف ما يعمر به وثبت ذلك أيضا لدى شيخ الاسلام ، لذا سمح لهم بالاستبدال (٢٧) .

الحكم على الغائب :

ولا يسمح بنظر الأمور بالفسخ على الغائب (أى فسخ زواجه) الا أمام قاضى العسكر وذلك لمنع التلاعب فى هذه الأمور البالنة الحساسة . « فعندما ادعت الحرمة ستيتة بنت حجازى أن زوجها عيسى بن محمد البلاصى سافر وغاب عنها انغيبه الشرعية السريعة لسماع الدعوى والحكم على الغائب وتركها بلا منفق ولا نفقة مدة تزيد على عشرة أشهر وهو مستمر الغيبة وهى متضررة من ذلك وحلفت بالله العظيم على جميع الصفات المشروحة أعلاه . وسألت أن يمكنها من فسخ عقد نكاحها وخيرها مرارا فأبى الا الفسخ ثم سألها ثانيا فقالت بصريح لفظها شسخت نكاحى من عصمة عيسى المذكور لوجود المسوغ المشروح أعلاه الحكم الشرعى (٢٨) » .

كما اختص قاضى العسكر بالنظر فى قضايا ذات اختصاص نوعى اضافة الى ما سبق :

هى :

- ١ - فسخ الانكحة (الطلاق) .
- ٢ - مبايعة الانقاض .
- ٣ - الكتابة على اوقف بما له من الشرط .
- ٤ - الكتابة على اوقف الدشمايش (٢٩)(٣٠) .

وكان القضاة يراعون القواعد الفتوية فى احكامهم . فكان سلوكهم خاضعا لنوعين من الرقابة احدهما خارجى والآخر داخلى ، وكان الخارجى لا توفره الاجراءات الرسمية الخاصة بالرقابة سواء كانت على ايدى السلطات المدنية او الموظفين فى الادارة القضائية فقدر ما توفره المنافسة الغيورة من جانب منافسيهم المحتملين من العلماء (٣١) .

أما عن الرشوة فى الاحكام (المقدمة لقضاء العسكر) فلم تدلنا المصادر الا على مثال واحد من هؤلاء القضاة (٣٢) لذا لا يصح ان نعمم عليه، ان الغالبية كانوا مرتشين فقد كانت السمة الخالصة على هؤلاء القضاة التقوى والورع وغلبة الدين عليهم والعمل بالقواعد الفقهية التى ارساها الفقهاء من قبل والتحرى فى القضايا التى تعرض عليهم اذية اظهار الحق فيها .

دور قضاة العسكر فى القضايا الجنائية :

يلاحظ ان القضاة فى القضايا المدنية كقضايا الدين مثلا كانوا يستخدمون القاعدة الشرعية « أن المعسر يسجن » وأمدتنا الوثائق

بالكثير من هذه الحالات وأن كانت لم توضح مدة السجن ولا كيفية قضائها ٠ أما القضايا الخاصة بالجنايات فنحن أمام رأيين أولهما : أن القاضى كان يملك سلطة التعزيز كما تمدنا الوثائق لكنها لا توضح كيفية تنفيذ التعزيز ولا من ينفذها ٠ والرأى الآخر : أن تنفيذ الحدود والأمور الجنائية كانت فى أيدي الباشا (٣٢) بحكم اختصاصه القضائى ٠ وبذلك يقتصر دور القاضى فى هذا المجال على التحقيق فقط ، وهو ما نميل اليه ٠

الاختصاص القيمى للقاضى العسكر :

أختص قاضى العسكر كذلك باختصاص قيمى وهو الذى ترجع قيمة الدعوى موضوع النزاع فيه وتحديد بها قيمة مالية معينة ٠ فقد حدد قانون نامة سليمان فى المادة « ٣٥ » ذلك بقوله « والقاضى فى مصر مخول سماع قضايا بيت المال التى تقل عن ١٠٠ر٠٠٠ أجرة والفصل فيها (٣٤) ٠

كما حددت الأوامر الصادرة من قاضى العسكر الى تضاة محاكم القاهرة الاختصاص القيمى لقاضى العسكر فى مختلف القضايا ، ففى قضايا التواجر (الايجار) مازاد على ثلاثة آلاف نصف خاص بقاضى العسكر وأقل من ذلك خاص بالقضاة فى المحاكم الأخرى (٣٥) أما ايجارات الأوقاف فهى كذلك محددة بثلاثة آلاف نصف (٣٦) غير أن هذا التحديد لم يكن ثابتا فقد خضعت القيمة المالية للتغير فقد صدر أمر آخر بتحديد القيمة الايجارية التى توثق أمام قاضى العسكر بستة آلاف نصف (٣٧) ٠

وربما يكون مرد هذا التغير هو الانخفاض فى قيمة العملة وتغيرها تبعا للمحاولات الاقتصادية فى البلاد ٠

أما فى المبيعات فقد حددت بأنه ما زاد على خمسمائة ريال لا يوثق الا أمام قاضى العسكر (٣٨) كذلك فقد خضعت هذه القيمة للتغير بعد ذلك فحددت بـ ٨٠٠ ريال حجر بطاقة بدلا من ٥٠٠ ريال (٣٩) أما الاسقاطات فى القرى فقد حددت بما زاد على خمسة أكياس (٤٠) والاستبدال بما زاد على مايتين (٤١) .

ويتضح من ذلك اختصاص قاضى العسكر بالنظر فى العقود ذات النصاب المالى الكبير حماية للمتعاقدین ومنعا للتدليس والغش فى هذه المعاملات وكذا حماية الأوقاف وأموالها . كما نلاحظ أن قاضى العسكر هو الذى كان يخش نفسه بهذه الاختصاصات وذلك بحكم ما له من ولاية قضائية على قضاة أحياء القاهرة . وكانت هذه القيمة متغيرة من وقت لآخر تبعا لتغير القيمة النقدية .

الطعن فى الأحكام القضائية :

بعد أن أبرزنا أهم الاختصاصات المنوطة بقاضى العسكر يمكننا التساؤل عن أحكام القضاة وهل كانت تنقض أو يمكن استئناف الأحكام أو الطعن فيها أمام قاض آخر ؟ .

اتفق الفقهاء عامة على أن قضاء القاضى لا ينقض حتى اذا قضى القاضى قضاء ثم ظهر له خطؤه لا يرجع عن القضاء الأول وعللوا ذلك بأن تبدل الرأى كنسخ النص لا يظهر أثره الا فى المستقبل وعلى ذلك اذا قضى القاضى المجتهد فى حادثة برأى اداه اليه اجتهاده ثم رفعت اليه حادثة مماثلة لها وكان قد رأى غير الرأى الأول فانه يقضى بالرأى الثانى ولا ينقض القضاء الأول لأنه بنى على اجتهاد صحيح (٤٢) .

وفى مصر فى العصر العثمانى لم يكن لأية محكمة من الناحية النظرية وضع يفوق وضع المحكمة الأخرى (٤٣) .

ولم نعثر فى وثائق المحاكم الشرعية - التى اطلعنا عليها - على أى حكم ينقض حكم تاض آخر أو إعادة الحكم فى قضية حكم فيها مرة سابقة أمام قاض مختلف • كما أن القضاة لم يكونوا يميزون فى أحكامهم بين القضايا المتعلقة بشخصيات الطبقة الحاكمة وقضايا الرعايا المصريين فكثيرا ما حكم لصالح أحد الرعايا ضد خصمه من العسكريين وعلية القوم (٤٤) •

وبذلك نجد ان عدم وجود نظام للطعن القضائى فى هذه الفترة يعود الى المفهوم الاسلامى الذى يفترض فى القاضى أن يحكم وفقا لتعاليم مفهومة واضحة ، وهى مصادر التشريع الاسلامى ، والاستعانة بفتاوى المفتين • أما عندما تتحكم الأهواء وتتعدد القوانين وتتداخل فيما بينها فعندئذ تظهر الأحكام الخاطئة والنقض فى أحكام القضاة •

يفضح من ذلك الآتى :

١ - خضع القضاة فى أحكامهم - التى كانت معتمدة بصفة أساسية على الشريعة الاسلامية - لمراقبة العلماء ، لذا فلم يكن هناك ضبط فى الأحكام • وكذلك وفرت هذه الرقابة نوعا من الحرص والحذر من الوقوع فى الأخطاء مثل قبول الرشاوى وغيرها •

٢ - تمتع قضاة العسكر فى هذه الآونة بمكانة عالية بين المصريين لما اشتهروا به من نزاهة وحرص على مصالح الناس وتسجيل إجراءات التقاضى وعدم الاجحاف بهم فى الرسوم القضائية •

٣ - تدرجت مدة قضاة العسكر من الخول إلى القصر ابتداء من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر الذى وصلت فيه مدة القاضى الى أدنى مدة مما ترقب على ذلك العديد من المساوىء •

الاختصاصات القضائية لقضاة الشرع في الأقاليم

تعيين قضاة الأقاليم :

قسم الاقليم المصرى الى ستة وثلاثين قضاء يضم ست رتب ،
وكانت المرتبة الثانية فى كلا القسمين تسمى موصلة « تمهيدية » (٤٥)
وكان القضاة فى الأقاليم درجات اعظمهم قضاة المديريات البحرية
والثغور (٤٦) .

ويعين قاضى عسكر الأناضول قضاة الأقاليم ولا توجد سلطة
لقاضى عسكر مصر عليهم فهم مستقلون عنه تماما ، كما أن كل
إقليم مستقل من الناحية القضائية عن الآخر . وتسجل قرارات
التعيين فى سجلات المحكمة كالاتى « مفاخر النواب ٠٠٠٠ نواب
الشرع الشريف بقضاء دمياط وما معه وفقهم الله تعالى ، نعلمهم
أنه أحضر الى الديوان مكتوب من حضرة شيخ الاسلام ٠٠٠٠
مولانا محمد أفندى قاضى العسكر المنصور ولاية أناضولى خطابا
لأقضى قضاة المسلمين مولانا ابراهيم أفندى ٠٠٠ مؤرخ فى ١٢
شعبان سنة ١٠٢٨ هـ (يولية ١٦١٨ م) مضمونه أن الصداقات
الشريفة الخنكارية أنعمت عليه بقضائى دمياط والبريون وسلمون
ورأس الخليج والعادلية مع عملها ٠٠٠ وقد رسمنا أن يتقدم النواب
بالقضا المذكور مع القرى المذكورة ويجرون بذلك الأحكام الشرعية
والقضايا الدينية مع النظر فى المصالح السلطانية والتعلقات
الديوانية ويبادروا الى ذلك من غير تأخير ولاعذر ولا نقض قولا
واحدا وامرا نافذا جازما (٤٧) .

وقبل قدوم القاضى الى الاقليم الذى تولى قضاءه كان يرسل عنه « قائمقام » « مسلما » ليتسلم قضاء الاقليم نيابة عنه ويقوم بتوجيه العمل فيه الى حين حضوره ويسجل ذلك فى الوثائق كالتى « فى ١٦ ذى القعدة ١٠٢٨ هـ وفيه جلس مسلم سيدنا ومولانا قاضى القضاة شيخ الاسلام : مولانا ابراهيم أفندى الحاكم الشرعى بثغر دمياط ادام الله تعالى أيامه الزاهرة ٠٠٠ هو فخر الأمثال والأعيان الأمير عمر جاويش بمصر المحروسة » (٤٨) .

وكان المسلم يحمل معه عند حضوره الى الاقليم خطابا من المديوان العالى بتولية القاضى الذى حضر مسلما عنه للاقليم (٤٩) وأحيانا أخرى كان القاضى يرسل الى نائب المحكمة يثبته فى نيابته عنه ويأمره بالعمل على تنفيذ الأحكام والنظر فى الأمور بمقتضى الشرع الشريف ، حتى حضور القاضى الى الاقليم (٥٠) .

كما يبدو من سجلات محاكم الاقاليم أن المحكمة الكبرى فى الاقليم التى كانت مقررا لقاضى الاقليم وهى غالبا فى عاصمته كان يطلق عليها محكمة الباب العالى (٥١) وكانت تتم بركة تنقلات قضائية بين قضاة الاقاليم على سبيل المثال : « نقل السيد عبد الفتاح أفندى قاضى بلبيس الى قضاء دمياط وشيخى أفندى قاضى دمياط الى بلبيس (٥٢) » .

وجرت العادة على أنه فى حالة فراغ اقليم من الاقاليم المصرية من قاضيه كان يتولى عليه النيابة من طرف ولاية مصر المحروسة الى حين يحضر القاضى من استانبول ، فعندما فرغ ثغر دمياط من القاضى عين الباشا قايما مقام من طرفه ليتولى ضبط الأحكام الشرعية حكم المعتاد الى أن يحضر القاضى من استانبول (٥٣) . ويظهر أن هذه السلطة انتقلت الى امام الباشا فتذكر الوثائق ذلك كالتى : ٠٠

« هو أن سيدنا ومولانا ٠٠٠ محمد أفندى امام حضرة مولانا الوزير المعظم الواضع خطسة الكريم أعلاه قرر الفهامة الشيخ حسن بن المرحوم القاضى عبد الله الدمهورى فى منصب القضا والاحكام الشرعية بمدينة دمهور البحيرة وباقى ولاية البحيرة بما آل اليه حسب المعتاد وما جرت عليه العوايد بالديار المصرية ليكون نافذ الاحكام وعليه بتقوى الله تعالى فى جميع الأحوال (٥٤) »

وعندما يشتكى الناس من قاضى اقليمهم الى قاضى عسكر الأناضول بوصفه رئيسه القضاى ، كان يتم عزله على الفور مثما حدث مع « مصطفى أفندى بن تاج الدين أفندى قاضى دمياط » فقد زادت شكاوى الناس منه لأجل ذلك عزل وعين قاضى آخر محله (٥٥) »

وأحيانا كثيرة كان يتولى قضاء الشرع بالأقاليم بعض كبار القضاة الذين سبق توليتهم فى قضاء أقاليم كبيرة مثل الروم ايلى ، يل منهم من تولى أعمال المفتى فى السلطنة العثمانية نفسها ، وبعد ذلك تولى قضاء الجيزة (٥٦) »

ووجد بكل محكمة من محاكم الأقاليم أربعة نواب من المذاهب المختلفة بجانب قاضى الاقليم الرئيسى وكان النائب الحنفى يتميز بكونه نائبا للقاضى ، ويعين هؤلاء النواب من قبل قاضى الاقليم (٥٧) ولكن لا ينظر النواب فى القضايا الا بعد الاذن من القاضى الحنفى وهو القاضى الرئيسى للقليم (٥٨) فبعد الحكم فى القضية من جانب النواب تعرض على القاضى الحنفى ليمضيها ويلزم العمل بمقتضى ما جاء فيها (٥٩) ويظهر من خلال أسماء النواب أنهم كانوا جميعا من العلماء المصريين طوال فترة الحكم العثمانى مثل الشيش « عبد السلام الفارسكورى » (٦٠) والشيش « جمال الدين عبد الله الدينولى المالكى » (٦١) »

الأقاليم القضائية :

كان يتبع كل إقليم من هذه الأقاليم عدد من النواحي التابعة له ، وكان القاضى يمارس عمله من عاصمة الاقليم ويعين نوابا عنه للنظر فى القضايا فى هذه النواحي فتذكر السجلات « العمدة الفاضل السيد على نايب الشرع الشريف بناحية سنهور بولاية البحيرة (٦٢) وكذلك « علم الأنكحة التى وردت عن أهالى ومال أبى قير من يد مولانا الشيخ على الخطيب والامام بجامع قلعة أبى قير » (٦٣) .

وكثيرا ما كان يحدث خلاف بين قضاة الأقاليم على القرى المختلفة ومدى تبعيتها لكل منهم ، وقد تنازع القاضى على بن صافى قاضى محلة أبى على والقاضى « محمد بن سنان » قاضى النحرارية بسبب بلدة جناح ومنية جناح وسباس شهدا ومنسلين وشيرابيون وصا الحجارة ، وذكر القاضى محمد أن ذلك متعلق بقضائه المذكور وعارضه على أفندى بن صافى بأن ذلك موجود فى تمسكاته المعمول بها شرعا ، واتضح أن النواحي المذكورة تتعلق بقضاء محلة أبى على وكفر جعفر ما عدا ناحية صا الحجارة وكفرها ، فإن الأمر أستقر بينهما على أن محمد أفندى بن سنان يتصرف لهما فقط ويدفع من محصول تقرير شهودها ثمانماية نصف وتراضيا على ذلك . وكان هذا فى ٣٠ ذى القعدة ١٠٠٣ هـ . يولية ١٥٩٥ م (٦٤) .

كما حدث خلاف بين أحمد أفندى بن تاج الدين قاضى بنى سويف ومصطفى أفندى بن محمد القاضى بقمى العروس ، بسبب النواحي التابعة لقضاء قمى المذكورة ، وطال الخصام بينهما وتدخل المصلحون من قضاة الأقاليم الأخرى وتصادقا على البلاد التابعة لكل منهما وتم تحديدها بينهما (٦٥) .

وفى حالات الحاق بعض البلاد الى أحد قضاة الاقاليم كان ينص على ذلك قرار التعيين لقاضى الاقليم مثل « القاضى بثغر دمياط وفارسكور ومضافاتها » وأحيانا يطلق عليها وتوابعها « أو القاضى « بالشجر المرقوم ولواحقه » (٦٦) وتتم هذه المضافات بقرار صريح من قاضى عسكر الأناضول مثلما حدث عندما أضيف الى قاضى دمياط « قرى للسروى » (٦٧) وبرمون المضافتين اليه فصال ورود هذا الأمر عليه بالتصرف فى الناحيتين المذكورتين وتجهيز الأحكام الشرعية والقضايا الدينية بهما « (٦٨) .

ويتضح من ذلك عدة أمور هى :

١ - أن الأقاليم القضائية كانت مختلفة عن الأقاليم الادارية فأحيانا مكان الاقليم القضائى يجمع بين أماكن فى اقليمين اداريين ، فهى فى الأغلب الأعم أوسع من الأقاليم الادارية .

٢ - أن قضاة اقاليم عرفوا الولاية المحلية لمحاكمهم على الأقاليم والقرى التابعة لهم بدليل ما كان يحدث من خلافات بينهم على حدود اقاليمهم ومدى تبعية البلاد لهم .

٣ - أن هذه الأقاليم القضائية لم تكن ثابتة فقد حدث فيها تغيرات كثيرة على مدى الحكم العثمانى ، وربما كان ذلك بسبب المضافات والتوابع واللوادى التى كانت تضاف لهذا الاقليم أو ذلك .

الاختصاصات القضائية لقضاة الأقاليم :

نظر قضاة الشرح فى الأقاليم فى كافة أنواع القضايا التى تعرض عليهم ، فلم تكن هناك قضايا مخصصة لهم ومرد ذلك أن القاضى فى الاقليم كان رئيس الهيئة القضائية بهذا الاقليم ، لذا فلم

تكن هناك نوعية محددة من القضايا أو اختصاص قضائي نوعي .
ومن حق الناس اللجوء الى المحاكم في أي وقت ورفع الدعوى على
خصومهم وطلبهم أمام الشرع . فقد « ذهب لمجلس الشرع الشريف
السيد عبد الله جوريجي الجركسي بالشعر والتمس احضار الشيخ
رجب بن الشيخ محمد بن عبد الكريم لدعوى شرعية تسدع منه عليه
كونه تعدى عليه بالسب وتناوله بالفاظ قبيحة ، فأرسل القاضي
إليه قصد التبرع فلم يجده وعلق عليه الدعوى بذلك لحين حضوره
وصدورها وجهه » (٦٩) . ويقدم مقدمو الأدراك - وهم المسئولون
عن الأمن في الأقاليم - من يقبضون عليه من المفسدين الى القاضي
الذي يقوم بالنظر في حالته أو الأمر بسجنه حتى يظهر من أمره
ما تكشف عنه التحريات (٧٠) .

واعتمد القضاة على البيئة كدليل لاقامة الدعوى عملاً بقول
الرسول الكريم : « البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر » ،
وإذا لم يستطع المدعى احضار البيئة الدالة على صحة دعواه أمهل
ثلاثة أيام فإن لم يحضر بما يثبت هذه الدعوى يمنع المدعى المذكور
من معارضة المدعى عليه المنع الشرعي . وفي حالة البيئة في الدعوى
كان ينص على ذلك في آخر الدعوى بقوله : « وحكم بموجب
ما قامت به البيئة الحكم الشرعي المستوفى لشرايطه الشرعية
والواجبات المحررة المرعية » (٧١) ومن حق المدعى أن يلتمس يمين
المدعى عليه ويقوم القاضي بسماع يمينه (٧٢) .

وئي حالة ما إذا ادعى شخص على خصمه أمام القاضي
وأرسل اليه قصاص الشرع ثم تبين أن هذا مجرد افتراء عليه لاحتضاره
وتغريمه حق الطريق للقصاص وفي هذه الحالة يقوم القاضي بتأديبه
الشرعي . (٧٣) لمنع تكرار مثل هذا الأمر حماية للمتقاضين من
الحيل التي قد يلجأ إليها بعضهم لتغريم خصومهم .

ووجد سجن تابع للشرع الشريف فى الأقاليم يطلسق عليه
 « سجن الشرع الشريف » وله أوقاف خاصة به (٧٤) وكذلك وجد
 مستودع شرعى تابع للشرع الشريف وذلك لوضع المواشى المسروقة
 والغلال المتنازع عليها فيه حتى يتم الحكم فيها وتسليمها لمن له
 الأحقية فى ذلك (٧٥) .

ولم يكن القضاة يقبلون الأمر على علته بل يقومون بالتحقيق
 فى أمور تبعا لموافقتها للشرع الشريف ، فعلى سبيل المثال فى حالة
 تضارب شهادة الشهود تسقط الدعوى ولا تقبل شهادتهم . ففى
 احدى القضايا ردها القاضى « لأن شاهدها شهادته مردودة غير
 مقبولة لاختلاف اللفظ والمعنى والمكان » (٧٦) وطلب منهم القاضى
 احضار شهود آخرين كشرط لصحة الدعوى .

واختص قضاة الشرع بالمطب الشرعى والكشف عاى الجثة
 قبل دفنها وذلك بمساعدة الجرايحية (٧٧) .

وكان القاضى يلزم ارباب الادراك متضامين برد قيمة الاشياء
 المسروقة فى حالة سرائقتها فى اثناء خفارتهم (٧٨) وفشلهم فى البحث
 عن السارق .

أما عن اهل الذمة فى الأقاليم فتعج سجلات محاكم الأقاليم
 بوجود العديد من أنواع القضايا الخاصة بهم حتى فى أخص
 أمورهم المرتبطة باجراءات كنسسية معينة مثل الزواج (٧٩)
 والطلاق (٨٠) وكذلك كانوا يلجأون الى القاضى المسلم فى تقسيم
 مواريتهم بالفريضة الشرعية (٨١) وفى هذه الحالات كان القاضى
 المسلم يحكم بينهم تبعا للشرع الاسلامى والقواعد الفقهية
 الاسلامية .

يتضح من هذا الآتى :

١ - يقوم قاضى عسكر الأناضول بتعيين قضاة الأقاليم ولا يتدخل قاضى عسكر مصر فى ذلك اطلاقا لعدم وجود سلطة قضائية له عليهم . أما فى حالة فراغ المنصب لأى سبب يقوم الباشا (حاكم مصر) بتعيين قائمقام على الاقليم حتى يصل المعين الجديد من استانبول .

٢ - تمتع قضاة الأقاليم بالولاية القضائية على اقاليمهم وتوثيق كافة أنواع القضايا التى تعرض عليهم دون تحديد لها .

٣ - تعرض قضاة الأقاليم للعزل فى حالة اساءة استخدام مناصبهم وشكوى الناس منهم .

٤ - كانت الأقاليم القضائية تختلف عن الأقاليم الادارية ففى بعض الأحيان كان الاقليم القضائى يضم بلادا تقع فى أكثر من اقليم ادارى .

٥ - كان قاضى الاقليم يعين نوابا عنه فى البلاد المختلفة التابعة لاقليمه ويحدد لهم اختصاصاتهم القضائية من الناحية النوعية والقيمية .

القسم (٨٢)

وجد في مصر في العصر العثماني قاضيان عرف كل منهما بالقسم . أحدهما هو القسم العسكري ، والآخر هو القسم العربي .

والقسم هو القاضي المختص بقسمة التركات وتعيين الأوصياء على القصر من أبناء المتوفى وبيع التركات ومحاسبة الأوصياء على القصر . ولكن اختلف عمل كل من القسم العسكري عن القسم العربي من ناحية الاختصاص الفتوى (٨٣) لكل منهما وإن اتفقا في الاختصاص القضائي لكليهما .

ولم يكن عمل القسم معروفا من قبل في مصر إبان الدولة المملوكية . وإن كان هذا المنصب قائما في الدولة العثمانية وطبق في مصر امتدادا لما هو قائم في الدولة العثمانية وكذلك لربط قضاة مصر بهيئة قضاة استانبول .

كذلك فإن القسمين سواء العسكري أو العربي في ممارستهم لأعمالهم - وخاصة قسمتهم التركات - كانوا يتبعون القواعد الشرعية التي أقرها الفقهاء من قبل وكانت لهم رسوم مالية لا يتعدونها .

واختلف تعيين القسم العسكري عن القسم العربي فالأول كان يعين بقرار من قاضي عسكر الأناضول بينما يعين الآخر بقرار من قاضي عسكر مصر ، وبذلك فالقسم العسكري أعلى درجة من زميله القسم العربي .

أولا : القسم العسكرى واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسم العسكرى (٨٤) :

يعتبر القسم العسكرى من مستحدثات الحكم العثمانى فى مصر فلم يكن معروفا من قبل فى الدولة المملوكية . وأول إشارة ترد عنه فى (جمادى الآخرة ٩٢٨ هـ / أبريل ١٥٢٢ م) فيذكر ابن إياس ذلك بقوله « أشيع أن حضر صحبة العسكر شخص من العثمانيّة ، يزعم أنه قاض من قضاة ابن عثمان ، وعلى يده مراسيم من السلطان سليمان بأن يستقر متحدثا على جميع الترك قاطبة ، الأهلية وغير الأهلية ولا يعارضه أحد من الناس فى ذلك وأن يأخذ ما يتحصل من كل تركة العشر لبيت المال ، أهلية كانت أو غير أهلية ، وأن فى مراسيمه أن أحدا من الممالك الجراكسة وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة والأصبهانية (٨٥) والانكشارية لا يعقدون عقد نكاح بكر وثيب قاطبة الا عند ذلك القسم (٨٦) » .

تعيين القسم العسكرى :

يبدو من الوثائق أن قرار تعيين القسم العسكرى يصدر من قاضى عسكر الأناضول مثل قاضى عسكر مصر تامما وفى ذلك دلالة على أهميته ومكانته المرموقة وتنص على كونه نائبا لقاضى عسكر الأناضول .

ويسجل قرار تعيينه فى سجلات المحكمة على النحو التالى « لما كان فى اليوم المبارك ٢٣ من شهر محرم الحرام ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ م) حضر الى المحكمة الشرعية المشهورة بالقسمة العسكرية سيدنا ومولانا قاضى قضاة المسلمين ٠٠٠ مولانا شمس الدين ابن سيدنا ومولانا الياس وجلس بالمحكمة المشار اليها اعلاه قساما نايبا

عن سيدنا ومولانا أقضى قضاة الاسلام ٠٠٠ مولانا أفندى محمد
بن نور الله قاضى العسكر المنصور بأناضولى « (٨٧) » .

كما كان قرار التعيين ينص على تولية « النظر فى أمور
القسمة العسكرية بمصر المحمية ونواحيها » (٨٨) وينص كذلك على
كونه « خادما الى جانب اعلم العلماء الموحدين ٠٠٠ قاضى القضاة
بمصر » (٨٩) وشغل القسم العسكرى الى جانب عمله كقسام
أعمالا قضائية فى محاكم أخرى من محاكم أخطاط القاهرة مثل
« خضر أفندى قاضى الديوان العالى والقسم العسكرى بالديار
المصرية » (٩٠) ومولانا « عبد الله أفندى القاضى بالخانقا
السرياقوسية والقسم العسكرى بمصر المحمية » (٩١) وشغل القسم
كذلك بجانب عمله رئاسة القضاء فى مدن أخرى بعيدة عن القاهرة
مثل « محمد أفندى القسم العسكرى والقاضى بمنف الحليسا
مؤقتا » (٩٢) و « محمد أفندى القاضى بالمحلة الكبرى مؤقتا والقسم
العسكرى بمصر المحروسة » (٩٣) و « محمد أفندى القسم العسكرى
بمصر المحروسة حالا وقاضى ولاية المنصورة مؤقتا » (٩٤) .

ولكن لاندري ما اذا كان القسم فى هذه الحالة يقيم فى القاهرة
ليمارس عمله كقسام أو يقيم فى الاقليم لرئاسة قضاة . وربما
يكون السبب فى تعيين القسم العسكرى لرئاسة القضاء فى الأقاليم
إضافة الى عمله أن قرار تعيين قضاة الأقاليم والقسم كان يصدر من
قاضى عسكر الأناضول لذا فهو يعينه حى قدوم قاضى الاقليم من
استانبول .

وبعد صدور قرار تعيين القسم العسكرى يقوم بإرسال خطاب
الى قائممقام يحل محله الى حين وصوله مثل « محمد أفندى رفاعى »
الذى أرسل خطابا لـ ٠٠٠ « قاسم أفندى قاضى المحمل بالنظر فى
مصالح المحكمة لحين حضره » (٩٥) .

ويلاحظ في بعض الحالات أن قاضي عسكر الأناضول كان يرسل إلى أحد العلماء المصريين لضبط أمور القسمة العسكرية إلى حين حضور القسم ولاسيما في حالات الصداقة بينهما مثل « حسين أفندي قراجلي قاضي عسكر الأناضول الذي أرسل إلى صديقه الشيخ البدر القرافي ليقوم بضبط أمور القسمة العسكرية إلى حين حضور القسم العسكري » (٩٦) .

وأحيانا يوجه النظر في أمور القسمة العسكرية بمصر إلى نجل قاضي عسكر مثل « اسحاق أفندي بن مولانا اسماعيل أفندي قاضي عسكر مصر » (٩٧) و « أسعد محمد أفندي القسم العسكري بمصر ونجل شيخ الاسلام عبد الله أفندي قاضي عسكر مصر حالا » (٩٨) ولكن يجب أن نعلم أن هذه المناصب لا توجه إلى نجل قاضي العسكر بوصفه ابنه بل بوصفه أحد العلماء المؤهلين لتولي هذا المنصب القضائي بحكم تعليمهم .

وابتداء من أول القرن الثامن عشر بدأ قاضي عسكر مصر يتولى مهام القسم العسكري إلى جانب أعماله القضائية ، وأول إشارة تقابلنا في الوثائق عن ذلك في (عام ١١٣٨ هـ ١٧٢٥م) عندما وجه « صالح أفندي القاضي بعساكر الأناضول أعمال القسم العسكري إلى عبد الرحيم أفندي قاضي عسكر مصر » (٩٩) .

ويتضح من خلال سجلات المحكمة أن قضاة العسكر بمصر قد تولوا أغلب فترات القرن الثامن عشر النظر في أمور القسمة العسكرية وأصبح يضاف إلى القابهم « الناظر في الأحكام الشرعية وأموال القسمة العسكرية بمصر قاضي القضاة يومئذ » (١٠٠) وساعدهم على تولية أعمال القسم بمصر في هذه الفترة :

(١) كثرة النزاعات المملوكية والمنازعات داخل الفرق العسكرية العثمانية وبذلك فقد كثرت رسوم القسم العسكري عن

ذى قبل مما جعل قاضى العسكر يتطلع الى الرغبة فى الحصول على هذا الدخل الكبير والسعى لتوليته هذا المنصب بما له من علاقات داخل استانبول .

(ب) كذلك ساعد على ذلك ما تمدنا به المصادر المعاصرة لهذه الفترة عن قلة ورود القضاة خاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر من استانبول ، فأراد قاضى العسكر نظرا لأهمية أعمال القسم أن يسعى فى توليه بنفسه .

وفى هذه الآونة عندما كان قاضى العسكر يرسل الى قايماقاه ليحل محله الى حين حضوره كان ينص على توليه أعمال القسم العسكرى (١٠١) .

مقر القسم العسكرى :

وكان مقر القسم العسكرى فى المدرسة الظاهرية (١٠٢) . وهذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موقعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم ، وقد أمر بهدمها السلطان الظاهر بيبرس البندقدراى وبنى موضعها مدرسة فابتدأ بعمارته فى ٢ ربيع الآخر ٦٦٠ هـ ٢٥ فبراير ١٢٦٢م وفرغ منها فى ٦٦٢ هـ ١٢٦٣م ووجد بها خزانة كتب تشمل أمهات الكتب فى سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله (١٠٣) .

الاختصاص الفتوى للقسم العسكرى :

وقد اختص القسم العسكرى بالنظر فى قضايا وأمور فئات معينة . والفئات التى اختص بالنظر فى أمورها هى :

١ - الفرق العسكرية السبعة وأتباعهم وأيتامهم ومن يلود

بهم .

- ٢ - السادة الأشراف وأتباعهم وأيتامهم .
 ٣ - أرباب الوظائف والعلماء وحفظة كتاب الله العظيم .
 ٤ - أرباب العلوفات والجرايات والعثمانة (١٠٤) .

ولكن ابتداء من النصف الثانى من القرن السابع عشر بدأت تزيد الفئات المنضمة الى اختصاص القسم العسكرى . وهم من أصحاب العلوفات . فقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شراء العلوفات لتكون موردا مهما لتحسين أوضاعهم ولقد انتسب أرباب العرفات الى مختلف الأوجاقات دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون الى فئات اجتماعية مختلفة (١٠٥) ، وفي القرن الثامن عشر يبدو حدوث خرق لهذه الفئات فنلاحظ وجود حالات لتركات من التجار وغيرهم دون اشارة الى فتويتهم ، أو أنهم من أصحاب العلوفات أو العسكريين « مثل ضبط وتحرير وتقويم مخلفات الحاج سعد العقاد فى البلدى الشهير بالحداد » (١٠٦) .

وبالتدريج فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت تحوى قضايا لكافة الطبقات من المسلمين حتى وصل الأمر الى ذروته فى المرسوم الذى أصدره قاضى العسكر الى العاملين بمحاكم مصر المحروسة وبولاق ومصر القديمة فى (١٠ ذى الحجة سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م) « انكم تنسبون جميع التركات والكتابات الموثوقة وما يتبعها المتعلقة بالرجال المسلمين من الأدنى للأعلى للقسم العسكرية لأننا تجاوزنا عن بعض تعلقاتنا فى القسم العربية وهى تعلقات الرعايا وعامة الفلاحين الذين لم ينسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان والوجاقات بأن تنسب تعلقات الرعايا المذكورين من الذكور المسلمين للقسم العسكرية على طريق التجاوز من قبلنا

لتعب الوقت «(١٠٧) بذلك فقد ضمت اختصاصات القسم العسكرى من هذا الوقت كل فئات الشعب تقريبا فيما عدا النساء المسلمات واهل الذمة .

الاختصاص القضائى النوعى للقسم العسكرى :

كما اختص القسم العسكر بالنظر فى أمور فئات معينة فقد كان له أيضا اختصاص نوعى فى قضايا محددة هى :

- ١ - ضبط التركات والأيلولات
- ٢ - التصايدات والاشهادات والوصايات .
- ٣ - الكتابة على المريض من اشهاد واسقاط ووقف وبيع وشراء واستبدال ووصايا وعقق .
- ٤ - الكتابة على الوصى والوارث ووكيل الوارث .
- ٥ - الكتابة على القيم وما يتعلق بالقصر (١٠٨) .
- ٦ - عقد عقود الأنكحة وسائر الوقائع العسكرية (١٠٩) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسم العسكرى تقسيم التركات بين الوارثين بالفريضة الشرعية وكان القسم اذا توفى انسان وليس فى ورثته قاصر ولم يطلبوا القسم فلا يطالبهم القسم بقسمة بغير سؤالهم ولا بغير رضاهم اما فى حالة وجود قاصر فيضبط التركة ويعين وصيا على القاصر (١١٠) .

وينزل القسم الى محل سكن المتوفى ويضبط مخلفاته بحضور وكلاء الورثة . فعندما قتل سليم أفندى أحد قادة الانكشارية عام ١١٠٠ هـ بعد دقنه ضبط كامل ما وجد فى منزله بمعرفة القسم

وسد ما عليه من ديون(١١١) . وعندما توفى « محمد بن أحمد »
بمكة المشرفة نزل القسام العسكرى « خير الدين بن محيى الدين »
وصحبه عدد من المسلمين الى حانوت المتوفى وضبط ما فيها
وكتب ضبطا للواقع فى ٢ ربيع الآخر سنة ٩٨٣ هـ . ١٢ يولية
١٥٧٥م(١١٢) .

وفى التركات كان القسام العسكرى يقوم بتحديد من له حق
الوراثة فى المتوفى بعد أن يثبت له ذلك بمعرفة شهوده ، فعندما
توفى محمد أفندى قاضى ولاية المنصورة وانحصر ارثه فى زوجته
المصونة صالحة خاتون بنت عبد الله البيضاء وبنته منها الست
فاطمة البكر البالغ من غير شريك ولا حاجب ثم تم تقويم ما وجد
من مخلفات المرحوم التى بيعت بمبلغ قدره ١٣٦٦٥ نصفاً(١١٣)
والنقدية التى وجدت ١٣٩٨٣٥ نصفاً فيكون جمعه عن المخلفات
مع المضاف ١٥٣٥٠٠ نصف ، وبعد ذلك وقبل تقسيم الميراث بين
الورثة كان يتم تجهيز المتوفى وتكفينه وإداء الديون التى عليه
وكذلك دفع مؤخر الصداق للزوجة ومصاريف القسمة والدلالة
وبعض المصاريف ثم توزع الأنصبة فحصلت الزوجة على حقها بحق
الثلث من التركة ١٩٥٩٩ نصفاً وحصة ابنتها الباقى ١١٩١٧٨
نصف فضة(١١٤) .

وبذلك نلاحظ أن القسام كان يراعى الشروط الفقهية التى
وضعها الفقهاء كحقوق للمتوفى على التركة وهى حسب الترتيب :

- ١ - نفقات تجهيز البيت وتكفينه ودفنه .
- ٢ - قضاء ديون المتوفى .
- ٣ - تنفيذ وصاياه .
- ٤ - انصبة للورثة ، وهى حقوق مرتبة فى الأداء بحيث او

استغرق الحق صاحب الأداء كل التركة ، فلا يتبقى شيء لأصحاب بقية الحقوق الأدنى منه فى مرتبة امتياز الأداء(١١٥) .

أما فى حالات المتوفين دون وارث فكان بيت المال يرثهم ولا تضبط تركتهم الا بمعرفة أمين بيت المال(١١٦) وفى هذه الحالة كان يحضر أمين بيت المال للقسمة فى المحكمة هو أو مندوب عنه ، وبيت المال فى العصر العثماني هو الجهة القائمة على تحصيل الرسوم المفروضة على التركات وجميع أنصبة بيت المال من الموارث وهو ينقسم الى قسمين ، الأول هو : « بيت مال الخاصة » وهو يختص برجال الجهاز الحاكم سواء كانوا من رجال الادارة أو المالية أو الأجناد والثانى هو : « بيت مال العامة » وهو الخاص بطبقة المحكومين(١١٧) . وفى حالات وجود الورثة خارج البلاد مثل حالات العسكريين كان يتم بيع المخلفات بوجود الوصى المختار من قبل المتوفى بعد وفاته فهو فى غالب الاحوال من طائفته أو بحضور سردار الطائفة وبعد أن يتم استيفاء الحقوق التى على التركة بوضع المبلغ المتبقى بيد الوصى وعليه الخروج من عهدة ذلك لجهة المستحقين(١١٨) .

وبعد تقسيم التركة يعين القسم وصيا على القصر من قبله وذلك لينظر فى مصالحهم وأحوالهم وتنص حجة الوصاية امام القسم العسكري أن يقوم الوصى بالتصرف بالبيع والشراء والأخذ والعطاء والقبض والصرف بسائر وجوه التصرفات الشرعية الى حين بلوغ القاصر رشيدا صالحا لدينه وماله(١١٩) .

وغالبا ما كان يختار المتوفى قبل وفاته وصيا على ثروته وأولاده من بعده مثل « فاطمة بنت عبد الله عتاقة الخواجة عز الدين الحموى »(١٢٠) كما كان الوصى يتنازل عن الوصاية لشخص آخر

إذا أراد ذلك تحت أى ظرف من الظروف التى تطرأ عليه ٠ أما فى حالات النزاع على الوصاية ، فكان يتم الفصل فى الأمر بين يدي القسم ويكلف المتداعون بإثبات دعواهم وفى النهاية يفصل فيها لصالح من تثبت صحة دعواه ويولى الوصاية ويكلفه بالقيام بما تقتضيه واجباتها (١٢١) ٠

ولم يكن الأمر يقتصر على تعيين الوصي بل كان القسم العسكرى يقوم بمحاسنته فى كل فترة عما أنفقه الوصى على القاصر وعما آل إليه كذلك من أرباح من مال سواء من تجارة أو التزامات زراعية ، وهذه المساسية تشبهه فى الوقت الحاضر ما يسمى بالمجلس الحسبى على الأوصياء (١٢٢) ٠

وبين يدي القسم العسكرى كانت تتم الاشهادات فقد اشهد على نفسه الأمير حمزة بن عبد الله من طائفة الكوملية بلك ١٩ وعلوفة (١٢٣) ٢٤ شهادة الاشهاد الشرعى وهو فى صحته وسلامته وجواز الاشهاد عليه شرعا انه قبض وتسلم ووصل اليه من قدوة الأكابر ٠٠٠ الأمير سليمان أمين بيت المال الخاصة بمصر مبلغا قدره من الفضة العددية معاملة تاريخه بمصر الف نصف فضة واحدة وسبعماية نصف وست عشر نصف وأقر بأنه لم يتأخر له شيء قل ولا جل (١٢٤) ٠

الولاية القضائية للقسم العسكرى فى الأقاليم :

تؤكد الوثائق على وجود نائب للقسم العسكرى فى الأقاليم فيوجد « العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد الحنفى نائب القسم العسكرى بثغر دمياط » (١٢٥) كذلك فقد كان القسم العسكرى يرسل الى قضاة الأقاليم - أحيانا - بالتفويض لهم فى

تحرير تركات العسكريين بالأقاليم « مثلما أرسل الى الصاكم الشرعى بئفر دمياط بتحرير تركات العسكريين وقبض الرسوم التى جرت بها العادة ويأخذ لنفسه الخمس منها فى مستهل ذى القعدة (١١٠٩ هـ ١٦٩٧ م) ٠

ولكن فى غالب الأوقاف كان القسام العسكرى يعين وكيلا عنه ويطلب من الحاكم الشرعى بالأقليم مساعدة وكيله فى ضبط أعماله ، فقد أرسل القسام العسكرى بمصر حسين بن نور الدين الى الناظر الشرعى بدمياط بنبا توليه التهمة العسكرية وأنه أقام الشيخ العمدة شمس الدين الدنجيهى نايبا فى الأمور العسكرية بدمياط وما يتعلق بذلك من العتق والنكاح والحجة والسجل والرسم والدعوى وغير ذلك على الوجه الشرعى المعتبر المرضى وأن يتعاطى فعل ذلك وأن يضبط ما يقع وما يتحصل من ذلك ٠ يكتب بذلك دفترا شهرا يشهر ٠٠٠ والمأمول من همة مولانا معاونه الشيخ محمد على ما هو بصدد منع ورفع من يتعرض له فى ذلك ، واسط ذى الحجة ٩٨٣ هـ ١٥٧٦م (١٢٦) ٠

يتضح من هذا وجود نائب للقسام العسكرى كان يقوم فى الأقاليم بالنظر فى أمور العسكريين وتوثيقها وتقيد ذلك فى «سجلات خاصة بهم وإرسالها الى القسام العسكرى فى القاهرة ، ولكننا مع ذلك لا ندرى ان كانت تقيد فى سجلات القسام بعد ذلك أم لا ٠

ويبدو أن القسام العسكرى كان يقوم فى بعض الأحيان بالسفر الى الأقاليم للاطمئنان على وكلائه والإشراف عليهم وتذكر السجلات على سبيل المثال « سفر القسام العسكرى حسين بن نور الله فى يوم الأحد ١٨ ربيع الآخر ٩٨٤ هـ يولية ١٥٧٦م الى المنصورة وغيرها من جهات الوجه البحرى (١٢٧) كما تسجل كذلك عودته

فى يوم الجمعة ٧ جمادى الآخرة ٩٨٤هـ سبتمبر ١٥٧٦م من
المنصورة والمحلة بالوجه البحرى (١٢٨) •

وبذلك يتضح أن الولاية القضائية للقسام العسكرى كانت
تشمل مصر وأقاليمها فيما يخص الفئات المندرجة تحت اختصاصه
ولذا كان ينص قرار تعيينه على تولية أمور القسمة العسكرية بمصر
ونواحيها بينما كان اختصاص القسام العربى مقصورا على القاهرة
فقط ، وبذلك فقد كان القسام العسكرى هو القاضى الوحيد فى
مصر - فى هذه الآونة - الذى كانت سلطاته وولايته القضائية
ممتدة على مصر بكاملها فيما يختص بالفئات المندرجة تحت
اختصاصه • وبذلك فقد كان من حقه أن ينبى عنه نوابا فى اقاليمها
المختلفة •

وبعد أن عرضنا لأعمال القسام العسكرى يمكن أن يرد على
ما يقال « بأن سبب انشاء هذه الوظيفة يرجع الى تنبه العثمانيين
منذالسنوات الأولى لفتحهم مصر الى أهمية احكام القبضه والرقابة
على ايلولة التركات ومايتفرع عنها من حقوق باعتبار أن ذلك هو
مقدمة ضرورية للتحكم فى مصادر الثروة وخاصة ثروة الطبقة
الحاكمة (١٢٩) » فالقول بذلك مجاف للحقيقة لأن العثمانيين انشاوا
هذه الوظيفة فى بداية حكمهم، للبلاد اتباعا لما هو قائم فى الدولة
العثمانية ، وكنوع من الاصلاح القضائى للوضع المتردى الذى
وصلت اليه الحالة القضائية فى أواخر العصر المملوكى • كما أن
الخلافاً بين الأمراء المالك أو فى القوى العثمانية لم تظهر على
سطح الحياة السياسية الا مع بداية القرن السابع عشر ، وكما
رأينا فان القسام يقوم بتقسيم الميراث بالفريضة الشرعية بين الورثة
وله أجر معين لايتعداه ، فكيف يصل عائد الايلولات الى الحد الذى
يجعل منه مصدرا من مصادر الثروة ؟ •

ويتضح مما سبق :

١ - عرف القضاة فى هذه الآونة التقسيم الفئوى القائم على تقسيمهم تبعاً للفئات المندرجة تحت اختصاصهم . بعكس التقسيم القائم على درجات القضاة .

٢ - كانت الولاية القضائية للقسام العسكرى شاملة مصر بكاملها ومن حقه أن ينيب عنه نواباً فى الأقاليم لينظروا فى أمور الفئات المندرجة تحت اختصاصه .

٣ - يقوم القسام العسكرى بتقسيم الموارث بين الورثة تبعاً للقواعد الفقهية التى نصت عليها الشريعة الإسلامية وهو فى ذلك له أجر محدد لا يتعداه .

٤ - فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر جمع قاضى العسكر الى جانب عمله القيام باختصاصات القسام العسكرى .

٥ - فى نهاية القرن الثامن عشر زادت الفئات المندرجة تحت اختصاص القسام العسكرى وذلك تبعاً للوامر الصادرة بذلك حتى غدا يشمل اختصاصه كل فئات السكان ما عدا النساء المسلمات وأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين بقوا تحت اختصاص القسام العربى .

(ب) القسام العربى واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسام العربى :

لا نعرف على وجه التحديد البداية الزمنية لنشأة هذه الوظيفة فلم يرد لها ذكر فى المصادر المعاصرة لتلك الفترة ، مما أدى الى ارجاع الباحثين لنشأتها الى بداية التدوين الزمنى لسجلات هذه

المحكمة التي يبدأ السجل الأول منها بعام ٩٧٠ هـ - ١٥٦٢ م ،
ولكن هذا السجل مكمل لما قبله فهو لا يوجد فيه ما يبرر بداية عمل
المحكمة ولا بداية تعيين القسم العربى . ولكن استطعنا العثور
فى وثائق المدشت على وثائق ترجع الى القسم العربى وتعود الى
قبل ذلك التاريخ منها : « فى يوم الخميس رابع جمادى الثانية
سنة ٩٦٥ هـ ٢٥ مارس ١٥٥٨ م جلس القاضى داود قاضى الخانقاه
بالمكاملة » (١٣٠) .

كما وجدت اشارات فى ثنايا المحاكم الأخرى عن القسم
العربى فتذكر احدى القضايا الصادرة بمحكمة جامع « بدلالة مستند
الاىصال المسطر بالمحكمة الشرعية بالمدرسة المكاملة المؤرخ برابع
عشر شوال سنة ٩٦٥ هـ يولية ١٥٥٨ م » (١٣١) .

وبذلك يتضح خطأ القول بأن نشأة هذه الوظيفة ترجع الى
بداية التسجيل الزمنى لسجلاتهم ، كما انا عثرنا بين سجلات
محكمة القسم العسكرية على سجلات تابعة للقسم العربى
ووضعت خطأ فى سجلات القسم العسكرية ومن بينها سجل كامل
يتناول الفترة من ٩٦٨ هـ ١٩٦٢ م ويعتبر هذا السجل أول سجل
كامل للقسم العربى » (١٣٢) .

تعيين القسم العربى :

ويعين القسم العربى من قبل قاضى العسكر ويسجل قرار
تعيينه فى سجلات محكمة القسم العربية كالاتى : « يوم الأربعاء
المبارك ٣ جمادى الآخرة من شهور سنة ألف واثنين وأربعين هـ جلس
سيدنا ومولانا فخر ٠٠٠٠ أفندى على بن محمد أيد الله تعالى
أحكامه وأحسن اليه قساما عربيا بالقسم العربية بالقاهرة المحمية
بموجب التذكرة الواردة له فى شأن ذلك من سيدنا ومولانا أعلم

العلماء المتبحرين ٠٠٠٠٠ مولانا موسى أفندى الناظر فى الأحكام
الشرعية بالديار المصرية جعل الله جلوسه مباركا « (١٣٣) » .

وتلقب الوثائق القسم العربى بنائب قاضى القضاة
ومخدومه (١٣٤) وجمع القسم العربى الى جانب عمله كقسام
أعمالا قضائية أخرى مثل « الحاج على الرومى الحنفى قاضى
الديوان العالى قساما عربيا » (١٣٥) وفى هذه الحالة كان عليه
رئاسة القضاء فى الحكمتين وهناك أيضا من تولى « قساما عربيا
وقاضيا للديوان العالى وقاضى الصالحية النجمية » (١٣٦) . وفى
هذه الحالة كانت الأمور الخاصة بالقسم العربى تنظر فى غالب
الأحيان بالصالحية النجمية وتذكر الوثائق « بالمحكمة الشرعية
بالصالحية النجمية المتعلقة بالقسمة العربية وكذلك بمحكمة
الصالحية النجمية القسمة العربية » (١٣٧) .

وأحيانا كثيرة كان قاضى العسكر يعهد الى أحد أبنائه بالقيام
بأعباء القسم العربى مثل « قاضى عسكر عبد الله أفندى الذى عهد
بذلك الى نجله يحيى أفندى » (١٣٨) .

وكثيرا ما كانت تحدث حركة تنقلات قضائية بين محاكم
أخطاط القاهرة وبين محكمة القسمة العربية فقد انتقل « مصطفى
أفندى قساما عوضا عن صالح أفندى الذى انتقل بدلا منه الى
محكمة بولاق » (١٣٩) . ويبدو أن هذا كان أمرا مفيدا للمتقاضين
ولأعمال القضاء بوجه عام .

وكان من حق القسم العربى أن يعتزل عمله اذا ما أراد ذلك
لأى ظرف من الظروف التى يمر بها مثل : « عبده أفندى بن إبراهيم
الذى عزل نفسه من القسمة اختيارا لتزايد المرض عليه » (١٤٠)

و « سعد بن حسن الرومي الحنفى الذى تولى عوضا عن مولانا افندى درويش لارادته السفر الى الديار الرومية » (١٤١) .

ووجد بجانب القسام العربى الحنفى نواب من المذاهب الأخرى يخضعون لرئاسته وذلك كعادة المحاكم فى تلك الأونة من وجود قضاة على المذاهب الأربعة حتى يلجأ اليهم اتباع مذاهبهم ، وكان العمل يستمر طوال أيام الأسبوع بما فيه يوم الجمعة بلا عطلة حتى لا يتم تعطيل أعمال الناس .

ويلاحظ أن قائم مقام قاضى عسكر كان يتولى القيام بأعمال القسم العربية لحين حضور قاضى عسكر (١٤٢) الذى يعين قساما بعد عزل القسام المعين من قبل القاضى السابق وفى النادر كان يبقيه فى عمله ويرسل اليه تذكرة بذلك .

وقد تولى قاضى عسكر القيام بأعمال القسم العربى . اضافة الى أعماله القضائية وأول حالة تقابلنا فى الوثائق عندما تولى « عثمان أحمد افندى قاضى القضاة أعمال القسام العربى فى رمضان ١١٣٥ هـ يونية ١٧٢٣ م » (١٤٣) وتنص الوثائق أنه « بمحكمة القسم العربية بمصر المحمية لدى متوليها سيدنا ٠٠٠٠ قاضى القضاة بمصر المحمية » (١٤٤) ولكن ابتداء من عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ م تولى قاضى القضاة القيام بأعمال القسم العربى بصفة مستمرة حتى الفترة نهاية الدراسة . وأصبح لقبه الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسم العربية ، وربما يكون السبب فى ذلك قلة ورود القضاة من استانبول فى هذه الفترة فأراد قاضى عسكر أن يسيطر على المناصب القضائية المهمة التى تدر دخلا كبيرا ويجمعها فى شخصه .

مقر القسم العربى :

وكان مقر القسم العربى فى المدرسة الكاملية(١٤٥) وهذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية انشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان فى سنة اثنتين وعشرين وستماية وهى ثمانية دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا للحديث الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق • ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم الفقهاء الشافعية وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودارا تعرف بابن كستول(١٤٦) •

ويبدو أن هذا المقر لم يكن ثابتا فقد أصدر قاضى عسكر مصطفى أفندى أمرا الى القسم العربى يحىى أفندى فى غرة محرم ١١٣٧ هـ ٢١ سبتمبر ١٧٢٤م • بأن يجلس مع كتبه باودة الخياط المجاور لباب الدخول لحوش منزل شيخ الاسلام لتعاطى القسمة العربية والنظر فى ضبط الموارد لاربابها وسماع الدعاوى المتعلقة بالقسمة العربية(١٤٧) •

مدة عمل القسم العربى :

تميزت مدة القسم العربى بالقصر وفى الغالب تتراوح ما بين شهر وأربعة شهور • وكان يتم تعيين القسم بصورة دورية ومستمرة ، ففى عام ٩٨٨ هـ ١٥٨٠م تولى خمسة من القسامين العرب وبلا شك كان ذلك يؤثر على العمل القضائى فى محكمة القسمة العربية كنتيجة للتغيرات السريعة فى منصب القسم العربى •

كما وجد من تولى منصب القسم العربى عدة مرات مثل
« أحمد أفندى بن جلبى » الذى تولى أمور القسمة مرتين و « جمال
الدين عبد الله بن محمود الرومى » .

وربما يرجع السبب فى قصر مدة القسم العربى مقارنة
بالقسم العسكرى هو أن قاضى عسكر مصر هو الذى يعين القسم
العربى أما القسم العسكرى فيعين من قاضى عسكر الأناضول
وكان بعد المكان سببا فى ذلك أيضا (١٤٨) .

الاختصاص القضى للقسم العربى :

اختص القسم العربى بالنظر فى قضايا الرعايا وعامة
الفلاحين الذين لم ينتسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان
والأرجاقات وأهل الذمة من النصارى واليهود الذين يبدو أن عمل
القسم كان منصبا عليهم حتى قيل أن محكمة القسمة العربية
خصصت لأهل الذمة فى العصر العثمانى (١٤٩) .

واتسعت أعمال القسم العسكرى بمرور الوقت على حساب
القسم العربى وذلك لصدور مرسوم من قاضى عسكر بأن ينسب
الرعايا وعامة الفلاحين من المذكور المسلمين من الأدنى للأعلى
للقسمة العسكرية وبقي اختصاص القسم العربى بالنظر فى الأمور
المتعلقة بالنساء المسلمات جميعهن من الأدنى للأعلى وكذلك أهل
الذمة رجالا ونساء من الأدنى للأعلى (١٥٠) .

الاختصاص القضائى النوعى للقسم العربى :

اختص القسم العربى بالنظر فى القضايا ذات الاختصاص
النوعى وهى :

- ١ - قسمة الموارث بين أهل العرب من المسلمين والنصارى واليهود .
- ٢ - التصادقات والاشهادات .
- ٣ - الوصايات على الأيتام .
- ٤ - الكتابة على القاصر وما يتعلق به من بيع وشراء وغيره .
- ٥ - الكتابة على المريض من اشهادات وغيره (١٥١) .

ويبدو أن اختصاصات القسم العربى قد تعرضت للاعتداء من قبل قضاة محاكم الأخطاط لذا كان قاضى عسكر يصدر التحذيرات لهم من تعاطى هذه الأمور وتهديدهم بالعزل والعقاب وفى احيان أخرى كان القسم العربى يخاطبهم طالبا منهم الا ينظروا فى القضايا المتعلقة باختصاصه ان وردت عليهم ويردوها اليه (١٥٢) .

وفى حالة الوفاة كان القسم العربى ينزل بنفسه الى دار المتوفى أو حانوته لضبط المخلقات ، فقد توجه القسم العربى الى بيت سكن المرحوم أحمد بن مرعى الأمواسى الكاين بالربيع الذى بخط الركن الملحق وفتح الصندوق الذى كان مختوما بختم الحاكم المشار اليه وضبط ما فيه من مخلفات المتوفى المذكور (١٥٣) .

واذا ما خالط القسم شك فى سبب الوفاة بانها جنائية كان يتوجه للتحقيق فى سبب الوفاة على الفور ، وضبط المخلقات وحوزها وتقسيمها بين الورثة ، فقد توجه الى حمام الصباغة الكاينة بين القصرين للكثسف عن سستان بن عبد الله الرومى المتوفى بالحمام المذكور وذكر المعلمين بالحمام بأن سنان المذكور مات

بقضا الله وقدره ، ثم ذكر جميع الخلفيات الخاصة بسنان
المذكور (١٥٤) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسم العربي قسمة
التركات « فعندما توفي خليل بن نصير النصراني الملكي الطوري
وانحصر ارثه الشرعى فى زوجته عمايم بنت اسحاق وأولاده منها
خليل وبدر الدجى المرأة زوجة بركات وستيله البكر البالغ وتاج
المراهقة من غير شريك ولا حاجب فتم حصر جميع مخلفات المتوفى
وديوئه وحساب المصاريف التى انفتت فى تجهيزه ورسم القسمة
والديون التى على المتوفى وبعد ذلك قسمت التركة بالفريضة
الشرعية كل حسب نصيبه » (١٥٥) .

وعندما توفي « الحاج محمد بن الحاج حسن الصعدي
وانحصر ارثه فى زوجته الحرمة شعبانية ووالده الحاج حسن
من غير شريك ولا مانع فتم ضبط ما وجد للمتوفى المذكور بطاحون
سكنه ببولاق وقوم ذلك بمعرفة أهل الخبرة بمبلغ ٣٥٠٠
نصف فضة وأضيف الى ذلك ما وجد بالطاحون ٤٨١ نصف
يكون جميع ذلك ٣٩٨١ نصف وضع من ذلك فى التجهيز والتكفين
وكافة المصاريف ١٩١٤ نصفاً ، فتصبح حصة شعبانية بحق
الربع من قبل زوجها ٤٧٨ نصفاً وحصة الحاج حسن الأب
من قبل ولده ١٤٣٥ نصف فضة (١٥٦) .

. وبذلك فقد كان القسم العربى يقوم بتحديد الورثة طبقاً لما
وضعه الفقهاء المسلمون .

ولقد تعرض أهل الذمة لبعض المظالم نتيجة لطمع فى
الجوالى (١٥٧) فصدرت الأوامر من الباشا برفع ذلك الظلم وبأن

يفصل المتوفى من أهل الذمة ويكفن ، وبعد ذلك تحضر جماعة القسام ويضبطون التركة ثم يقسمونها بين الورثة بالفريضة الشرعية (١٥٨) وفى الحالات التى يكون بيت المال فيها هو الوارث يحضر مندوب عنه ويقوم بضبط ويبيع المخلفات بعد الاذن من القسام العربى (١٥٩) .

وينظر القسام العربى فى حالات النزاع حول الميراث ويقوم بالتحقيق فى سبب الخلافات وعندما يثبت الحق لأحد الأطراف يمنع الطرف الآخر من معارضته ويعطيه حقه (١٦٠) .

ويبدو من الوثائق أنه بعد نظر النزاع كانت تعطى حجة بالمنع لطرف صاحب الحق يستخدمها كدليل فى يد صاحبها فى حالة اذا ما تجدد النزاع مرة أخرى واستخدمها فى كافة المحاكم وتقابل بكل التبجيل والاحترام ، وكانت أدلة الاثبات المستخدمة فى كافة المحاكم هى اليمين والشهادة . ويكلف القسام المدعى ببيان ما ادعاه فان عجز عن ذلك يمهل وفى حالة مرور المهلة ولم يستطع الاتيان ببينة تسقط الدعوى ، ويعطى القسام العربى للمدعى عليه حجة بعدم جواز تعرض المدعى له فى الأمر موضع الدعوى .

كما اختص القسام العربى بتعيين الوصى للناظر فيما آل الى الأيتام من مال وينظر فى مصالحهم ويتصرف لهم وعليهم بالبيع والشراء وسائر التصرفات الشرعية وأن يفعل بالأوصياء ما يجوز فعله شرعا الى حين بلوغهم رشدا (١٦١) .

ولا يقتصر عمل القسام على مجرد الوصاية بل يقوم بتقرير النفقة اللازمة للموصى عليه ، فقد قرر لنفقة القاصدة ابنة المرحوم درويش التاجر بسوق الشرب كان عن طعام ولوازم شرعية خلا

الكسوة عن كل يوم من الفضة السليمانية معاملة تاريخه نصف واحد وأذن القسام للوصية عليها بصرف ذلك من مالها الآيل إليها بالارث الشرعى من قبل والدها « (١٦٢) ثم بعد ذلك يقوم القسام العربى بمحاسبة الأوصياء عما أنفقوا على القصر وعما آل اليهم من مال سواء من تجارة أو زراعة ويقدم الوصى الحجج الشرعية الشاهدة له بصدق ما أنفقه وما آل اليه من أموال (١٦٣) وعند بلوغ القاصر سن الرشيد يتسلم التركة من الوصى عليه ويقر أمام القسام العربى بخلو يد الوصى المذكور وبراءة ذمته من جميع ما دخل تحت يده (١٦٤) .

واختص القسام العربى بتعيين القيم ، فقد أقام الحاج سليمان بن أيوب قيما شرعيا على ولد عمه أحمد الغايب بطرابلس الغرب ليضبط ويحرر ويقبض ما هو للغايب المذكور بالارث الشرعى من قبل أخيه على بن المرحوم ابراهيم المغربى المتوفى قبل تاريخه ويبقيه تحت يده الى حين وصول ذلك اليه بالطريق الشرعى (١٦٥) .

وبين يدي القسام العربى كانت تجرى الاشهادات الشرعية : فبين يديه أشهد على نفسه المعلم على أبى الصباغ شهادة الاشهاد الشرعى وهو بحالة الصحة والسلامة والطواعية أن فى ذمته بحق صحيح شرعى للمسمى محمد بن هاشم من الذهب السلطاني ٦ دنانير على الحلول فصدق على ذلك المعلم على أبى العدب المذكور التصديق الشرعى (١٦٦) .

وكانت تجرى بين يدي القسام العربى التصادقات . « فقد تصادق المعلم يوسف بن داود بن بهنا النصرانى الرومى الأرمنى الخمار بخط قناطر السباع الوصى الشرعى على أيتام الهالك

سنان بن بهنا النصراني هن بهنا وروم وخاتون على ان الذي توثب
 بذمة مراد المذكور لبهنا وخاتون وروم ما جملته من الذهب
 السلطاني الجديد مائة دينار واحدة وثمانية وأربعون دينارا وربع
 دينار، (١٦٧) •

واختص القسم العربي بالكتابة على المريض (١٦٨) وكذلك
 توثيق عقود الشراء (١٦٩) والعقود (١٧٠) وتوثيق أمامه هذه
 التصرفات وينظر فيها طبقا للشريعة الاسلامية ايا كانت ديانة
 المتقاضين •

وكان من حق الناس ان يتقدموا بقضاياهم مباشرة الى
 القسم العربي للأنظر فيها ، ولا ينزل القسم الى ضبط التركة
 الا باستدعاء اما لو كان فيها قاصر فيقوم بضبط التركة وتعيين
 الأوصياء عليهم • وكانت بعض القضايا تحول الى القسم العربي
 ببيير لدى (١٧١) من الباشا وبعضها يحول اليه عن طريق قاضي
 العسكر (١٧٢) •

وبذلك يتضح ان القسم العربي اختص بقضايا ذات
 اختصاص نوعي وفي نفس الوقت فقد كان له اختصاص فقوي ،
 وانحصر الاختصاص المكاني للقسم العربي في القاهرة وتابعيتها
 بولاق ومصر القديمة ، وكان له اجر معين لا يتعداه ، وهو في
 أحكامه وتوثيقه للأمور كان يراعى القواعد الشرعية المعمول بها •

قضاة الاخطاط (١٧٣) في القاهرة

تعيين قضاة الاخطاط (١٧٤) :

انتشرت المحاكم في القاهرة في العصر العثماني وخصصت لها اماكن خاصة بها ولم يكن ذلك معروفا من قبل في العصر المملوكي . وكان لقضاة محاكم اخطاط القاهرة مكانة كبرى في ذلك الوقت ، فقد قسمت المراتب القضائية الى ست درجات اعلاها هي محاكم مصر المحروسة وتابعتها بولاق ومصر القديمة ، وكان القضاة لا يتوصلون الى هذه الرتبة الا بعد المرور في الرتب الأقل منها والترقى والوصول اليها (١٧٥) .

وربما كان الهدف من هذا التقسيم هو ضمان ازدياد خبرة القاضى بالأمور الشرعية وتمرسه على الحكم فى الأمور القضائية حيث نجد أنهم طبقا لهذه المراتب أصبح القاضى لا يصل الى منصب القضاء فى محاكم الاخطاط بالقاهرة الا بعد مروره بخمس مراتب أدنى من محاكم القاهرة (١٧٦) .

وقد اعتبر قضاة الاخطاط فى القاهرة نوابا لقاضى مصر وهو الذى يصدر قرارات تعيينهم وعزلهم من مناصبهم وتسجل فى السجلات بداية عمل القاضى كالاتى ٠٠٠٠ من حضرة سيدنا ومولانا ٠٠٠ الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة ٠٠ خطابا لفخر الأشراف المكرمين السيد الشريف يوسف أننا اذناكم وأقمناك نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية بمصر لتتعاضى الأحكام الشرعية وامضاء التمسكات وسماع الدعاوى على مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه من تاريخه أدناه وعليك فى ذلك بتقوى الله العظيم وطاعته فانه من سلك طريق الحق نجا

ومن يثق الله يجعل له مخرجا ٠ تحريرا فى ١٠ ذى القعدة الحرام
سنة ١١٧١ هـ ١٧ يولية ١٧٥٨ م « ٠ .

وكان قضاة الأخطاط يجمعون العمل فى أكثر من محكمة فى
وقت واحد مثل « مصطفى أفندى نايب الباب العالى ونايب محكمة
باب الشعرية » (١٧٧) و « السيد الشريف عبد الله أفندى القاضى
بالمقصورة مؤقتا نايبا حنفيا بمحكمة بولاق » (١٧٨) و « فيض الله
عفيف أفندى الذى تولى نايبا حنفيا فى محكمة الصالحية النجمية
ومحكمة باب الشعرية ومحكمة جامع الزاهد ومحكمة جامع
الصالح بخت باب زويلة ومحكمة طولون ومحكمة قناطر السباع
بمصر المحروسة ومحكمة مصر القديمة » (١٧٩) و « محمد أمين
أفندى نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية ومحكمة باب الجامع
الحاكمى ومحكمة باب الجامع القوصونى ومحكمة باب الجامع
الطولونى ومحكمة قناطر السباع ومحكمة مصر القديمة » (١٨٠)
و « عارف منلا زاده أفندى نايبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية
ومحكمة جامع الصالح بباب زويلة ومحكمة الجامع القوصونى
ومحكمة قناطر السباع كل منها بمصر المحروسة » (١٨١) ٠

وما لاشك فيه أن الجمع بين هذه الأعمال القضائية فى وقت
واحد كان يؤدى الى خلل فى الأعمال القضائية واجراءات التقاضى
لأنه لا يعقل أن يتولى قاض واحد العمل فى سبع محاكم فى وقت
واحد وأدى ذلك بالتالى الى ازدياد سلطة الكتاب والباش كتبة
فى نظر الدعاوى القضائية وأعمال المحاكم نظرا لأنشغال القاضى
فى أعمال المحاكم المختلفة وفى الحقيقة لم يكن ذلك بصفة مستمرة
وإن ظهرت بصورة واضحة فى القرن الثامن عشر ٠

وكان قائم مقام قاضى عسكر يرسل الى المحاكم قبل وصول
شيخ الاسلام يعلمهم بقدم قاضى عسكر مصر الى الاسكندرية

وبقاء النواب الحنفية في مناصبهم لحين وصوله (١٨٢) وعند قدومه كان يقوم بتغيير قضاة الأخطاء ويولى آخرين من طرفه أو يقيهم .

وكان يوجد بكل محكمة من محاكم الأخطاء ثلاثة من القضاة على المذاهب الأخرى بجانب القاضى الحنفى حتى يلجأ اليهم اتباع مذهبهم وكان قاضى عسكر هو الذى يعينهم وكانوا فى الغالب الأعم طوال فترة الحكم العثمانى يختارون من بين العلماء المصريين ، وكانت تقيد قرارات تعيينهم فى السجلات . وهى تصدر من قاضى عسكر مصر (١٨٣) .

وأحيانا كان يعين القضاة فى المحاكم بناء على طلب الكتاب والعاملين بالمحكمة وفى هذه الحالة ينص مرسوم تعيينهم « على عفته وفصيلته وحسن سيرته » (١٨٤) ويتعرض النواب للعزل اذا ما بدت منهم أمور مخالفة مثلما حدث عندما عزل الشيخ « محمد الشرنوبى المالكى من الريادة والقضا من محكمة جامع الحاكم ومن غيرها لأمر ظهرت منه غير لايقة ومن الآن لا أحد يجالس السيد أحمد المذكور ولا يرافقه ولا يكاتبه » (١٨٥) .

وتمتع القاضى الحنفى برئاسة المحكمة فيذكر قاضى عسكر فى أحد مراسيمه « انا لا نعرف اصلاح كل محكمة الا من نايبها الحنفى فانه قايم بمقامنا فيها وأمرها منوط بسه » (١٨٦) وكان الشهود لا يتوجهون لقضاء المصالح خارج المحكمة ، الا بعد الاذن من القاضى الحنفى (١٨٧) كما كان أمر الموظفين فى المحكمة مفوضا لنايب الحنفى فكل من اعتقد فيه اصلاح من الشهود والخدم أبقاه بها وكل من يراه على غير ذلك طرده عنها (١٨٨) وان عجز عن تأديب المخالف وعقابه يرفع ذلك لقاضى العسكر ليعاقبه بما يستحق من

الزجر والتأديب • وبذلك يتضح أن رئاسة المحكمة كانت منوطة بالقاضي الحنفى وهو المسئول عن موظفيها من الكتاب والشهود •

وبالرغم من وجود أماكن محددة للمحاكم فقد يمكن أن يأذن قاضى عسكر لأحد القضاة بالجلوس فى زاوية أو غيرها لنظر القضايا لتسهيل أمور المتقاضين ، فقد اذن قاضى العسكر لقاضى قناطر السباع بالجلوس فى زاوية عبد الجواد رأس نوبة للنظر فى الأحكام الشرعية بين البرية (١٨٩) •

وغالبا ما كان يحدث خلاف بين أئمة الباشوات وقضاة العسكر على أحقية كل منهما فى نيابة محكمة الصالحية النجمية ، وربما كان الخلاف على هذه المحكمة بالذات بسبب أنها من كبريات المحاكم فى تلك الآونة وتنافساً على إيرادها العالى ، ولم يكن هذا النزاع فى صف الأئمة دائماً فقد نجح علمى أحمد أفندى قاضى عسكر مصر فى انتزاع نيابة الصالحية من أمام الوزير أبى بكر باشا وينصح علمى أفندى قضاة العسكر القادمين بعده بالأى وجهوا للأئمة نيابة المحكمة المذكورة لما فيه من راحة المسلمين وذلك لأن الأئمة كانوا يستندون الى الباشوات يتشبه بهم أرباب التزويرات فيظهرون الفساد ويضرون المسلمين (١٩٠) •

ويبدو أن هذا المنع لم يستمر طويلاً لأن قاضى عسكر مصر محمد سعيد أفندى أرسل خطاباً لنائبه فى المحكمة - الصالحية النجمية - وهو عبد الله أفندى النائب الحنفى بها يأمره بدفع المحصول حكم المعتاد لامامى حضرة قاي مقام الحاج محمد بك مير اللوا بمصر هما فخر السادة الأشراف المكرمين السيد الشريف مصطفى أفندى ورفيقه الشيخ أحمد أفندى على وجه الاشتراك فى كل شهر والحذر من المخالفة (١٩١) •

ووجدت المسئولية الجماعية للعاملين في المحكمة عن أعمالها فعندما يخطئ أحدهم يجب أن يمنعوا ولا تعرضوا للعقاب ، فيذكر قاضي عسكر « أنه أن لم يمنع أهل المحكمة المخطئ منهم لتحصل عليهم مالم يكن في حسابهم ومالا يستدركون فارطه » (١٩٢) .

• الولاية المحلية لقضاة الاخطاط : (١٩٣)

وقد وزعت المحاكم في القاهرة توزيعا عادلا من الناحية الجغرافية ، فأدى ذلك الى سهولة اجراءات التقاضى وكثرة لجوء الناس الى المحاكم فى اخص وأدق أمورهم اليومية لقربها منهم (١٩٤) .

ولكن يتبادر الى المذهن سؤال عن الولاية المحلية لهذه المحاكم وهل كانت كل محكمة خاصة بالحى التى توجد فيه ؟

ان الاوامر الصادرة من قاضى عسكر الى قضاة الاخطاط تؤكد وجود الاختصاص المحلى لأعمال المحاكم وعدم الكتابة من حى الى حى وتلزم الكتاب فى المحكمة بالا يمضوا أو يختموا المواد الشرعية من محكمة غير التى يعملون بها (١٩٥) وتتعهد الكاتب الذى يفعل ذلك بالطرد وتوقيع العقاب عليه وأن لا أحد من كتبة المحاكم يتعاطى كتابه من حى الى حى وأنه اذا وردت على أى ريس كان بمحكمة من المحاكم حجة من كاتب من غير كتبة محكمته الجالس بها فلا يمضيها ويردها له (١٩٦) . وزيادة فى التأكيد منع القضاة من امضاء الشهادات من خارج محاكمهم وكل نايب سمع شهادة شاهدين من غير شهود مجلسه بقضية ما وأمضى له حجة بغير خط شهود محكمته وشهادتهم كان معزولا (١٩٧) .

وعلى الرغم من هذه الأوامر فإنها من الناحية الفعلية لم تنفذ تماما فقد كانت محاكم اخطاط القاهرة تنظر وتوثق القضايا

التي ترد اليها والتصرفات المختلفة ممن يلجأ اليهم ضاربين عرض الحائط بالأوامر السابقة بغض النظر عن أماكن إقامة المتداعين وبذلك نجد أنه لم يكن لحل إقامة المتقاضين أثر في تحديد أي المحاكم تختص بالفصل والتوثيق فيظهر من الوثائق العديد من الأمثلة على صحة ما نقول ، ففي محكمة الصالحية النجمية « استأجر الحاج أحمد المعروف بملس الوكالة الكاينة بببلاق القاهرة بحارة المقدم طعيمة بخط المواز » (١٩٨) وفيها أيضا « حضر الى المجلس الشرعى المشار اليه المكرم الأستاذ محمد الخياط بوكالة الخياطين بالغورية » (١٩٩) وكذلك « أقر محمد بن يحيى الشهير بابن الترجماني الدمياطى الحلوانى القاطن بببلاق اقرارا شرعيا ٠٠٠ » (٢٠٠) وبها أيضا « أشتريت الحرمة فاطمة بنت أحمد كوسه من بايعما شقيقها الأمثل الأستاذ محمد المدعو السفراوى الحلاق بببلاق جميع الحصاة ٠٠٠ من كامل المكان الكاين بببلاق بحارة النقلي » (٢٠١) ٠

ولم يكن الأمر مقصورا على أهالى القاهرة بل كان يلجأ اليها الكثير من سكان الأقاليم مثل « لدى الحنفى أشهد على نفسه الشيخ منصور الرفاعى من أهالى ناحية منية حسان بولاية الشرقية » (٢٠٢) و « أشهد على نفسه شيخ العرب هيكل بن بدلان شيخ ناحية كفر جمرة بالقليوبية » (٢٠٣) وكذلك « أشهد على نفسه الحاج منصور بن المرحوم نصار شيخ ناحية سنديون بولاية القليوبية » (٢٠٤) بذلك نجد أن القضاة ينظرون ما يعرض عليهم من قضايا أفراد خارج دائرة محاكمهم ويتلشى بذلك ما يعرف الاختصاص المحلى للمحاكم فى هذه الآونة رغم قرارات قاضى عسكر التى تلزم بذلك ٠

الضعيف أو الشخص العادى ضد الأمير أو لصالح امرأة ضد زوجها • وكان ذلك بالأخص الدافع للأشخاص العاديين للجوء الى المحاكم فى كثير من الاحوال بلا تردد (٢٠٩) •

ويلاحظ ان اختصاصات القضاة كانت منظمة منذ بداية العصر العثمانى وكان لكل قاض اختصاصات خاصة به مثل القسم العسكرى والقسم العربى وقاضى العسكر ، حيث كان قضاة الأخطاء يستأذنون من قاضى العسكر فى نظر القضايا التى كانت خاصة به مثل الحكم على الغائب والاستبدال وغيره (٢١٠) •

وهناك قرارات يصدرها قاضى عسكر الى قضاة الأخطاء بعدم النظر فى بعض التصرفات الخاصة عندما يكون هناك نزاعات - وهى مثل القرارات التحفظية فى الوقت الحالى - مثل عدم بيع مكان كاين بالجامع الأزهر لأن عليه نزاعا (٢١١) وعدم كتابة المبايعات الخاصة بحانوت فى خان الخليلى والمكان بحارة بروجوان تعلق ورثة الحاج على لاشين لحدوث نزاع بين الورثة (٢١٢) وعدم كتابة التواجر فى المكان المعروف بالبئوفرى الكاين بالدويدار بخط الأزهر (٢١٣) وعدم كتابة الاجارة المتعلقة بالأمير محمد بن بغداد (٢١٤) وكان هذا الايقاف حتى يتم فصل النزاع فى هذه القضايا •

أما عن كيفية سير العمل فى محاكم الأخطاء فقد كانت القضايا تمضى وتختتم كل ثلاثة أيام من قاضى عسكر (٢١٥) وإذا تأخرت عن ذلك لا تمضى ولا تؤيد بتاريخين (٢١٦) وكانت هذه التمسكات الشرعية تدفع الى باشكاتب التقارير ليمضيها من قاضى عسكر (٢١٧) وكانت سجلات محاكم الأخطاء تخضع للتفتيش من قبل موظف خاص تابع لقاضى عسكر حتى يتأكد من خلوها من

الاختصاصات القضائية لقضاة الأخطاط :

اختص قضاة الأخطاط بالنظر فى القضايا التى تخرج عن الاختصاص النوعى لقاضى عسكر والقسام العسكرى وكذلك القسام العربى وهى بذلك الزواج والبيع والشراء .

ولكن كان من حق قضاة الأخطاط أن ينظروا فى الأمور الخاصة بقاضى عسكر بعد استئذانه أو فى حالة توجيهها اليهم من قاضى عسكر نفسه مثل « لدى سيدنا الحاكم الحنفى بعد الاذن الكريم من حضرة سيدنا أعظم قضاة الاسلام ٠٠٠ الناظر فى الأحكام الشرعية بالديار المصرية لنايبه المشار اليه فى فعل ما سيذكر فيه ٠٠٠٠ وامثل النايب أمر مستنيبه المشار اليه » (٢٠٥) .

وفى حالة المدعى على أحد سكان الحى الموجود به المحكمة فى الديوان كان الباشا يرسل بيورلدى الى قاضى الحى ومحاظ الأمن فيه الى منزل المدعى عليه والختم عليه وضبط وتسليم الأبواب الى حين حضوره والدعى عليه بالديوان » (٢٠٦) .

ويعطى قاضى العسكر الى قضاة الأخطاط فى القاهرة الأوامر بتنظيم أعمالهم ، فقد أرسل اليهم فى ١٦ ربيع الآخر ١١٢١ هـ ٢٦ يونية ١٧٠٩م « بعدم تعاطى عقد الأنكحة الا بعد التأمل والاحتياط الكلى والنظر فى الكفاءة والولاء ومهر المثل عند عقد الصغيرة وتوافر الشروط الشرعية والتحذير من الخلل بها » (٢٠٧)

كما أمر قاضى العسكر قضاة الأخطاط « بعدم كتابة التواجر فى الأبنية الا بعد الكشف بمعرفة الشرع الشريف وثبوت تخرب العين التى يصدر فيها التواجر » (٢٠٨) .

ومع أن السلطة التى يتمتع بها البعض كانت تضعهم فوق القانون فإن تحليل القضايا يبين أن المحكمة كثيرا ما تحكم لصالح

القضايا المتنوع تعاطيهم اياها (٢١٨) وكان من حق قاضى عسكر أن يطلب احضار هذه السجلات له فى اى وقت (٢١٩) وتحفظ هذه السجلات فى الخزانة الخاصة بالباب العالى تحت مسئولية موظف خاص بقاء وحفظ السجلات حتى يسهل استخراجها بسهولة (٢٢٠) .

وتقابلنا فى سجلات محكمة الباب العالى قضايا صادرة عن محاكم الأخطاء ولكنها مقيدة بهذه السجلات وتفسير ذلك أن سجلات محكمة الباب العالى أكثر حفظا ونظاما وأضبط من محاكم الأخطاء وبعيدة عن التلاعب فيها (٢٢١) .

ومن حق الناس استخراج صور من المستندات الخاصة بقضاياهم حتى تكون مستندا فى أيديهم وعندما تتعرض بعض هذه السجلات للحرق مثلما حدث فى سجل المصالحية النجمية عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م فصدر أمر من قاضى العسكر بأن من يأتى من الناس لطلب حجة كانت مقيدة بالسجل المحروق فإن باشكاتب المحكمة يأتى بها الباب العالى ويعرضها على النائب ويعمل الصبح عليها وتقيد بهذا السجل (٢٢٢) .

وبحكم رئاسة قاضى العسكر كان يرسل الى قضاة الأخطاء يوصيهم بالرفق بالرعية ورحمة الفقراء وعدم الالتفات الى العرض الفانى والمشى بالانصاف وعدم الاجحاف واجتناب ما فيه الضرر على الناس (٢٢٣) فان المقصد والغاية هو النظر فى مصالح المسلمين وأمور الرعايا على الوجه القويم والنهج المستقيم مع غاية الشفقة عليهم والنظر بعين الرحمة والرافة اليهم (٢٢٤) كما يطلب منهم اجراء الشرع على النهج المستقيم والنظر فى أمور الرعية والتحرى فى القضايا الدينية وملاطفة الفقراء فان المقصد النهائى هو الرفق بالمسلمين استجلابا لمصالح دعواتهم (٢٢٥) .

يُتضح من هذا مدى حرص قاضى العسكر بصفتة رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة آنذاك ، على الرفق بامور المتقاضين وعدم الاجحاف بهم . وانطلاقا من هذا الحرص على مصالح الناس وسهولة اجراءات التقاضى كان قاضى عسكر يوقع العقاب على أى مخطيء من العاملين بهذه المحاكم اذا ما شككا منه الناس (٢٢٦) وكذا كان يحذر من الحيل التى يلجأ اليها بعض المتقاضين مثلما يحدث عندما تكون لخصمين دعوى شرعية بديون ومعاملات ونحو ذلك فيبادر أحدهما ويدعى على الآخر بما يوجب التغريم أو ندوه دفعا للخصومة المالية لذا صدر الأمر بالا ينظر الى الدعاوى الموجبة للتعزير قبل تمام الدعوى المالية وبعد ذلك ينظر فى الدعوى الموجبة للتعزير (٢٢٧) .

وعندما شكوا الناس من الشهود لأنهم يكتبون القضايا بالسجلات ولا يكتبون رسم شهادتهم أدناها وفى هذا ضياع أموال المسلمين عندما يقع التنازع فيها مرة أخرى فلا يجدون شاهدا يشهد بها ، لذا فقد أمر قاضى العسكر بعدم حدوث ذلك بل تهديده النواب بالعزل فى مثل هذه الحالات (٢٢٨) .

وبذلك فقد كان قضاة محاكم القاهرة يخضعون لمراقبة شديدة هم والعاملون معهم من شهود وكتاب من قاضى العسكر بغية تسهيل اجراءات التقاضى وكان لهذا وقع على الناس الذين كانوا يلجأون اليها فيجدون فيها بغيتهم وهذا ما يفسر لنا أن الناس كانوا يلجأون الى القضاة فى أدق الأمور اليومية .

كذلك دفعت المراقبة الشديدة من قاضى العسكر لقضاة الأخطاط الى نزاهة القضاة فى هذه الآونة فلم يكن هناك أحد فوق قانون الشريعة الذى يحكم به ، ولم تكن مناصب المتقاضين ذات

اثر على طبيعة الحكم فكثيرا ما حكم لصالح فرد من الرعية ضد
آخر من الطبقة الحاكمة .

ولم يكن قضاة الأخطاء يحصلون على نسبة اعلى مما حدد
لهم من رسوم القضايا المختلفة التى حددت بمراسيم من قاضى
العسكر .

كان قضاة الأخطاء فى معظم فترات الحكم العثمانى - ولاسيما
فى القرنين السابع عشر والثامن عشر - من العلماء المصريين بعد
أن قل ورود القضاة من استانبول ولهذا كان القضاة من خريجي
الجامع الأزهر . بعد أن كانوا فى بداية الفتح من الاتراك .

الاختصاصات القضائية للباشا العثمانى :

كان القضاة منذ صدر الاسلام جزءا من الولاية العامة
للخليفة وكان من حق صاحب هذه الولاية أن يخص القاضى ببعض
أنواع القضايا دون غيرها ، ولذا فإن عمر بن الخطاب حينما فصل
القضاء عن الولاية جعل القضاء مقصورا على فصل الخصومات
المالية ، أما الجنايات وما يتعلق منها بالقصاص أو بالحدود فاتها
بقيت فى أيدي الخلفاء وولاة الأمصار (٢٢٩) .

وفى مصر فى العهد العثمانى كان الباشا يجلس فى الديوان
وبجانبه قاضى العسكر للنظر فى الخصومات التى تعرض عليه
وكان هذا امتدادا لاختصاصه القضائى فى النظر فى الأموال
والدماء ، وكذلك امتدادا للتقليد العثمانى الذى كان يجعل السلطان
ثم من بعده الصدر الأعظم يجلس فى الديوان للمحاكمات بين الناس
وبجانبه أحد قضاة العسكر ، ويعتبر هذا التقليد فى حقيقته
امتدادا لقضاء المظالم فى العهد الإسلامى .

ومنذ بداية العصر العثماني وفي عهد الحاكم الأول خاير بك كان يجلس للمحاكمات « ويجهر النداء في القاهرة بأن كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الأمراء » (٢٣٠) وكان هذا قبل صدور قانون نامة مصر الذي صدر بعد ذلك في عصر السلطان سليمان والذي قنن حكم الباشا في أمور خاصة لايتعداها مثل الدماء والخراج كال تقليد الاسلامي تماما .

فعلى الرغم من أن قانون نامه « منع الرالى من فصل الخصومات ما لم يكن ذلك بمعرفة القاضى والا يقدم على تنفيذ عمل دون علم القاضى ومن يصير على مخالفة ذلك بعد هذا التنبيه يعزل » (٢٣١) .

ولكن قانون نامه اعطاه الحق في معاقبة ناظر الأموال في حالة اختلاسه الأموال السلطانية (٢٣٢) وفي حالة التقصير من جانب الكشاف في الأموال السلطانية أو عدم تجهيز الأرض للزراعة أو خراب القرى من أثر الظلم يعطيه القانون الحق في الحكم عليه بأشد العقوبات وهى الاعدام (٢٣٣) وهذا يدلنا على أن قانون نامه اعطى صلاحيات قضائية للباشا في أمر الخراج ، بل أنه اعطاه الحق في معاقبة المذنب بأشد العقوبات « الاعدام » .

ووجد من الباشوات من عرف بتفحصه للامور ومراجعتة للاخصام المرات العديدة . وفى عهد أحمد باشا الدفتردار (ربيع الثانى ١٠٢٤ / صفر ١٠٢٧ هـ - مايو ١٦١٥ / يناير ١٦١٩ م) كان يفحص فى الامور ويراجع الخصم المرات العديدة فاذا رأى ثباته حكم بما يراه من الحق . وكان يجلس فى أيام الديوان الكبير الى ما بعد الظهر ومع ذلك يعمل ديوان العصر فى مقعد قايتباى ويوقف اصحاب الشكاوى امامه فى آخر الديوان وكل منهم قصته فى يده .

وامامه شطر من الجاوشية بعرض الديوان ويطلقونهم واحدا بعد واحد . فيتفق كثيرا اذان المغرب قبل فراغ الناس فيأمر بانصرافهم وفى غد يحضرون(٢٢٤) ومما حمد به هذا الوزير انه كان يجرى الأحكام على مقتضى الشريعة . ويعطى لكل صاحب حق حقه حتى لو كان خصمه احد كبار الصناجق(٢٣٥) .

ومن الباشوات من كان ضعيف العلم بالشرع مما يؤدي الى وقوع اخطاء فى محاكماتهم من ذلك ما حدث فى عهد داود باشا الخادم (١٧ محرم ٩٤٥ / ربيع الاول ٩٥٦ هـ ١٦ يونيه ١٥٣٨ / ابريل ١٥٤٩ م) فقد حدث ان قتل صبي امرد من اولاد المتعممين وكان يقيم الأب رجلا فقتله ، فامسكه اهل المقتول وعرضوه على الباشا فلما رآه اشفق عليه لأجل والدته فارضى الورثة بثلاثماية دينار دية المقتول ، ثم ان الوزير قال للغلام هل تحفظ القرآن ؟ فقال الغلام نعم فقال اقرأ ما تيسر ، فاستفتح الغلام بقوله تعالى « يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » فقال الوزير صدق الله العظيم وأمر بقتل الغلام فقتلوه . وهذا خطأ شرعى بعد رضا الورثة بعدم القتل(٢٣٦) .

كما يظهر ان بعض الباشوات كان يلجأ قبل اتخاذ الحكم الى أخذ حجة على المتهم بما فعله امام القاضى ثم يصدر هو الحكم . وعلى ذلك يكون القاضى هنا هو اداة التحقيق والباشا هو سلطة تنفيذ الأحكام واصدارها(٢٣٧) .

واشتهر بعض الباشوات بالتعصب فى أحكامهم وعدم التحرى عن القضايا المختلفة والقسوة فى اصدار الأحكام ، مثل محمود باشا (شوال ٩٧٣ هـ - جمادى الاول ٩٧٥ هـ / ابريل ١٥٦٦ - نوفمبر ١٥٦٧) . فيذكر عنه « انه اراق دماء كثيرة بحيث اذا وصل

اليه الصوياشى فى الديوان وعرض عليه من معه من المتهمين يشير اليه بمروحة فى يده الى الصليب أو التوسيط أو رمى الرقبة وغير ذلك من أنواع العذاب والقتل بإشارات خاصة من غير أن يتكلم بلسانه» (٢٣٨) .

كما كان بعض الباشوات يصدرن حججا بأحكامهم ، واتخذ بعضهم افتتاحيات خاصة بهم فى بداية الحجة مثل سليم باشا الخادم . فقد كان يأمر كتبة المراسيم بأن يكتبوا على الأحكام «أنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون ، اجتهدوا فى دين الله وأعملوا بشريعة الله» (٢٣٩) .

ونتيجة لأن معظم الحكام العثمانيين على مصر كانوا ينتمون لطبقة القبولولارى كانت تحدث خلافات بينهم وبين العلماء المصريين وذلك لعدم جواز إصدار الرقيق الأحكام . من ذلك ما حدث من خلاف بين الشيخ ابن عبد الحق وداود باشا فى عام ٩٥٠ هـ ١٥٤٣ م ، فقد اتهم الشيخ الباشا بأنه لا يجوز له إصدار الأحكام لأنه رقيق (٢٤٠) .

وعندما أرسل الباشا الى السلطان أرسل اليه السلطان أنه اعتقه . وأوصاه بالمرعية وأن يعدل فى الأحكام ولا يقتل الا بعد التأكد من اقتراف الذنب (٢٤١) .

وكنتيجة لتداخل الاختصاصات القضائية بين الباشا وقاضى العسكر كانت تحدث الخلافات بينهما من ذلك ما حدث بين قاضى القضاة قاسم الكردى أفندى والباشا من خلاف حول سجن أحد الجند فقال الباشا للقاضى حكمك فى الطلاق والزواج والارث أما الدماء والخراج فمن حق الباشا (٢٤٢) .

وبهذا يتأكد لنا أن الاختصاصات الجنائية كانت هي والنزاع في أموال الخراج من اختصاص الباشا طبقا لحدود الولاية العامة التي يتمتع بها بحكم نيابته عن السلطان العثماني بوصفه سلطان المسلمين ، وقد قابلنا في الوثائق جرائم قتل وكانت سلطة القاضي فيها مقصورة على التحقيق فقط ، أما سلطة إصدار الأحكام فقد كانت مخولة للباشا وامتد هذا بالتالي إلى حكام الكاشفيات في مصر .

فعندما « تقدمت السيدة الشريفة مكية زوجة السيد الشريف أحمد بن عطا الله وانتهت أن مرقوق زوجها بلال الأسود وضع السم لسيدة في الطعام فمات من أثر ذلك واعترف بلال المذكور بذلك طايعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار » وذلك لأنه زوجه بجارية له وكان يطؤها بعد زواج بلال منها . فعند ذلك سلم العبد بلال إلى الأمير على كتحدا ليخرج من حقه بالسياسة ليرتدع أمثاله (٢٤٣)

ولكن في القرن الثامن عشر وازاء الضعف في كل النظم العامة بسبب تعدى السلطة العسكرية اتسعت سلطاتهم باستمرار بشكل ضار ، فقد كان القادة العسكريون وضباط البوليس وأحيانا صغار الموظفين يأمرؤن بتوقيع العقوبات وحكم الاعدام دون أى محاكمة ولو صورية ، ولم تكن توجه اليهم أى مساءلة في أعمالهم في الأغلبية العظمى من القضايا (٢٤٤) .

وفي القرن الثامن عشر ونتيجة لزوال السلطة الفعلية للباشا ويزوغ سلطة الأمراء المماليك الذين بدأوا يحلون محل الباشا في المحاكمات الخاصة . فقد كانوا يعقدون مجالس للحكم في قصورهم وكان ذلك مرتبطا بمكانتهم العالية وقدراتهم على استخلاص الحقوق تبعا لمكانتهم السياسية .

من هؤلاء « عثمان بك ذو الفقار » الذى يذكر عنه انه انتهت اليه الرياسة وسمح على أمراء مصر ، ونفذ أحكامه عليهم قهرا عنهم وعمل فى بيته دواوين لحكومات العامة وانصاف المظلوم من الظالم ، وجعل لحكومات النساء ديوانا خاصا ولايجرى أحكامه الا على مقتضى الشريعة ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها(٢٤٥) .

ومن هؤلاء أيضا اسماعيل بك بن ايواظ « وكان يحضر اليه الناس حتى من الأقاليم وكان يقوم بالتحقيق فى الشكاوى التى تقدم اليه(٢٤٦) » .

وهذا النوع من المحاكمات هو النتيجة الحتمية لازدياد سلطة الأمراء المالىك على حساب السلطة الشرعية للباشا التى ضعفت بحيث لم تعد قراراته ملزمة للامراء والجند ، وحكم الأمراء هذا كان سائدا فى الدولة المملوكية من قبل .

كذلك يتأكد لنا أن الباشا العثمانى فى مصر تمتع بسلطات قضائية فى الأمور الخاصة بالخراج والدماء ، وهذا امتداد للتقاليد الاسلامى . كما نخلص من ذلك أن الحكم العثمانى لم يخالف القواعد التى وضعها الفقهاء فى اصول التقاضى وحدود الولاية الخاصة والولاية العامة .

انحسار الولاية القضائية للقضاة :

يتضح من المصادر المعاصرة للحقبة العثمانية فى مصر أن السلطة القضائية للقضاة لم تكن ممتدة على جميع فئات السكان فى مصر . وأدى هذا بالتالى الى وجود فئات تخضع قضائيا لسلطة أخرى غير قضاة الشرع مثل رؤسائهم ، بل فى حالات الأجانب الى قوانينهم الخاصة وترتب على ذلك خرق لمبدأ اقليلية الشريعة الاسلامية وانحسارها . وهذه الفئات هي :

(أ) الأشراف ،

(ب) الانكشارية •

(ج) أهل الذمة •

(د) الأجانب •

البيان

(أ) الأشراف :

والأشراف هم الذين ينتمون لآل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكانوا يتجمعون في نقابة خاصة بهم ، وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى (٢٤٧) والنقابة على ضربين : خاصة وعامة ، فأما الخاصة : فهي أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها الى حكم ، وإقامة حد • فلا يكون العلم معتبرا في شروطها ، أما في الولاية العامة فمن حقه أن يقوم بالحكم فيما تنازعوا فيه والولاية على أيتامهم وإقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه وتزويج الأيتام وإيقاع الحجر على من سفه منهم وفكه اذ أفاق ورشد ولا بد في ولايته هذه أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه وينفذ قضاؤه (٢٤٨) •

وفي هذه الحالة يجوز للقاضى والنقيب الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه وفي تزويج أيتامهم • ولم يكن لأحدهما نقض حكم الآخر وإن اختلف متنازعا فدعا أحدهما الى حكم النقيب ودعا الآخر الى حكم القاضى فيكون الداعى الى حكم النقيب أولى بخصوص ولايته (٢٤٩) •

وقد منح العثمانيون للأشراف امتيازات شخصية أو فردية أكثر منها مالية كتمتعهم بعدم الخضوع للعقاب الشديد كما كانت لهم محاكمهم الخاصة وكان نقيب الأشراف يعين من قبل السلطان مباشرة ويرأس الهيئة القضائية الخاصة بالأشراف كما كانت له سلطة مطلقة على هؤلاء الأشراف (٢٥٠) .

وكان نقيب الأشراف في استانبول يتمتع بسلطة على كل نقباء الأقاليم وهو الذي يعينهم (٢٥١) وانتظم الأشراف في مجموعات قوية ولكن في نفس الوقت ضعيفة التنظيم . وتمتع الأشراف عموماً بالاننفاع بالامتيازات التي منحها العثمانيون لهم احتراماً لأسرة النبي وأيضاً لتثبيت مراكز العثمانيين أنفسهم باعتبارهم من أنصار السنة وخول نقيب الأشراف سلطات قضائية (٢٥٢) .

ويعد نقيب الأشراف في مصر من كبراء مصر ومن أصحاب الكلام ، وحكمه ماض على الأشراف وكل من وقع منه ذنب يقاضيه بقدر ذنبه وله بلاد اعطاها له السلطان ومكنه فيها لأجل معاشه واعانته على ذلك (٢٥٣) .

وفي حين كانت ولاية نقيب الأشراف في مصر عامة فقد كان يعين نقباء الأقاليم نقابة خاصة وعلى ذلك فلم يكن يحق لهم القضاء بين الأشراف في الأقاليم وأن كان من حقهم إقامة الحدود والتعزير فيذكر في قرار تعيينه « ليتقيد بأمور السادة الأشراف وينظر في مصالحهم ومهماتهم وأذنه بفعل ما يراه من حيس وإقامة حدود وتعزير بموجب الشرع الشريف خلا ما يتعلق بأمر ثبوت الأنساب كسماع الدعاوى وإقامة البينة ... فإنه لم يؤذن له في ذلك لكون أن المتصرف فيه مختص بحضرة نقيب أفندي المولى إليه ولم يفوض الأمر في ذلك لأحد قط » (٢٥٤) .

(ب) الانكشارية :

أعتبرت فرقة الانكشارية أهم الفرق العسكرية فى مصر وهى المنوط بها حفظ القلعة كذا اطلق عليها فرقة مستحققان • ونيط برجالها حفظ الامن فى القاهرة •

وقد خصت الدولة الطوائف الانكشارية بعدة امتيازات منها منحهم حصانة تمنع القبض عليهم أو قيام السلطات المدنية بتوقيع العقاب عليهم • وكان ضباط الانكشارية دون سواهم يقومون بتنفيذ العقوبات التى يحكم بها عليهم • كانت العقوبات تتفاوت بين الجلد والسجن والاعدام (٢٥٥) •

وعندما يقبض على انكشارى فى احدى القضايا يقول أنا انكشارى فيطلق سراحه •

وقد ادى دخول العسكريين من هذه الفرق الى الطوائف الحرفية الى تعقد اجراءات العقوبة فبالرغم من انهم كانوا جنودا بالاسم فقط فانه عندما يمثل احدهم امام القاضى فى المحكمة متهما ببعض الاتهامات فان القاضى كان مضطرا لتسليمه الى ضباطه فى فرقته الأصلية وكانت العقوبة غالباً للمذنبين هى الضرب ، فكان المذنب يجلد على الفور امام حائوته وذلك فى الذنوب البسيطة أما بالنسبة للذنوب الكبيرة والتى تكرر وقوعها من العضو فقد كان العقاب هو السجن مع الأشغال اليدوية أو بدونها لمدة شهرين أو ثلاثة أو بدون تحديد (٢٥٦) •

وبذلك فقد كان لهذا الامتياز ضرره الكبير وخاصة خلال القرن الثامن عشر حيث انهارت الفرق العسكرية بما فيها فرقة الانكشارية وأدى ذلك الى دخولهم الطوائف الحرفية وبالتالى

استخدام كافة اساليب التلاعب والغش لتأكيدهم من اعفائهم من
المثل امام القاضى الشرعى ، ومجاملة رؤسائهم لهم فى حالة
محاكمتهم امامهم .

(ج) اهل الذمة :

لما كان الشرع الاسلامى خاصا بالمسلمين فقد خلت الدولة
الاسلامية بين اهل الملل الأخرى ومحاكمهم وكانت هذه المحاكم
محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام
كبار القضاة أيضا ، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون ولم تقتصر
احكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل
الميراث وأكثر المنازعات التى تخص المسيحيين وحدهم (٢٥٧) .

وقد اعترف العثمانيون بالطوائف الملية الأخرى بحقها
القضائى فعندما دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية جمع
ائمة دينهم (النصارى) لينتخبوا بطريركا لهم فاختاروا جورج
سيكولادىوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيسا لطائفة
المسيحيين ومنحه حق الحكم فى القضايا المدنية والجنائية بكافة
انواعها المختصة بالاروام وعين معه فى ذلك مجلسا مشكلا من
أكبر موظفى الكنيسة واعطى هذا الحق فى الولايات للمطارنة
والقسوس (٢٥٨) .

وفى مصر منذ بداية العصر العثمانى كان البطاركة ينظرون
ويحكمون فى مسائل الأحوال الشخصية بين أفراد الطائفة كما
كانوا ينظرون ويحكمون فى المسائل المدنية والادارية والجنائية
فكان لهم حق الحبس وحق النفى (٢٥٩) وبذلك فقد قامت الكنيسة
على كافة مستوياتها بدور قضائى مهم فى حياة الأقباط . فعلى
مستوى البابوية وصفت بعض الوثائق القبطية البابا بأنه (الناظر

فى الأحكام الشرعية لنائفة المسيحية اليعتوبية) وهو نفس الملقب الذى كان يتخذ القاضى المسلم (الناظر فى الأحكام الشرعية) فكان البابا يقوم بتطبيق أحكام الشريعة المسيحية على المتقاضين أمامه • كما لعب الأسقف نفس الدور بين أهالى الأسقفية (٢٦٠) •

لكن حكم البطريك لم يكن نهائيا اذ يمكن للطراف المتنازعة ، باتفاق فيما بينها ، أن ترفع الأمر الى القاضى الذى يقر عادة حكم البطريك ، أما الجرح والجرائم فتعامل بطريقة أخرى فالبطريك لا يفصل الا فى الجرائم الصغيرة التى لا تتطلب الا عقابا اصلاحيا (٢٦١) •

وتقوم الكنيسة بجهود على كافة مستوياتها فى اجراء المصالحات بين المتخاصمين وفض المنازعات بينهم • ولم يستنكف البابا النظر الى بعض الأمور المخالفة للشريعة المسيحية مثل حالات الطلاق التى كان يحاول فيها اصلاح ذات البين واعادة الأمور الى نصابها وهى من الأمور التى تميزت فيها الكنيسة بدرجة عالية من المرونة (٢٦٢) •

ومن أشهر البابوات الذين اشتهروا بالعدل فى قضائهم البابا يوانس الخامس عشر سنة ١٦١٩م وكان هذا البابا لا يحابى الناس وكانت لا يحد عن الحق مهما كان مركز المتقاضين أمامه ، ولذلك نال بجدارة واستحقاق لقب القاضى العادل (٢٦٣) وايضا البابا متاوس الرابع سنة ١٦٦٠ م الذى جلس على الكرسي المرقسى داخل القلاية البطريركية بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة وبدا فى الأحكام الشرعية والأمور البيعية (٢٦٤) •

وفى حالة ترافع أهل الذمة امام القاضى المسلم فانه كان يحكم بينهم طبقا للشريعة الاسلامى ، وهم غير مجبرين على اللجوء

للقاضى المسلم الا بمحض ارادتهم • وقد حافظ الحكم العثمانى على التقليد الاسلامى بالحفاظ لأهل الذمة على كياناتهم الدينى الخاص واحترام احكامهم فيما لا يضر بالنظام السائد فى البلاد فى نفس الوقت فقد كانت احكام البابا تنفذ على رعاياه الذين يلجأون اليه ، وكذلك الحاخام اليهودى الذى كان له دور مماثل لدور البطرك على رعاياه من اليهود •

(د) الأجانب :

عندما نزع التجار الأجانب بكثرة الى مصر عمل حكاهما منذ الدولة الايوبية على منحهم امتيازات خاصة لتشجيعهم على البقاء فى البلاد وممارسة تجارتهم ولاسيما بعد فترة الحروب الصليبية واستمرار العداء بين الشرق والغرب ، ومن هذه الامتيازات التى حصل عليها الأجانب الحق فى التقاضى امام قناصلهم وتبعاً للقوانين السائدة فى بلادهم لا القوانين السائدة فى مصر • وفى هذا قضاء على مبدأ اقليمية القانون • وعندما دخل العثمانيون مصر وجدوا هذا الوضع السائد فلم ينكروه بل عملوا على استمرار الامتيازات الأجنبية وعملوا على تشجيعهم من جانب الفاتح الجديد حتى لايعاملوا بشدة فيهربوا ويؤدى ذلك الى خسارة اقتصادية •

وقد قام السلطان سليم الأول بتجديد الامتيازات التى كانت تتمتع بها جمهورية البندقية فى العصر المملوكى وذلك فى ١٤ فبراير سنة ١٥١٧م وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة أن قنصل البندقية هو الذى كان يحق له وحده محاكمة مواطنيه ، وليس للقاضى المسلم أن يتدخل فى هذا الشأن (٢٦٥) وإذا رفض أحدهم الانصياع الى حكم القنصل ولجأ الى القاضى المسلم للطعن فى هذا الحكم أو لكى يستشكل فى تنفيذه فان القاضى المسلم لا يستمع

الى دعواه ، وعليه أن يحيل الموضوع الى القنصل وعلى القاضى
مساعدة القنصل مساعدة قوية (٢٦٦) .

غير أن أهم المعاهدات التى عقدت مع الدولة العثمانية هى
معاهدة سنة ١٥٣٥م المعقودة بين السلطان القانونى وفرنسا
الأول ملك فرنسا ، ومن أهم ما جاء بهذه المعاهدة من الناحية
القضائية أن يكون لقناصل فرنسا سلطة قضائية واسعة ، فهم
يستمعون لشكاوى مواطنيهم ويقضون فى شؤونهم المدنية والجنائية
بحسب دينهم وقانونهم ودون أن يمنعهم من ذلك حاكم أو قاض
وإذا لم يستطع تنفيذ القرارات التى يصدرونها على رعاياهم ،
فعلى الصوباشية وغيرهم من الموظفين الأتراك أن يستخدموا
سلطتهم ويقدموا المساعدة اللازمة وإذا ما قضى قضاة الدولة
العثمانية فى خلاف حدث بين رعايا الملك الفرنسى ، فإن حكمهم
يعتبر ملغى وغير ذى قيمة حتى لو كان التجار أنفسهم هم الذين
طلبوا ذلك (٢٦٧) .

ويلاحظ أن الدولة العثمانية عندما منحت هذه الحقوق لملك
فرنسا كانت فى أوج قوتها ويتقرب اليها ملوك الدول الأخرى ولم
يكن هذا المنح الا جريا على المنح والامتيازات التى كانت سائدة من
قبل - بل من قبل نشأة الدولة العثمانية ذاتها - وكذلك لتشجيع
التجارة والتجار . وسعت الدول الأخرى الى عقد معاهدات مع
الدولة العثمانية على فترات مختلفة للحصول على مثل هذه
الامتيازات لرعاياها ، فى الوقت ذاته كان هناك بعض التجار
التابعين للحماية الفرنسية داخل البلاد التابعة للدولة العثمانية مما
أدى الى حصولهم على نفس المزايا الخاصة بالفرنسيين .

وقد كانت الامتيازات الى عام ١٧٣٩م امتيازات مؤقتة
يمنحها السلاطين وتنتهى بموتهم أو بتركهم العرش . ولكن فى عام

١٧٣٩م وقفت فرنسا الى جانب تركيا تعضدها أدبيا فى دفع نتائج اعتداء دهمها به الروس والنمساويون وساعدت على حصول تركيا على صلح شريف ، فى نظير هذه الوساطة حصلت على امتيازات نصت صراحة على أن تبقى أحكامها نافذة المفعول غير محتاجة الى اجازة كل سلطان(٢٦٨) .

ولقد كان من بين معاونى القنصل فى القاهرة القضاة الذين يعملون معهم وكانت مهمتهم الرئيسية هى الاشراف على التجار(٢٦٩) ومن المؤكد أن وجودهم كان بغرض تقديم المشورة للقنصل فى القضايا التى تعرض عليه .

واستخدم القناصل سلطاتهم القضائية على اتباعهم ومعاقبتهم اذا لزم الأمر مثل القنصل بيليرون الفرنسى الذى أمر بترحيل الطبيب الفرنسى « شاربير » لأنه اتصل بجارية سوداء عمرها خمسة عشر عاما ، كذلك قام القنصل « مورفى » عام ١٧٨٤م بطرد التاجر الفرنسى « لازار ماتين » لاقامته علاقة مع جارية مسلمة(٢٧٠) .

وقد ارتبط بالامتيازات الأجنبية ما يعرف بالبراءات فالفرنسيون والأمم الأخرى التى دخلت فى مواد المعاهدة كان يسمح لها ببيع أوراق خاصة تدعى براءات للأفراد العثمانيين المحليين وبناء عليه تمنحهم نفس الامتيازات التجارية والحصانة القضائية باعتبارهم أجانب ودخل عديد من غير المسلمين تحت هذه الحماية (حماية السلطات الأجنبية)(٢٧١) .

ويجب أن نعترف بأن هذه المعاهدات لم يكن لها أى اثر مادامت الدولة العثمانية قوية ومحافظة على نظمها أما فى حالة الضعف فقد استغل الأجانب كل ما اثر فى هذه المعاهدات من

شروط وفسروها كيفما يحلو لهم • وكان هذا هو الاساس الذى قام عليه القضاء القنصلى الذى برز بوجهه القبيح فيما بعد فى القرن التاسع عشر ، غير اننا يجب الا نتجاهل هذا التساهل العثمانى فى المعاهدات والذى لم يهتف على الأقل ببعض الحقوق التشريعية والقضائية بخصوص الأجانب المقيمين على الاراضى العثمانية مما ادى الى القضاء شبه التام على مبدأ اقلية الشريعة الاسلامية • وكذلك ادى الى الخلل التشريعى والقضائى •

هوامش الفصل الثانى

- (١) ابن اياس - مصدر سابق . ج ٥ ص ١٦٥ .
 - (٢) نفسه ونفس الجزء . ص ١٦٦ .
 - (٣) نفسه ونفس الجزء . ص ٢٤٤ .
 - (٤) Yilmaz Oztuha, Osmanli Devlet Turihi Istanbul, P. 2.
- ١٩٨٦
- (٥) المشهور العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٤ ص ٤٤ .
س ٣٧ ص ٣ . س ٨٤ ق ١٣٩٥ ص ٣٠٢ . س ١٤٩ ص ٩ .
 - (٦) يذكر ابن اياس أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو جليلى افندى فى رجب ٩٢٨ هـ ١٥٢١م وذلك بعد المضاء قضاء المذهب الأربعة . بينما يذكر ابن أبى السرور أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو مصطفى افندى الرومى فى محرم سنة ٩٢٩ هـ ١٥٢٢م وعلى الرغم من تناقض الروايتين فإننا نميل الى رواية ابن اياس لأنه معاصر للأحداث إضافة الى اهتمامه بتسجيل المتغيرات التى أدخلها العثمانيون على النظام القضائى . انظر ابن أبى السرور البكرى : الروضة المأنوسة فى أخبار مصر المحروسة . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦١ تاريخ ورقة ٤٤ .
 - (٧) أحمد الدميرى - قضاء مصر فى القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر الهجرى مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٦٣ تيمور ص ١١٠ .
 - (٨) المشهور العقارى سجلات محكمة القسمة العسكرية - ش ١٣٠ ص ١٦٧ . سجلات تقارير النظر س ١٨ ص ٢١٦ - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٣٤ ص ٣٢٤ .

(٩) أحمد شلبي عبد الغنى - أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة
من الوزراء والباشات - تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - مكتبة
الخانجي - القاهرة ١٩٧٨ ص ٤١٩ .

(١٠) نفس المصدر - ص ٤٥٣ .

(١١) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالمى س ٧٠ ف ٤٥٢
ص ١٠٩ .

(١٢) الشهر العقارى - سجلات الميساب العالمى س ٤٦ ف ٦٦١
ص ١١٥ .

(١٣) محمد بن ابي السرور البكرى - مصدر سابق ورقة ٤٧ .

(١٤) الدميرى - مصدر سابق ص ١٠١ .

(١٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالمى - تعيين قضاة
العسكر انظر ملحق رقم ١ تعيين قاضى العسكر ونائبه .

(١٦) ابن اياس - مصدر سابق ج ٥ ص ٤١٨ .

(١٧) يسمى هذا المقعد بيت القاضى ويعتبر مقعد بيت القاضى أجمل
مثال للمقعد فى العمارة الاسلامية وهو فى الاصل جزء من قصر انشاءه
الأمير مامائ السيفى سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥م كما هو منقوش على العضادة
اليسرى للمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر ابن قايتباى . وكلمة المقعد
تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ
العصور الوسطى . كما أطلق على الميدان التى أمامه ميدان بيت القاضى
بالمنحاسين التابع لقسم الجمالية . انظر د/ سعاد ماهر . القاهرة القديمة
واحياؤها : سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٧٠ القاهرة - ١٩٦٢م ص ٩٣ .

(١٨) تمت بزيارة المقعد بيت القاضى بالمنحاسين وهو مازال يحتفظ
ببنائه ومنظره الى حد كبير ولكنه تعرض للاهمال الشديد ولا يلقى العناية
الملائمة .

(١٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة . س ٩٤ ق ١١٢٥
ص ٢٣٠ عام ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م .

(٢٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالمى س ٦٣ ف ١٦٨٥
ص ٤٠٦ ، س ٨٤ ف ١٤٩٨ ص ٣١٧ ، س ١٤٩ ف ٩٠٥ ص ٢٤٢ ، س ٢٦٧
ف ١ ص ١ .

(٢١) اراضى الرزقة - هى مساحات واسعة من الاراضى فى جهات عديدة من البلاد وأنعم بها السلاطين السابقون على بعض الناس وأصبح حق الانتفاع بها ينتقل بالميراث للورثة وهى معفاة من الضرائب ولا يدفع عنها للورثانة الا ضريبة رمزية باسم « مال حماية » نظير حماية رجال الادارة لهذه الاراضى من المعبث بها - انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - الريف المصرى فى القرن الثامن عشر - مكتبة مديولى القاهرة ١٩٨٦ ص ٨٧ .

(٢٢) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى س ٦٢ ف ١٦٠٣ ص ٣٨٥ س ٨٦ ف ٣٩٣ ص ٥٨ .

(٢٣) الشهر العقارى سجلات الباب العالى س ٢٠٩ ق ٢٧٠٠/س ٧٨ ق ١٠٦ ص ٦٣/٢٢ ق ١٠٩٠ ص ٢٤٧ .

(٢٤) يقصد بالاسقاطات فى القرى المتنازل عن حق المنفعة بالارضى من ملتزمها لشخص آخر فى مقابل مبلغ مال يسمى الحلوان وكانت الاسقاطات بكثرة فى القرن الثامن عشر لدرجة اضطرت قاضى العسكر لتخصيص سجلات خاصة للاسقاطات فقط والسجلات الخاصة بفترة الدراسة تبلغ ٢٨ سجلا تبدأ من عام ١١٤١هـ - ١٧٢٨ م .

(٢٥) كفر بوريج . قرية قديمة من اعمال مديرية الغربية ومنذ عام ١٢٣٦ عرفت باسم قرية بوريج . انظر محمد رمزى - القاموس الجغرافى للبلاد المصرية - الجزء الثانى . القسم الثانى - دار المكتب . القاهرة ١٩٥٨ م - ص ٩٧ .

(٢٦) الشهر العقارى - سجلات اسقاطات القرى س ١ ق ٢ ص ٢ - ١٢٧ ص ٣٤ ق ٢٥٩ ص ٦٧ .

(٢٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ١٢٣ ق ١٣٢ ص ٢٥/س ٢١٤ ق ٧٤ ص ٢٥/س ٤٦ ق ٩١٨ ص ١٥٦ . س ٢٠٩ ق ١٣٤ ص ٤٧ . س ٦٢ ق ٩٩٤ ص ٢٢٠ .

(٢٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى س ٧٨ ف ١٠ ص ٣٢ ، س ٧٨ ق ٧٨ ص ٢٣٥ ، ق ٢١٩ ص ، س ٩٤ ق ١٥٤٥ ص ٣٦٨ س ١٥٣ ق ٣٦٦ ص ٩٥ . ق ٩٤ ص ١٨٩ ، س ٨٦ ق ١٥٩ ص ٢٦ ، س ٣٠٧ ق ٨٩٤ ص ٥٢١ .

- (٢٩) الدشايش • هي الأوقاف المخصصة في مصر على أسمى الدرجات الشريفة • وهذه الأوقاف سابقة للعصر العثماني • والدشايشة حسو يتخذ من بر مرفوض • انظر حسين افندي الروزنامجى - ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية تحقيق الأستاذ محمد شفيق زربال - مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مايو ١٩٣٦م المجلد الرابع ج١ ص ٤٥ •
- (٣٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٤٩ ف ١٠ س ٢ ، س ٦٣٩ ق ٩ ص ٢ ، ق ١٥ ص ١٤ • سجلات محكمة بولاق - س ١٦ ص ٨٠ ، س ٣٢ ق ١٧٨٢ ص ٥٦٦ •
- سجلات محكمة القناطر السباع - س ١٣٣ ق ٢٧٨ ص ٦٤٥ ، ف ٢٧٢ ص ٦٤٥ •
- سجلات محكمة الزاهد - س ٦٩٠ ق ١ ص ١ ، س ٦٨٦ ق ١٠١ ص ٣٧٦ •
- سجلات محكمة جامع الحاكم - س ٧٣٣ ق ١١ ص ٢ ، ق ١٧ ص ٣ ق ٦ ص ١ •
- سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٤٦ ق ٢١ ص ٢١ / سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٤ ق ٢ ص ٣ •
- (٣١) هاملتون جب / هارولد بووين - مرجع سابق ج١ ص ٢٥٦ •
- (٣٢) أحمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق ص ٣٨٠ •
- (٣٣) انظر الياشا واختصاصاته القضائية في آخر هذا الفصل •
- (٣٤) قانون ثامه ماده ٣٥ ص ٧٦ •
- (٣٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ سجلات محكمة الصالح - س ٣٢٦ ص ١ •
- (٣٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ • سجلات محكمة البرميشية - س ٧١٠ ص ١ من الغلاف •
- (٣٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٢ ق ١٧٨١ ص ٥٦٦ •
- (٣٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة طولون س ٣٣١ ص ١ • محكمة بولاق - س ٧٦ ص ١ ، سجلات قناطر السباع - س ١٥٢ ص ١ •
- (٣٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ١٥٧ ص ١ •

– الريال حجر بطانة – عملة تعرف بتالير نرجع الى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وسمى بذلك نسبة الى الصورة التى ترى على أحد وجهى التالير ومنذ عام ١٧٥١م بدأ التالير فى تسيد أسواق المتداول النقدى بمحسب على حساب القرش الاسبانى لامتيان سبيكته واستدارة المقطعة التامة ومقاومتها للتآكل من أطرافها • انظر د/ احمد السيد محمد الصاوى • النقود المتداولة فى مصر العثمانية • رسالة دكتوراه غير منشورة • كلية اثار القاهرة ١٩٩١ • ص ١٩١ •

(٤٠) الكيس يقدر بـ ٢٥ ألف نصف فضة •

(٤١) الشهر العقارى – سجلات محكمة الجامع الحاكم – س ٥٧٨

ص ١ •

(٤٢) محمود بن محمد بن عرنوس – مرجع سابق • ص ٢٨ •

(٤٣) هاملتون جب وهارولد بويين – مرجع سابق ج١ ص ٢٥٤ •

(٤٤) يذكر د/ حسن عثمان « انه كان يمكن نقض الاحكام التى يصدرها القضاة والمتعلقة بالشخصيات الكبيرة بعد الرجوع الى الفتى » وكما رأينا ان هذا الرأى ينقصه الكثير من الأدلة • كذلك لم نجد مثل هذا الرأى فى الوثائق التى استطعنا الاطلاع عليها ، فى نفس الوقت نجد انه مخالف لما استقر عليه الفتاه من ان قضاء القاضى لا ينقض • انظر د/ حسن عثمان المجلد فى التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ١٥١٧ : ١٧٩٨ مطبعة البابى الحلبي – القاهرة – ١٩٤١ م – ص ٢٥٨ •

(٤٥) هاملتون جب وهارولد بويين – مرجع سابق ج١ ص ٢٣٥ •

(٤٦) على مبارك – المخطط التوفيقية الجديدة • مطبعة بولاق القاهرة

١٣٠٥ هـ ج١ ص ٨٨ وما بعدها •

– الشيخ احمد العريشى – رسالة فى علم وبيان طريق القضاة بمصر

واسماؤهم – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٤٦ تاريخ ورقة ٢ •

(٤٧) دار الوثائق القومية – سجلات محكمة دمياط – س ٦٠ ق ١٤٥

ص ٧٤ • س ٤٥ ق ١٦٧ ص ٧١ س ٥١ ق ٢٦١ ص ١٠٢ س ٢٧ ق ٦٢ ص ٣٤ –

انظر ملحق رقم ٢ •

(٤٨) دار الوثائق – سجلات محكمة دمياط • س ٦٠ ق ١٤٧ ص ٧٤ /

س ٦٤ ق ١٢٠ ص ٥٧ / س ١ ق ٢٦٢ ص ١٠٢ س ١٥٠ ق ١٢٢ ص ١١٤ •

- (٤٩) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٣٩ ق ٥١٨ ص ١٦٦
- (٥٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٢٧ ق ٦٢ ص ٣٤ /
و دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ٣ ق ٧٧٨ ص ١٩٨
- (٥١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ١٦ ق ٢٨ ص ٨ ، ص
٧١٤ ، ٧١٦ ، ص ١٣٥
- (٥٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٥١ ص ٢٦ ق ١٠٢
- (٥٣) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٢٧٨ ق ١٥ ص ١٣
- (٥٤) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة • س ٣٧ ق ١٤٧ ص ٩٩
- (٥٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٤٥ ق ٦٧ ص ٧١
- (٥٦) محمد الامين فضل الله بن محب الله المحبى - خلاصة الاثر فى
ايعان القرن الحادى عشر • المطبعة الموهبية • القاهرة • ج ٢ ص ٣٥٦
- (٥٧) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط • س ٣٩ ق ٥٨ ص ٢٤/س ١٦
ق ٣٤١ ص ٦٨
- (٥٨) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٣٥ ق ٦٩٨ ص ٣١٧/
سجلات دمياط س ١٦ ق ٣١٩ ص ٦٦ ، س ٣٦ ق ٩٤ ص ٥٢
- (٥٩) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٣٥ ق ١٢١ ص ٥٦
- (٦٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ٥١ ق ٢٩ ص ١٠
- (٦١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ١٦ ق ٥٧٤ ص ١٠٤
- (٦٢) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س ٤٠ ق ٤٤٠ ص ٢٠٣
- (٦٣) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ٧ ق ٣٩١
ص ١١١
- (٦٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٣ ق ٧١٣
ص ١٤٩
- (٦٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٦٣ ق ١٥٣١
ص ٤١٧
- (٦٦) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س ١٥٠ ق ٣٥ ص ٣٤ /
س ١٥١ ص ١ / س ٢٧٩ ص ٣٤١
- (٦٧) قرية السرو - من القرى القديمة اسمها بحجا وعرفت فى عهد
العرب باسم السرو وهى من القرى القديمة وكانت تابعة للدقهلية والآن تتبع

محافظة دمياط - انظر محمد رمزي - مرجع سابق القسم الثاني - الجزء الاول - ص ٢٤١ .

(٦٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٥٧ ق١٥٢ ص٨١ / س٥٧ ق١٣ ص٩ .

(٦٩) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س١ ص٩٩٠ ص ٣١٠ .

(٧٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٣١ ق٤٨ ص١٣ .

(٧١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٣٨ ق٤٧ ص٣١ .

(٧٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٣٩ ق١٠٦ ص٤٣ .

(٧٣) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٣٠ ق٢٨٩ ص١٣٦ .

(٧٤) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س١٦ ق١٦٢ ص١١ .

(٧٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٢٩ ق٦٥١ ص٢٣٨ .

(٧٦) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة - س٢٧ ق٢٢ ص٩ .

(٧٧) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٢٧٩ ق٣٣٩ ص٣٦٥ / س١٥١ ص١٥٩ ص١٣٧ .

- وسجلات محكمة البحيرة س٢٧ ق٤٢٩ ص٢٣٤ .

(٧٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٥٧ ق١٢٠ ص٦٧ .

(٧٩) دار المحفوظات - سجلات محكمة دمياط - س٦ ق٨٢ / س٤ ق٨ .

- سجلات محكمة الاسكندرية - س٤٢٦ ص١٥٠ .

(٨٠) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س١٥ ق٢١٤ ص٤٨ .

(٨١) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - س٥٧ ق٢٢٠ ص١١٣ .

ق١٤٥ ص٧٦ / س٢٧ ق٣٦ ص٢٠ / س٦٤ ق٤٥٨ ص٢٣٦ .

(٨٢) القسام : الذي يقسم الدور والأرض بين الشركاء فيها . وفي

الحكم : الذي يتسم الاشياء بين الناس قال لبيد

فأرضوا بها قسم المليك فاما قسم المعيشة بيننا قسامها

انظر ابن منظور . لسان العرب . دار المعارف القاهرة د / ت . ج٥

ص ٣٦٣ .

(٨٣) الاختصاص الفتوى - يقصد به الفئات التى تندرج تحت اختصاص القاضى دون غيره من القضاة .

(٨٤) بالرغم من الرواية التى أوردها ابن اياس فأننا نقع فى حيرة بين ما أورده ابن اياس عن نشأة القسم العسكرية وما وصلنا من سجلات محكمة القسم العسكرية فالسجل الأول منها يرجع لعام (٩٦١ هـ ١٥٥٣ م) وبذلك تغيب السجلات بين هذا التاريخ والتاريخ الذى أورده ابن اياس (٩٢٨ هـ ١٥٢١ م) لذا فنحن أمام احتمالين لغياب هذه السجلات وهما .

(١) انه لم يوجد نسجيل فى المحكمة فى هذه الفترة التى تصل الى ٣٣ عاما وهو أمر مستبعد لما عرف عن طبيعة الحكم العثمانى من تسجيل لكافة الامور ، كما أن المحاكم الأخرى عرفت التسجيل ووصلتنا سجلاتها فى هذه الفترة وهذا يعنى وجود تدوين فى هذه الفترة .

(ب) ان هذه السجلات قد فقدت ولم تعد موجودة - احترقت مثلا كما حدث فى سجلات بعض المحاكم مثل المصالحية المنجمية - وهو احتمال قائم لأننا لم نعثر فى الوثائق التى أمكننا الاطلاع عليها على أوراق خاصة بمحكمة التسمية العسكرية فى هذه الفترة . ومما يدعم هذا الرأى أن السجل الأول الذى يحمل رقم واحد من سجلات التسمية العسكرية مكمل لما قبله ، وذلك لأن من المفترض ان السجل الأول يوجد به سبب انشاء المحكمة وكذلك اختصاصاتها ، لذا فأننا نعتقد ان هذا السجل مكمل لما قبله ، ويدلنا ذلك على صحة التاريخ الذى أورده ابن اياس ولا سيما انه معاصر للملاحظات .

(٨٥) الاصبهانىة . وتكتب كذلك الاسباهية . وهى تعنى فرق الخيالة او الفرسان وهم « الجمليان - وتفكجيان - والحرائسة » وكان يناط بهم مساعدة كشاف الاقاليم فى ادارة البلاد وحفظ الجسور ودعم الجهاز الادارى فيها . ولكن كان قادة هذه الفرق فى القاهرة وكانت لهم عوائد مالية على البلاد التى يعملون بها وكذلك على الباشا ، فى نفس الوقت كانوا يحصلون على ممتلكاتهم العسكرية . انظر حسين الهندى الروزنامجى . مصدر سابق ص ٣٠ .

د/ حسن عثمان - مرجع سابق - ص ٢٥٥ وما بعده .

(٨٦) ابن اياس - مصدر سابق - ج ٥ ص ٤٥١ .

(٨٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسم العسكرية - ص ٨ ص ١٥٤ ق ٦٨ / ص ٤٣ / ص ١ / ص ٢٥ ص ١ - ص ٩١ ص ٩٣ .

- (٨٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٩٨
ص ٢٥٥ .
- (٨٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٧ ص٧
انظر ملحق رقم ٣ تعيين القسام العسكرى .
- (٩٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٦١
ص ٢ .
- (٩١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٧٩
ص ١ .
- (٩٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٦٥
ص ١ .
- (٩٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٩٨
ص ١ .
- (٩٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٩٤
ص ١ .
- (٩٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٦٢
ص ٥٣٩ .
- (٩٦) الديميرى - مصدر سابق س ١٩ .
- (٩٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٩٨
ص ١٠٩ .
- (٩٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س١٣٥
ص ١ / س١٦٨ ق١٦٦ ص ١١٠ .
- (٩٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س١٢٤
ص ١ .
- (١٠٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س١٤٤
ق ٢٧٩٠ ص ١٨١ / س٢١٦ ص ٤٩٣ .
- (١٠١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س١٦٨
ق ٧٩ ص ٢٢ .
- (١٠٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س٩٤
ص ١ .
- (١٠٣) تقى الدين المقريزى - مصدر سابق - ج٢ ص٣٧٨ وما بعدها .

- (١٠٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٥٢
 ق ١ / س ١٤٤ ق ٥٢٦ ص ٣٦٩ ، س ١٥٨ ص ١ محكمة بولاق س ٨١ ص ١ /
 محكمة الصالح س ٢٤٨ ص ١ ، محكمة مصر القديمة - س ١١٠ ق ١٠٠
 ص ١ .
- (١٠٥) د/ عراقى يوسف محمد . الوجود العثمانى المملوكى فى مصر .
 دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٠ .
- (١٠٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العسكرية - س ١٤٣
 ص ٣٩٦ ، ق ٤٤٨ ص ٣٧٤ .
- (١٠٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٤
 ص ١ .
- (١٠٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٢١٩
 ص ٢ - ومصر القديمة - س ١٠٩ ق ٦ ص ١ والصالحية النجمية - س ٥٣٤
 ق ١١ ص ١٧ - ومحكمة بولاق - س ٧٣ ص ٢ و س ٧٩ ص ١ و س ٨١ ص ١ -
 ومحكمة جامع الصالح - س ٣٥٠ ص ١ ، س ٣٥٥ صفحة الغلاف - القسمة
 العسكرية س ١٣٠ ص ١ س ٢٥ ص ١ ، س ٢٠٢ ص ١ .
- (١٠٩) على مبارك - مرجع سابق - ج ١٦ ص ٨٨ .
- (١١٠) نفسه ج ١٦ ونفس الصفحة .
- (١١١) مصطفى المداح القينالى - مجموع لطيف يشتمل على وتاريخ
 مصر القاهرة فى سنة ١١٠٠ الى آخر تاريخ المجموع . مخطوط بالمكتبة
 الوطنية ببيتنا . نسخة اهدانى اياها د/ محمد عفيفى عبد الخالق .
- (١١٢) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - س ٩ ق ٥٢
 ص ٢٤ .
- (١١٣) كانت المخلفات تباع فى الاسواق المختلفة بحضور الدلائل الذين
 كانت لهم نسبة معروفة على التركة وهى على الالف عشرون نصفاً فقط
 وتصدر الفرمانات مؤيدة لذلك من الياشا وبتنوع المعارضة لهم فى حوزهم -
 انظر الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - س ١٩١ ص ١ ، س ٢٠١
 صفحة الغلاف .
- (١١٤) الشهر العقارى سجلات القسمة العسكرية س ٤٤ ق ٢ ص ٣ ، س
 ٧٩ ق ٦٣ ص ٣٩ ، س ٧ ق ٣٨٠ ص ١٧٧ ، س ١١٥ ق ٦٠٣ ص ٤٠٨ ، س ٤٤
 ق ١٢ ص ١١ .

(١١٥) د/ حسن صبحى عبد اللطيف - احكام الموارث فى الشريعة
الاسلامية - النهضة العربية القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٤ .

(١١٦) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية من ٩٨ ص ١ .

(١١٧) عراقى يوسف محمد : الاوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين
السادس عشر والسابع عشر - رسالة ماجستير غير منشورة اداب عين
شمس ص ١٩٠ .

(١١٨) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٧٩ ق ١١٨
ص ٧٩ ق ٤٧ ص ٣٠ ، من ١٢٠ ق ١٦٦ ص ١٢٨ ، من ١١٥ ق ٤٩ ص ٤٢ .

(١١٩) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٧٩ ق ١٠٠
ص ٦٦ ، من ٤٨ ق ٥٣٣ ص ٣٢١ ق ٢٠٢ ص ١٢٢ ، من ٢٠٤ ق ١٢١ ص ٧٩ ق
٧٥ ص ٤٦ . من ٦٢ ق ١٤٣ ص ٩٢ .

(١٢٠) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٧ ق ١ ص ٤ ،
من ٧٩ ق ٤٧ ص ٣٥ ق ١٣٩ ص ٩٠ .

(١٢١) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٧٩ ق ١ ص ١ .

(١٢٢) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٧٩ ق ٦ ص ٣ ،
من ٤٣ ق ٢٣٦ ص ١٥٤ ق ٢١٩ ص ١٣٦ ، من ٨ ق ٢٥٤ ص ١٣ .

(١٢٣) العلوفة هى مرتبات كان يحصل عليها ارباب الفرق العسكرية
- واصبحت تباع بعد ذلك لأفراد من خارج الأوجاقات وبذلك ينسبون للفرق ،
مما ادى الى تمتعهم بنفس الامتيازات ، كذلك يرتبط بالعلوفات المنقذية ايضا
حصول اربابها على جرايات من الأتباع المشرفة وهى تجعل لصاحبها الحق
فى قدر معين من القمح شهريا او سنويا - ولا شك ان هذه العمليات كانت
تجرى بتدخل الدفتردار - وقد اتجه البعض الى جعلها وقفا خيريا ينفق منه
على وجوه الخير كالأسبلة والمقابر وغيرها - انظر د/ عراقى يوسف مرجع
سابق ص ٧٣ وما بعدها .

(١٢٤) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ٤٣ ق ١٦٥ ص

٩٧ . من ٦٠ ق ٩٩ ، من ٧٩ ق ٩ ص ١٢ .

(١٢٥) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط الشرعية - من ١٦٠ ق ١٨٥

ص ١٥ .

(١٢٦) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط - من ١٦ ص ٧١٢ ص ١٣٤ .

(١٢٧) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - من ١١ ص ٩٤ .

١٦١

(م ١١ - تاريخ القضاء)

- (١٢٨) الشهر العقارى - سجلات القمة العسكرية - س ١١ ص ١١٦ .
 (١٢٩) د/ محمد نور فرحات - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر
 العثمانى - سلسلة تاريخ المصريين - رقم ١٧ هـ - م - ع - القاهرة
 ١٩٨٨ ص ٦٢ .
 (١٣٠) الشهر العقارى - محافظ المدشت - محافظة رقم ٥١ لعام ٩٦٥ هـ
 ١٥٥٧ م .
 (١٣١) الشهر العقارى سجلات محكمة جامع الحاكم س ٥٤٠ ق ٧٧٢
 ص ١٧٢ .
 (١٣٢) عند مراجعة سجلات محكمتى القسمة العسكرية والعربية وجد
 سجلات تابعة للقسمة العربية وضعت خطأ فى التصفيف فى القسمة
 العسكرية ويعتبر المسجل رقم ٤ قسمة عسكرية هو الاول لسجلات القسمة
 العربية .

الفترة الزمنية	رقم السجل	
	فى مكانه الخطأ بالقسمة العسكرية	فى مكانه الصحيح بالقسمة العربية
من ٩٦٨ / ٩٧٠ هـ ، ١٥٦٢ / ١٥٦٠ م	٤	١
من ٩٩٤ / ٩٩٦ هـ ، ١٥٨٥ / ١٥٨٧ م	١٥	١٤
من ١٠٣٢ / ٩٩٦ هـ ، ١٦٢٢ / ١٦٢٣ م	٣٦	٢٦
من ١٠٥٦ / ١٠٥٧ هـ ، ١٦٤٦ / ١٦٤٧ م	٥٣	٤٠
من ١١٣١ / ١١٣٢ هـ ، ١٧١٩ / ١٧٢٠ م	١١٦	٨٨
من ١١٥٩ / ١١٦٠ هـ ، ١٧٤٦ / ١٧٤٧ م	١٥٥	١٠٦
من ١١٦٣ / ١١٦٤ هـ ، ١٧٤٩ / ١٧٥٠ م	١٦٠	١٠٩
من ١١٦٧ / ١١٦٨ هـ ، ١٧٥٣ / ١٧٥٤ م	١٦٦	١١٢

- (١٣٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س٣٣
 ص ٤ ، س ٦ ق ١٧ ص ١٢ ، س ١٠ ق ٥٧٢ ص ٣٦٩ .
- (١٣٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س٧٥
 ص ١ .
- (١٣٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س١٤
 ص ٥٧٣ ، س ٣ ق ٣١٩ ص ١٨٧ .
- (١٣٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س٣٢٤ ق ٣
 ص ١٩٢ .
- (١٣٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س٣٥٤ ق ٣
 ص ٢٠١ .
- (١٣٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س ٩٦
 ص ١ ، س ٩٧ ص ١ .
- (١٣٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية س ١٧ ، ص
 ٣٠٨ .
- (١٤٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية س ٦ ص ٣٦٥ .
- (١٤١) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية س ١٢
 ص ١٩٩ .
- (١٤٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية س ٢٢
 ص ٤١٣ .
- (١٤٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س ٩٠
 ص ١ .
- (١٤٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س ٩٠ ق ٧
 ص ١ .
- (١٤٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س ١٣ ق ٥١
 ص ٤٢ . ق ٦٤ ص ٥٧ .
- (١٤٦) المقرئى - مصدر سابق ٠ ج ٢ ص ٣٧٥ .
- (١٤٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - س ٩١
 ص ١ .
- (١٤٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة المقسمة العربية - الصفحات
 الاولى من السجلات .

(١٤٩) د/ سلوى على ميلاد - وثائق اهل الذمة فى العصر العثمانى
واهميتها التاريخية - دار الثقافة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٣
ص ١٦ .

(١٥٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٨١ ص ١ .
(١٥١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٠٦
ق ٧٥ ص ٣٢٤ ، محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ق ٣ ص ١٦ ، وسجلات محكمة القسمة
العسكرية - س ١٤٦ ق ٣١ ص ٢٧ .

(١٥٢) الشهر العقارى - محافظ الدبشت . محفظة رقم ٥١ عام ٩٦٥ هـ
محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ق ٣٠ ص ١٦ .

(١٥٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٧ ق ٧٤٨
ص ٤١٢ .

(١٥٤) الشهر العقارى - س ٤ قسمة عسكرية وهو الاول من سجلات
القسمة العربية - س ٤ ق ٨٩٦ ص ٤١٦ .

(١٥٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣
ق ٦٢٨ ص ٤٢٨ ، س ٨٨ ق ٥٦٨ ص ٣٠١ ، ق ٣٥٦ ص ١٧٦ .

(١٥٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٨٨
ق ٣١٤ ص ١٥٥ ، س ١٣ ق ٧٤ ص ٥٧ ، س ٦ ق ٧٩٩ ص ٤٨٢ ، س ٦٠ ق ١٠٨
ص ٧١ .

(١٥٧) الجوالى : يرجع انشاء ضريبة الجوالى الى العصر الاسلامى
حيث فرضت ضريبة الجزية على اهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين
لم يتحولوا للإسلام لكنه اعترفوا بالسيادة الاسلامية - وبعد المفتح العثمانى
لمصر وكل جمع ضريبة الجزية او الجوالى الى مقاطعة كانت ادارتها تستند
الى امين الجوالى . وكانت ضريبة الجوالى تقسم قسمين جزء يدفع كمكافآت
لاهل الجوالى ، والجزء الآخر يرسل الى الخزانة السلطانية فى استانبول .
وفى القرن السابع عشر سيطر امراء مصر المماليك على التزام مقاطعة
الجوالى كما سيطروا على المقاطعات الأخرى واصبح امين الجوالى وهو
ملتزمها يدفع للخزانة مبلغا سنويا بالاضافة لضريبة الكشوفية الكبيرة
للخزانة ايضا ، والكشوفية الصغيرة للباشا ويحتفظ بباقى الجزية المحصلة
لنفسه - انظر د/ ليلى عبد اللطيف . الادارة فى مصر فى العصر العثمانى .
مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ ص ٣٢٦ .

- (١٥٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٩٣
ق ١١٢٤ ص ٥٢٨ .
- (١٥٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٦٠
ق ١٠٩ ص ٧١ .
- (١٦٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٦٠
ق ٢٠٠ ص ١٣٧ . ق ١٣٨ ص ٣ .
- (١٦١) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣
ق ٣٤ ص ٣٣ ، س ١ ق ٣٨ ص ٢٣ ، ق ١٦٨ ص ١١٠ ، س ١٣ ق ١٠ ص ١٣ ،
س ١٤ ق ٦٥٤ ص ٤٢٤ ، ق ٢٢٦ ص ٢٢٤ ، س ٩٥ ق ٣ ص ٢ ، س ٩٣ ق ٣٥٠
ص ٢١٩ . ق ٩٣ ص ٢٨٥ ، س ٨٨ ق ٤٣٩ ، س ٦ ق ٢٥٠ ص ١٧٧ ، س ٩٥
ق ٤ ص ٣ .
- (١٦٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١ ق ٤٠
ص ٢٣ ، ق ١٤٣ ص ٩٣ . ق ١٦٩ ص ١١٠ . ق ١٧٥ ص ١١٢ ، س ١٣ ق ٢٥١
ص ١٧٤ .
- (١٦٣) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س ١٣ ق ٢٨ ص ٢٩
ق ٥٤ ص ٤٤ . ق ٣٥ ص ٣٤ .
- (١٦٤) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س ٦٠ ق ١٢٣
ص ٨٢ ، س ١٣ ق ٤٠ ص ٣٦ ، س ٦ ق ٢١٠ ص ١٣٤ .
- (١٦٥) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية س ٨٨ ق ٤٢٣
ص ٢١٤ .
- (١٦٦) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية ، س ١ ق ٣٢ ص ٢٠ .
ق ٢٢ ص ١٥ ، س ٨٨ ق ١٥ ص ٩ ، س ٦٠ ق ٧١٥ ص ١٢٧ . ق ١٥١ ص ٦٤ ،
س ١٢ ق ٤٣٩ ص ٣١٦ . ق ٥٠٧ ص ٣٥٧ .
- (١٦٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ١٣ ق ٥٣
ص ٤٢ ، س ٨٨ ق ٥٠ ص ٢٣ ، ق ٣٢٨ ص ١٦٢ ، س ١ ق ٦٠ ص ٣٦ .
- (١٦٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س ٧ ق ٧٩٩
ص ٣٩٦ .
- (١٦٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية س ٩٠ ق ٤٨
ص ٢٤ ، س ١٣ ق ٦٨ ص ٥٣ ، ق ١٣٤ ص ١٠١ .

(١٧٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - س١ ق١٢٧

ص ٨٥ .

(١٧١) كلمة بيبورلدى - فعل ماض مبنى للمجهول من المصدر المتركى بيبورمق بمعنى ان يامر (امر بـ) وتحولت هذه الصيغة الفعلية الى الاسمية وصارت علما على الامر المكتوب بالرسم الهيايوى الصادر من الصدر الاعظم او احد الولاة . وظل هذا الاصطلاح يطلق فى مصر حتى سنة ١٩١٥ م .
انظر د/ احمد السعيد سليمان - تاصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ . ص ٤٩ .

(١٧٢) الشهر العقارى - سجلات القسمة العربية - س١٣ ق٣٠٢

ص ١١١ ، ق٤٥٢ ص ٣٢٥ .

(١٧٣) المخط : الطريقة المستطيلة فى المشىء ، او الطريق الخفيف فى السهل . والطريق الشارع . والمخط الطريق - انظر الفيروز آبادى .
القاموس المحيط . دار الرسالة بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م . ط٢ - ص ٨٥٨ .

(١٧٤) اطلق على محاكم اخطاط القاهرة فى تلك الونة محاكم مصر المحروسة ، وقد اتخذت سجلات هذه المحاكم ارقاما تسلسلية مما يدعو الى القول انهم اعتبروا هذه المحاكم كيانا واحدا . انظر الشهر العقارى - سجلات محاكم اخطاط القاهرة .

(١٧٥) الشيخ احمد العريشى - مصدر سابق ص ٣ .

(١٧٦) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - القضاء فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨ - بحث منشور ضمن كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى - سلسلة تاريخ المصريين العدد ٣٨ . هـ - م - ع . القاهرة ١٩٨٩ . ص ٣٣٥ .

(١٧٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س٥٢٢ ص ١ ، س٥١٩ ص ٣٢١ ، س٥٣٤ ق٤٣٤ ص ٢٠٤ - محكمة باب الشعرية .
س٦٤٤ ق١ ص ١ - بولاق . س٧٦ ق٤٠٧ ص ١١٨ ، - محكمة الزاهد س٦٨٧ ص ١ - جامع الحاكم ق٥٧٦ ص ١ .

(١٧٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة جامع الحاكم - س٧٣٣ ق٥

ص ١ .

(١٧٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س٥٢٦

ص ١ ، سجلات محكمة الصالح . س٣٦١ ص ٢ .

- (١٨٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة - س ١١٠ ق ٦٩٢
 ص ٦٢ .
- (١٨١) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ١٥٢
 صفحة الغلاف .
- (١٨٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمسية - س ٧١٠ ص ٦
 من الغلاف .
- (١٨٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالح - س ٣٤٧ ص ١ .
- (١٨٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٧ ق ٦
 ص ٢ - سجلات جامع الحاكم ، س ٧٣٣ ق ٥ ص ١ - وسجلات محكمة الصالحية
 النجمية س ٤٧٧ ص ١ .
- (١٨٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٤ ق ٦
 ص ١ .
- (١٨٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع - س ١٢٢
 ق ١٦٤ ص ٤٧٩ .
- (١٨٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمسية - س ٧١١
 ص ١ .
- (١٨٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٦٥ ص ٤ من
 الغلاف .
- (١٩٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٢٠٩ ص ١
 مرسوم من قاضى عسكر الى قضاة الاخطاط فى / ذى الحجة سنة ١١٤١ هـ .
- (١٩١) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٧
 ف ١٨٦ ص ٦٦ - مرسوم بتاريخ عام ١١٤٦ هـ .
- (١٩٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٠ ف ٣
 ص ١ .
- (١٩٣) يقصد بالاختصاص المحلى : يقتضى تقريب القضاء للمواطنين
 ان تتعدد المحاكم على ارض الدولة ويؤدى تعدد المحاكم التى تتكون من
 طبقة واحدة الى ضرورة توزيع الاختصاص بينها على اساس اقليمى او
 جغرافى او مكانى . انظر د/ عزمى عبد الفتاح . قانون القضاء المدنى
 المصرى . الكتاب الاول دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٣ س ٣٧٧ .
- (١٩٤) وجد فى القاهرة فى العصر العثمانى خمس عشرة محكمة وزعت
 على انحاءها توزيعا عادلا كما يظهر من هذا الجدول :

٢	اسم المحكمة	مقر المحكمة	الموقع الجغرافي
١	محكمة الباب العالي	في مقعد عماير آريك السيفي	بالتحسين التابع لقسم الجمالية في الوقت الحاضر من جملة خط بين القصرين بخط بين القصرين في جبل يشكر بالعسكر في خارج باب القنوج في شاطئ النيل بساحل مصر القديمة
٢	محكمة القسمة العسكرية	في المدرسة الظاهرية	
٣	محكمة القسمة المربية	في المدرسة الكاهلية	
٤	محكمة طوارن	في مسجد احمد بن طولون	
٥	محكمة جامع الحاكم	في جامع الحاكم بامر الله	
٦	محكمة مصر القديمة	في جامع الناصري الجديد	
٧	محكمة باب سمادة والخرق	محله أصبح الآن ميدان باب الخلق	ميدان باب الخلق في الوقت الحاضر
٨	محكمة جامع الصالح	في جامع الصالح طلائع بن رزيك	خارج باب زويلة
٩	محكمة باب الشعبية	في جامع المحكمة بخط باب الشعبية	في ميدان باب الشعبية في الوقت الحاضر
١٠	محكمة قناطر السبع	في جامع برد بك الأشرقي	
١١	محكمة الريمشية	في جامع تغري برمش	
١٢	محكمة بولاق	في مسجد القاضي يحيى بن زين الدين	عند قنطرة الموسكي
١٣	محكمة قوصون	في جامع الأمير قوصون	في الشارع خارج باب زويلة
١٤	محكمة الصالحية النجمية	مدرسة الصالح نجم الدين أيوب	من جملة القصر الكبير الشرقي بخط بين القصرين
١٥	محكمة الزاهد	في جامع أحمد الزاهد	بخط المقس خارج القاهرة

- (١٩٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٣٠٧ ص ٢
وسجلات محكمة باب الشعرية س ٦٣٩ ق ١٧ ص ٤ ، جامع الحاكم س ٥٧٦
الغلاف ؛
- (١٩٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٧٣ ص ٢ - سجلات
محكمة الباب العالى . س ٣٠٧ ص ٣ .
- (١٩٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٤٩٢
ق ٤٥١ ص ١ - سجلات محكمة بولاق . س ٨٠ ص ١ .
- (١٩٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٤٥٣
ق ٤٥١ ص ١٥٤ .
- (١٩٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية . س ٥٣٦ ق ٣٥
ص ٢٠ .
- (٢٠٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية . س ٤٥٣ ق ٣
ص ١ .
- (٢٠١) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية . س ٥٣٦ ق ٦٥
ص ٣٧ .
- (٢٠٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٨٠ ق ٢١٦٥
ص ٧٧٨ .
- (٢٠٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ١٧٨٩
ص ٧٢٣ .
- (٢٠٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ٧٢٣ -
البرمسية . س ٥٧٠ ق ٢٠٠٥ ص ٤٢٦ - الصالح . س ٣٢٧ ق ٤٨ ص ١٤ ،
س ٣٢٧ ق ٤١ ص ١٢ .
- (٢٠٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٦٢ ق ٩٧ ص
١٣٣ . قناطر السباع . س ١٢٢ ق ٨٦٣ ص ٢٣٩ . س ٨٦٥ ق ٢٤٠ -
الصالحية النجمية . س ٤٨٨ ق ٢ ص ١ . ق ٣٤٢ ص ١٠٣ ، س ٤٧٨ ق ٤١
ص ٧ .
- (٢٠٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٣٨
صفحة الغلاف .
- (٢٠٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣١ ق ٥
ص ١ .

(٢٠٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق ٠ س ٧٣ ص ٢
 (٢٠٩) د/ نلى حنا - بيوت القاهرة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ترجمة بشير طوسون ٠ مكتبة العربى للنشر - للقاهرة ١٩٩٣ ٠ ص ٣٩

(٢١٠) تذكر بعض الدراسات انه كان مباحا لمحاكم الاخطاط فى القاهرة ان تتناول كافة انواع القضايا التى كانت خاصة بقاضى العسكر وذلك قبل عام ١١١٥ هـ ١٧٠٣م ولكننا نجد ان ذلك مخالف لما جاء بالوثائق حيث وجدت العديد من الاوامر التى صدرت قبل هذا التاريخ بكثير فيعود بعضها الى ٩٨٨ هـ ١٥٨٠م (مثل الامر الوارد فى سجلات محكمة مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٢٥ ص ٢٣٠ المؤرخ بعام ٩٨٨ هـ) وربما يعود السبب فى قلة هذه الاوامر فى هذه الآونة ان الدولة كانت فى اوج قوتها وتنظيمها ولم يكن هناك تعدد من قبل القضاة على اختصاصات غيرهم ، وبدأت هذه الاوامر تزداد منذ بداية القرن السابع عشر مما استلزم صدور التحذيرات من الاعتداء على هذه الاختصاصات ٠

(٢١١) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع ٠ س ١٤٢ ص ١
 (٢١٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية ٠ س ٦٣٥ ق ١٦ ص ٤
 (٢١٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٥ ق ٢ ص ١ فى الغلاف ٠
 (٢١٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٦ صفحة الغلاف ٠
 (٢١٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٣٩ ق ١٦ ص ٤
 (٢١٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥١٩ ص ١ من الغلاف ٠
 (٢١٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٤ ق ٧٦ ص ٤٠ ٠ ق ٤٣٥ ص ٢٠٤ ، س ٥٣٧ ق ٢ ص ١
 (٢١٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ١٦٧ مكرر ق ١٦٤ ص ٥٠

- (٢١٩) د/ نللى حنا - مرجع سابق . ص ٣٦ .
- (٢٢٠) الشهر العقارى - سجلات مصر القديمة - س ١٠٥ ق ١٤٩٣
ص ٤٨٠ .
- (٢٢١) الشهر العقارى - سجلات محكمة اباب العالى - س ١٢٣ ق ٢١
ص ٤٤٤ .
- (٢٢٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٥٢٠
ص ١ .
- (٢٢٣) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٦ الصفحة
الاخيرة .
- (٢٢٤) الشهر العقارى - سجلات محكمة البرمشية س ٧١٠ ص ١ .
- (٢٢٥) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٦ الصفحة
الاخيرة - قناطر السباع - س ١٢٢ ص ١٦٤٥ ص ٤٧٩ .
- (٢٢٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٣٢ ق ١٧٨٠
ص ٥٦٦ .
- (٢٢٧) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٦ ص ١ .
- (٢٢٨) الشهر العقارى - سجلات محكمة باب الشعرية - س ٥٩٧
ص ٤٨٨ .
- (٢٢٩) عبد الرحمن القاسم - النظام القضائى الاسلامى - مطبعة
السعادة القاهرة ١٩٧٣ س ٤٥ .
- (٢٣٠) ابن اياس مصدر سابق ج٥ ص ٢٤٢ وعن محاكمات ملك
الامراء انظر نفس الجزء ص ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ ،
٣٠٤ ، ٤٧٨ .
- (٢٣١) قانون نامة ص ٤٢ .
- (٢٣٢) قانون نامة ص ٤٢ .
- (٢٣٣) نفسه - ص ٣٠ .
- (٢٣٤) محمد بن ابى السرور البكرى - مصدر سابق - ص ٢٧ .
- (٢٣٥) احمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق . ص ١٣٥ .
- (٢٣٦) احمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق . ص ١١٠ .
- (٢٣٧) محمد بن عبد المعطى الاسحاقى - اخبار الاول فيمن تصرف فى
مصر من ارباب الدول . المطبعة العثمانية - القاهرة ١٣٠٤ هـ ص ١٧٢ .

- احمد شلبي عبد الغنى - مصدر سابق . ص ١٣٥ .
- محمد بن ابي السرور البكرى - المنح الرحمانية فى تاريخ الدولة العثمانية - مخطوط بدار الكتب المصرية - رقم ٥٤٢٤ تاريخ . ورقة ١٠٥٦ .
- (٢٢٨) محمد بن ابي السرور البكرى - المنزهة المزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٦٦ تاريخ ورقة ٢٦ .
- (٢٣٩) محمد بن ابي السرور البكرى - المنح الرحمانية مصدر سابق ورقة ١٠٤ .
- (٢٤٠) احمد بن سعد الدين الانصارى : ذخيرة الاعلام بتاريخ الخلف الاعلام وامراء مصر المحكام وقضاتها فى الاحكام من فتحها الاسلامى العمرى الى زمن النظم (١٠٥٠ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤ . ورقة ١٥١ .
- (٢٤١) نفسه - ص ١٥٢ .
- (٢٤٢) نفسه - ص ١٩٧ .
- (٢٤٣) دار الوثائق - سجلات محكمة نسيماط . ص ٥٧ ق ١٦٤ ص ٨٧ ، ص ٥٩ ق ٩٨ ص ٥٠ .
- (٢٤٤) هاملتون جب وهارولد بويين - مرجع سابق ج ١ ص ٢٤٨ .
- (٢٤٥) الجبريتى - مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٤ .
- (٢٤٦) نفسه ونفس الجزء - ص ١٥٩ .
- (٢٤٧) على بن حبيب البصرى الماوردى - مصدر سابق ص ٨٥ .
- (٢٤٨) ابي يعلى الفراء - الاحكام السلطانية - مطبعة السيد مصطفى الحلبي - القاهرة ١٣٥١ هـ ص ٧٦ .
- (٢٤٩) الماوردى - مصدر سابق - ص ٨٧ ، ابي يعلى الفراء - مصدر سابق - ص ٧٦ .
- (٢٥٠) د/ محمد انيس - الدولة العثمانية والمشرف العربى - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٦ ص ٩٩ - انظر كذلك جب / بويين - مرجع سابق ج ١ ص ١٨٤ .
- (٢٥١) جب ، وبويين - مرجع سابق ج ١ ص ١٨٥ .

- (٢٥٢) اندرية ريمون - المدن العربية الكبرى فى العصر العثمانى -
ترجمة لطيف فرج - دار الفكر للدراسات والتوزيع - القاهرة ١٩٩١ .
ص ٦٧ .
- (٢٥٣) حسين افندى الروزنامجى - مصدر سابق . ص ٢٥ .
- (٢٥٤) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٤٦ ص ٢١ ،
ق ٤٦٨ ص ٣٦٢ ، س ٢٩ ق ٣٢ ص ١٤ .
- سجلات محكمة دمياط الشرعية س ١٦٠ ق ٣٦٦ ص ٣١٢ .
- (٢٥٥) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق ج ١ ص ٤٧٩ .
- (٢٥٦) د/ ليلى عبد اللطيف - دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر
والشام ابان العصر العثمانى - مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٠ ص ٩٥ .
- (٢٥٧) ادم منز - الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى -
ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده - لجنة التأليف والنشر - القاهرة
١٩٤٧ - ط ٢ ج ١ ص ٥٨ .
- (٢٥٨) محمد فريد - مرجع سابق . ص ٦١ .
- د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج ١ ص ٦٨ .
- (٢٥٩) عزيز خانكى - التشريع والقضاء قبل انشاء المحاكم الاهلية -
المطبعة العصرية القاهرة . د/ ت . س ٤٤ .
- (٢٦٠) د/ محمد عفيفى عبد الخالق - الاقباط فى مصر فى العصر
العثمانى . ه - م - ع القاهرة ١٩٩٢ م . ص ٢٨١ .
- (٢٦١) دى شاپرول - « وصف مصر » المصريين المحدثون - الخانجى
القاهرة د/ ت ج ١ ص ٢٧ .
- (٢٦٢) د/ محمد عفيفى - مرجع سابق . ص ٢٨٢ .
- (٢٦٣) كامل صالح نخلة - سلسلة تاريخ بطاركة الكرسى السكندرى -
الحلقة الرابعة . مطبعة دير السيدة العذراء - السرايات القاهرة ١٩٤٠ م
ص ٩٣ .
- (٢٦٤) نفسه - ص ١٣٠ .
- (٢٦٥) د/ ليلى الصباغ - الجاليات الاوربية فى بلاد الشام فى القرنين
١٦ ، ١٧ - مؤسسة الرسالة الكويت - ج ١ ص ٩٤ .
- (٢٦٦) د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج ٢ ص ٧٠٠ .

- (٢٦٧) د/ ليلى الصباغ - مرجع سابق . ج١ ص ١٤٣ .
- د/ عبد العزيز الشناوى - مرجع سابق . ج٢ ص ٧١٠ .
(٢٦٨) محمد عبد البارى - الامتيازات الاجنبية - لجنة التأليف والنشر
القاهرة ١٩١٤ ص ٢٥ .
(٢٦٩) د/ الهام ذهني - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين
فى القرن ١٨ . هم-ع . القاهرة ١٩٩٢ . ص ٣٠٦ .
(٢٧٠) نفسه . ص ٣٠٦ .
(٢٧١) Richard. P. Millehell. The Modern Middle
East and North Africa. New York 1984. P. 69.

* * *

الفصل الثالث

الدور الإدارى والسياسى للقضاة

أولا - الدور الإدارى :

- الدور الإدارى لقضاة العسكر :

- (أ) الاشراف على الحياة الدينية
- (ب) الاشراف على التعليم
- (ج) الاشراف على الطوائف الحرفية
- (د) الاشراف على الموظفين

- الدور الإدارى لقضاة الشرع فى الأقاليم :

- (أ) الاشراف على الرى والزراعة
- (ب) الاشراف على الجمارك
- (ج) الاشراف على الطوائف الحرفية
- (د) الاشراف على المؤسسات الدينية والعلمية
- (هـ) الاشراف على موظفى الأقاليم

الاختصاصات الادارية للقضاة

تمهيد :

منذ الفتح العثماني لمصر في عام ١٥١٧ م بعد هزيمة المماليك في معركة الريدانية ومقتل آخر سلاطينهم « طومان باي » تحولت مصر من دولة مستقلة ذات سيادة الى مجرد ولاية تابعة لدولة كبرى عظمى الاتساع تضم بين جنباتها العديد من الولايات . وترتب على ذلك تغير الوضع الاداري ليوائم الظروف السياسية التي استجدت بعد الفتح .

ووضعت الدولة العثمانية اساس نظام الحكم والادارة في البلاد مركزا في سلطات ثلاث هي :

(١) الباشا العثماني بوصفه ممثل السلطان العثماني في حكم البلاد .

(ب) الديوان الذي يقوم بمساعدة الباشا في حكم البلاد وادارتها .

(ج) الحامية العثمانية . وهي مكونة من الأوجاقات العثمانية الستة ثم اضيف اليها أوجاق المتفرقة . وكانت المهمة الأساسية التي نيظت بها هي الدفاع عن البلاد ونشر الأمن فيها ، في نفس

الوقت الذى أسندت اليها فيه العديد من الأعمال الأخرى ، مثل
المساهمة في جمع الضرائب .

أما الإدارة المحلية في الأقاليم فقد أسندت الى الممالك حكام
البلاد قبل مقدم العثمانيين وذلك لأن الفاتح الجديد لم ينسأ أن
يقضى عليهم تماما بل عمل على الاستفادة منهم في إدارة الأقاليم
بحكم خبرتهم واتصالهم بالشعب المصرى .

ووجد دور كبير للقضاة في إدارة البلاد حتى عند قاضى العسكر
المستول مع الباشا عن تطبيق الإدارة العثمانية في مصر وكثيرا
ما كان يتلقى قرارات إدارية من السلطنة لتطبيقها في مصر . وقاضى
العسكر عظمو رئيسي في الديوان العالي . كذلك فقد اختص قاضى
العسكر بثقلين الموظفين وتعيينهم في مختلف المجالات في القاهرة .

غير أن من الجدير بالذكر أن منطقة الاختصاصات الإدارية
للقضاة كانت محصورة في نفس منطقة الاختصاص القضائي . وتغلب
ذلك فاختصاصات قاضى العسكر الإدارية انحصرت في القاهرة . ولم
تتعدا الى الأقاليم لوجود السلطة الإدارية للقضاة الأقاليم على
أقاليمهم .

الدور الإدارى لقضاة العسكر

(١) الأشراف على المؤسسات الدينية :

أشرف القضاة على المؤسسات الدينية القائمة إشرافا واسعا
من تعيين موظفيها والأشراف عليهم . وكذلك الأشراف على المباني
كى تقوم بأغراضها . وكان هذا الأشراف نابعا من إشراف القضاة
على الأوقاف التى ينفق منها على هذه المؤسسات . فمن المعروف

لة لم تكن تنفق على هذه المؤسسات من مال الخزانة ،
رك الانفاق عليها للأوقاف التي رصدت عليها .

يقوم القضاء بالاشراف على المساجد وتعيين الأئمة
ن فيها مثل « قرر مولانا شيخ الاسلام ٠٠٠ الشيخ مذكور
سلامة أولاد الشيخ مذكور الواطي في كامل خطابة وامامة
المرحوم عبد الرحمن الجيعان بخط البندقيين » (١) و « قرر
البكوش في الامامة والخطابة بوقف جامع المغاربة بقنطرة
، بما لذلك من المعلوم » (٢) .

ما كان يقوم القضاء بتعيين المؤذنين في المساجد مثل « تقرير
٠٠٠ عبد الجواد على الدلال في وظيفة الاذان بوقف الملك
، قانصوه الغوري (٣) في نفس الوقت الذي يقوم فيه القضاء
بقية موظفي المساجد مثل الفرائشين والبوابين والوقادة
المطهرة والمزملة والميقاتي وخادم الساقية . وكان كل
لوظفين يخضعون في عملهم لمراقبة قاضي العسكر فهو الذي
وهو كذلك الذي يعزلهم من اعمالهم لو بدرت منهم مخالفة
، عملهم (٤) .

يقوم قاضي العسكر بالاشراف على المساجد ومجاينة المتهمين
ما تحتاج اليه من نفقة ، وبعد الكشف عليها بواسطة
في هذا المجال يرفعون تقريرهم الى القاضي الذي يأخذ
فيه . كذلك يقوم بتقرير النفقة التي تحتاج اليها العمارة في
وقت الذي يشرف فيه على العمارة ويحاسب القائمين
(٥) .

يدخل ضمن الاشراف على الوظائف الدينية تعيين حفصاري
تغسيل الموتى ، وذلك لأن تغسيل الموتى من الناحية الدينية
للعلم بالشروط الفقهية الواجبة للغسل ، ولكن يلاحظ في

تعيين المغسلين أن قرار القاضي بتعيينهم كان ينص على المنطقة
الواجب ممارسة عملهم بها فهو تقسيم جغرافي (٦) .

كذلك يقوم قاضي العسكر بتعيين قاضي المحمل الشريف ،
وذلك لأن من المعروف أن قافلة الحج المصري التي كانت تخرج في
شوال من كل عام تعتبر أكبر قافلة حج اسلامية وذلك لأنها
من حيث الحجم تضم بين جنباتها حجاج شمال أفريقيا كذلك من
حيث المكانة فهي تحمل الصرة والكسوة .

لذا فقد كانت قافلة الحج في حاجة الى قاض ليحل المنازعات
التي قد تنشأ بين الأفراد أثناء الحج . ويقوم قاضي المحمل بحل
هذه المنازعات وذلك تبعاً للتفويض له بذلك من قاضي العسكر .
من ذلك تعيين قاضي العسكر « المولى عبد الغنى بن ميرشاه الرومي
الحنفي » « للشيخ البدر القرافي » في قضاء الركب الشريف
المصري في سنة ٩٨٩ هـ - ١٥٨٩ م (٧) كما يقوم قاضي العسكر
بتعيين جميع الموظفين الدينيين المصاحبين لقافلة الحج في سفرها
الى الحجاز (٨) .

ويقوم قاضي العسكر بالاشراف على المقامات والمزاويا وتعيين
موظفيها وذلك بوصفها مؤسسات دينية لها أوقافها التي تدر عليها
دخلا تنفق منه وهي بالتالي خاضعة لقاضي العسكر . ويقوم
بتعيين مشايخ الطرق الصوفية وتعيين موظفي الأضرحة والتكايا
مثل « قرر شيخ الاسلام ٠٠٠ الحاج محمد بكتاش في وظيفة
المشيخة على تكية السادة الأعجام الكائنة بقصر العينى » (٩)
وكذلك تعيين مشايخ الطرق الصوفية « قرر مولانا شيخ الاسلام ٠٠٠
الشيخ الهمام زين الدين يحيى بن المرحوم الشيخ عوض من ذرية
سعد الدين الشيباني في وظيفة المشيخة على طائفة السادة السعدية

بمصر المحمية وغيرها والجلوس على السجادة الشريفة بجامع
الحاكم لأهليته لذلك «(١٠)

وبالرغم من الاشراف الكامل للقضاة على المؤسسات الدينية
في القاهرة ، وهى منطقة نفوذهم القضائى . يبرز سؤال عن القضاة
وكيفية توزيع هذه المناصب ، وماذا استفادت هذه المؤسسات من
القضاة واشرافهم عليها ؟

ان تقرير القضاء للموظفين فى هذه الوظائف كان ينص فى
اقرار التعيين على انه تم بناء على أهلية المرشح لهذه الوظائف
ولاسيما من الناحية الدينية . غير أن المصادر تمدنا بأنه وجد من
القضاة من كان يبيع هذه الوظائف ويأخذ من متوليها قدرا من
المال يتناسب مع قدر الوظيفة عند التعيين . كذلك وجدت بعض
المصادر التى امتدحت فى بعض القضاة أنهم لا يأخذون مالا مقابل
الوظائف ويمكن استنتاج أن بيع المناصب لم يكن قاعدة عامة وهى
تختلف من قاض لآخر ، وان وجد من القضاة من باع هذه المناصب
الدينية وبرز هذا الأمر بوضوح فى القرن الثامن عشر حيث بدأ
الضعف يدب فى أوصال هذا الجهاز المهم . غير أن من الجدير
بالذكر ان اشراف القضاة على هذه المؤسسات أعطاها طابعا من
الانضباط فى القيام بوظائفها وذلك للرقابة الشديدة المفروضة
عليها من قبل القضاة .

الإشراف على التعليم :

كان التعليم فى مصر فى العصر العثمانى يبدأ بالكتاب وهو
المرحلة التمهيدية الأولى التى تشبه فى وقتنا الحاضر المدارس
الابتدائية ، ثم بعد ذلك يتجه الطالب الى الأزهر الشريف أو أحد
المساجد الكبرى فى الأقاليم مثل المسجد الأحمدي فى طنطا . وهذا

هو التعليم العالى فى ذلك الوقت أو ما يمكن أن يطلق عليه كليات
المساجد .

كذلك لم تكن الدولة تنفق على التعليم بل ينفق على ذلك من
ربيع الأوقاف المرسودة لها . فى نفس الوقت الذى يقوم فيه قاضى
العسكر بالإشراف على التعليم وعلى المدارس والكتاتيب وتعيين
مدرسيها وموظفيها . كما كان له دور كبير فى الإشراف على
المجاورين فى الأزهر والمساجد المختلفة فى القاهرة .

ويقوم القضاة بتعيين « عرفاء المكاتب » أو « مؤدبى الأطفال »
كما تطلق عليهم الوثائق لتعليم الأطفال فى الكتاتيب من ذلك تقرير
« السيد إشراف محمد العشماوى . . . فى وظيفة تأديب الأطفال
بالمكتب الذى علو السبيل بباب مستحفظان » (١١) وتقرير
« على بق محمد لطفى فى وظيفة تأديب أطفال . . . بوقف المرحوم
خاير بك » (١٢) .

كما كان يقوم قاضى العسكر بتعيين المدرسين فى مدارس
القاهرة من ذلك « تقرير السيد الشريف مصطفى أحمد البنوفرى
الحنفى فى كامل تدريس فقه حنفى بمسجد المغفور له السلطان
حسن » (١٣) و « تقرير الشيخ محمد الأزهرى فى كامل وظيفة
التدريس وقراءة العلم والحديث بجامعة وضريح . . . اسماعيل
الأيالى » (١٤) .

وفى حالة سفر أحد هؤلاء المدرسين يقوم باستنابة من يراه
مناسبا للقيام بأعباء عمله حتى يعود اليه مرة أخرى وعليه أن يحدد
أمام القاضى المدة التى سيقضيها فى سفره ، وكذلك يقر قدرة من
استنابهم للقيام بالأعمال التدريسية التى أناهم فيها (١٥) ويقوم
قضاة العسكر بالإشراف على مرتبات المدرسين ويأمرون نظار
الأوقاف بصرفها وعدم التأخر فى دفعها (١٦) :

وكانت هذه المدارس تخضع للتفتيش من قبل القاضي
وعندما يتبين له أن المبالغ المخصصة للعناية بهذه المدارس وتلاميذها
قد صرفت في غير أغراضها فإن له الحق في أن يرغم القائمين على
ادارتها على الامتثال لرغبة مؤسسيها . ويتبني أن يكون المدرس
الموكل إليه أمر التدريس قادرا على القيام بمهام وظيفته وإذا
ما رأى أنه أقل كفاءة مما يقتضيه العمل فباستطاعته أن يرغم القائم
على أمر إدارة المدرسة على أن يختار مدرسا آخر أكفأ منه (١٧) .

ووجد في المدارس في هذه الآونة وظيفة المعيد الذي كان يجلس
بجانب الطلاب أثناء الدرس يستمع إليه من الشيخ ثم بعد انتهاء
الشيخ يعيد المعيد ما غمض من الدرس على مسامح الطلبة حتى
يكونوا أكثر فهما واستيعابا له ، ويقوم القضاة بتعيين المعيد
في الدرس من ذلك « تقرير الشيخ سلطان المزاوي الهياضي في
إعادة درس الشافعي » (١٨) و « تقرير الشيخ سراج الدين عمر
المغربي في وظيفة إعادة تدريس الفقه المالكي » (١٩) :

وكانت توجد بالمدارس مكتبات بها كتب يستفيد بها الطلبة
ويستعيرونها للانتفاع بها . ويقوم قاضي العسكر بالإشراف عليها
لحفظها من الضياع وتعيين موظف مسئول عن تخزين الكتب وحفظها
واعادتها للطلبة (٢٠) .

وللقضاة دور كبير في الإشراف على مجاوري الأزهر والمدارس
الملحقة به . فهو الذي يعين موظفي الأروقة مثل شيخ الرواق فبعد
أن يخلو هذا المنصب يقوم المجاورون برفع الأمر إلى قاضي العسكر
الذي يقوم بتعيين شيخ الرواق (٢١) .

كما وجد بنظام الأروقة التقسيم الدقيق إلى نظام الخلوات
والخزانات والطاقات ولا يسمح للمجاور بدخول الرواق والانتساب

اليه الا بعد الحصول على اذن وتذكرة من قاضى العسكر بسكنه وانضمامه الى الرواق وكذلك يقر بمقدار الخبز الذى يحصل عليه ، من ذلك » تقرير الشيخ محمد بن سليمان أبو حسن الشايبورى فى السكن والانتفاع بالخزانة الكائنة بحارة (٢٢) السادة الحنابلة بالجامع الأزهر « (٢٣) .

ونتيجة لكون المدرسة ملحقة بأحد المساجد فيقوم قاضى العسكر بتعيين الموظفين الدينيين بالمدرسة وذلك لأن المدرسة فى ذلك الوقت كانت مؤسسة اسلامية كاملة تضم الكتاب لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم وتعليمهم أوليات القراءة والكتابة ويوجد بها السبيل لسقاية الناس والدواب والمسجد لاقامة الصلوات (٢٤) .

مما سبق يتضح الآتى :

١ - يقوم قاضى العسكر بالاشراف على التعليم والمؤسسات التعليمية فى القاهرة وتعيين موظفيها من مؤدبى الأطفال والمدرسين لتعليم الطلاب . ويقوم القضاة كذلك بالاشراف على قبض مرتباتهم وهو الذى يملك أمر زيادة مرتباتهم .

٢ - خضعت المؤسسات التعليمية لمراقبة قضاة العسكر اذا كانوا يقومون بواجباتهم كما ينبغى وعزل من يتهاون منهم فى القيام بأعباء عمله ، كذلك الاشراف على المواد التى يدرسونها للطلاب وان كانوا لا يتدخلون فى اختيار منهج الدراسة .

٣ - يقوم قضاة العسكر بالاشراف على المجاورين فى الأزهر ولا يسمح للمجاور بالانتساب الى أحد الأروقة الا بعد

الاذن من قاضى العسكر له فى ذلك ومعرفة ما اذا كان هناك مكان شاغر فى الرواق أم لا ، وكذلك تخصيص مقدار الجراية الذى يحصل عليه المجاور .

٤ - كان تعيين شيخ الرواق وموظفى الأروقة المختلفين مثل النقيب وخازن الكتب وغيرهم من اختصاص قاضى العسكر وليس من اختصاص شيخ الأزهر - طول فترة الحكم العثمانى - وفى ذلك انتقاص لدور شيخ الأزهر وازدياد هيمنة قاضى العسكر عليهم وترتب على ذلك بالتالى حدوث العديد من علاقات المودة والصداقة بين المجاورين ومشايخ الأزهر وقضاة العسكر .

الإشراف على الطوائف الحرفية بالقاهرة :

شكل اصحاب كل حرفة طائفة خاصة بهم يتجمعون فيها - فهى اشبه بالنقابات المهنية فى الوقت الحاضر - وللطوائف قوانينها الخاصة بها ولا يسمح بالعمل فى نفس الحرفة الا بعد اجراء مراسم معينة امام اعضاء الطائفة وبحضور شيخها . وشيخ الطائفة بمثابة عامل الوصل بين الطائفة والسلطات الحاكمة فى البلاد ، كما أن عليه الحفاظ على تقاليد الصنعة ومنع الغش والتدليس فيها .

وقد بلغ عدد الطوائف الحرفية فى مصر فى ذلك الوقت « اثنتى وسبعين طائفة » (٢٥) ويبدأ اشراف القضاة على الطوائف منذ بداية ترشيح وتولية شيخها أمام الشرع الشريف من ذلك ما ورد فى السجلات « قرر مولانا قاضى القضاة ٠٠٠ الحاج نصر الدين بن نجا فى المشيخة على طائفة المبسطين بمصر المحروسة ابقاء له فى ذلك على عادته ومستقر قاعدته » (٢٦) .

وينص قرار تعيين شيخ الطائفة على «كمال استحقاقه وحسن سيرته وعفته واستقامته وأمانته ومعرفته بأحوال الطائفة وقوانينها» (٢٧) وكان العلماء يتدخلون في بعض الأحيان لترجيح كفة أحد المرشحين لمشيخة الطائفة بأن يشهدوا له بالأخلاق الحميدة وبالأهلية والأمانة المؤهلة لتوليده مشيخة الطائفة (٢٨) وفي حالة حصول أحد الأشخاص على براءة سلطانية بتوليده مشيخة إحدى الطوائف كان لا يسمح له بممارسة عمله إلا بعد اقرار القاضي له في ذلك (٢٩) .

وفي حالة ترشيح أعضاء الطائفة لأكثر من واحد لتوليده مشيخة الطائفة يقوم القاضي باختبار الاثنين في مواد صناعة الطائفة لاختيار الأقدم في أمور صناعة الطائفة ثم يقره من ذلك « لما حضر لبي مولانا قاضي القضاة ٠٠٠ جماعة من التجار بسوق العطر بالبحرين بسبب مشيخة سوقهم المذكور وبعضهم طلب محفوظ الرزنيخي وبعضهم طلب إبراهيم بن الجمال ٠٠٠ وأشرف الأمر على الاختلال فأحضر قاضي القضاة بعض مفردات من العطر الموضوع بدكاكين أهل السوق ووضع بين يديه في المجلس وعرضه على محفوظ وإبراهيم المذكورين بحضرة أهل السوق فلم يعرفه واحد منهما . وكان في المجلس من جملة تجار السوق المذكور الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ نور الدين فسئل منه عن المفردات فذكرها فردا فردا ثم اختبره حضرة قاضي القضاة وامتنحه فيما يتعلق بالعطور والأعشاب فأحسن الجواب وثبت أنه أخرى وأحق فعند ذلك قرر حضرة قاضي القضاة ونصبه وأقره شيخا على تجار السوق » (٣٠) .

وبذلك فقد كان من حق قاضي العسكر اجراء الاختبارات المختلفة للمتقدمين لمشيخة الطائفة لاختيار الأكثر معرفة ودراية بأمور الصناعة وكذلك حرصا عليها من الانهيار وحتى يمكنه الاشراف.

على أعمال طائفته واحوال صنعته لمنع الغش والتدليس في أعمال الطائفة .

ومن حق القاضي أن يعزل شيخ الطائفة اذا ما صدر منه أمر مخالف لوظيفته أو ثبت أنه جاهل بأمور صنعته أو أنه لا يراعي أهل طائفته ويكلفهم ما لا طاقة لهم به من أحداث المظالم عليهم (٣١) كما أننا نجد أن سلطة الطائفة في عقاب أفرادها الذين يخرجون على قواعد الطائفة المقررة . كانت مقيدة بسلطة القاضي فلا بد من رفع الأمر الى القاضي قبل اتخاذ قرار عقابه الذي يبدو أنه كان من حقه (٣٢) .

ويقوم قاضي العسكر بتجديد مشيخة شيخ الطائفة سنوياً ما دام يمشى بين طائفته بالعدل ويراعى أحوالها ، وما دام أعضاؤها راضين به شيخاً عليهم (٣٣) ويأمر قضاة العسكر قضاة أحياء القاهرة بالإشراف على الطوائف الموجودة في أحيائهم كذلك يأمرهم بالإشراف على أعمالهم مثل الأمر الموجه اليهم بالإشراف على الخبازين الموجودين بأحيائهم حتى يكون الخبز موجوداً باستمرار وإن حدث اختلال في ذلك فيقع العبء على قضاة الأخطاط (٣٤) .

وامتد إشراف القضاة على الطوائف الى الإشراف على أسعار وتحديداتها تحديداً دقيقاً وارسالها الى قضاة الأخطاط لإشراف عليها كل في محلة البدء توجد به محكمته ، وإن كان هذا يبدو تعدياً على أعمال المحتسب الذي لا يمر الا مرة في اليوم كذلك كان بعض قضاة الأخطاط يصاحبون المحتسب في جولاته .

ويقوم قاضي العسكر بتحديد أسعار البضائع التي تباع في القاهرة مثل الدقيق والخبز وغيرها من البضائع (٣٥) وفي حالة حدوث أزمة في بعض البضائع يقوم القاضي نفسه بالإشراف على

بيعها حتى لا يزداد سعرها ويؤدي ذلك الى أزمة تضر بالناس ،
من ذلك عندما حدثت أزمة في الصابون في عهد بيرم باشا في عام
(١٠٣٥ هـ - ١٦٢٥ م ، ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨ م) فعند ذلك قرر
قاضي العسكر عدم بيع الصابون الا تحت قصره وبورقة منه
شخصيا (٣٦) .

مما سبق يتضح الآتي :

١ - يقوم قاضي العسكر بالاشراف الكامل على الطوائف
الحرفية الموجودة في القاهرة من تعيين مشايخها وكذلك
عزلهم اذا ما حدث منهم أمر مخالف لمقتضيات عملهم
وللمشروط التي أخذها عليهم عند توليهم مشيخة
الطائفة .

٢ - كان من حق قاضي العسكر القيام باختبار المتقدمين
لمشيخة الطائفة في مواد صناعتهم ، حتى يرى ان كان
يستحق ذلك أو لا . وحتى يعين في هذا المنصب من هو
أحق بل أكثر دراية بأمور الصناعة حفظا لها
من الغش

٣ - فرض قاضي العسكر رقابته الصارمة على الطوائف
الحرفية الموجودة في القاهرة حتى لا تخرج عن مقتضيات
حرفهم . وأدى هذا بالتالي الى قلة أعمال الغش في
الصناعة خوفا من العقاب الصارم المقروض عليهم من
جاء مراقبة قاضي العسكر .

٤ - كانت سلطة شيخ الطائفة في معاقبة أفراد الطائفة مقيدة
بسلطة القاضي فكما يبدو من الوثائق أنه لم يكن

من حق شيخ الطائفة أن يعاقب أحد أفرادها الا بعد عرض الأمر على القاضى واتخاذ ما يراه القاضى من عقاب سواء بالتعزير أو بغيره من طرق العقاب .

٥ - اشراف قضاة الأخطاط في القاهرة على الحرفيين الموجودين في أحيائهم ولاسيما الذين تتصل أعمالهم مباشرة بالناس مثل الخبازين . وهذه السلطة مستمدة من أوامر قاضى العسكر لهم ، وان لم يكن من حقهم تعيين مشايخ الطوائف أو عزلهم . فالسلطة التى حصلوا عليها في هذا المجال مقيدة بالأمر الصادر اليهم .

الإشراف على الموظفين :

اختص قضاة العسكر بتعيين الموظفين في القاهرة والإشراف عليهم في أعمالهم وحل منازعاتهم الوظيفية .

من ذلك « قرر مولانا شيخ الاسلام . . . شرف الدين محمد بن المرحوم الشيخ أبو زينى القبائى زيد نفعة في كامل وظيفة الوزن بالقبائى بوكالة المرحوم عباس أغا بخط الجمالية بمصر المحمية » (٣٧) و « قرر مولانا شيخ الاسلام . . . عبد الرازق بن الشيخ عبد الجواد الوقار الجرابى في وظيفة الجراحة بالبيمارستان المنصورى بمعلوم قدره في كل يوم نصف » (٣٨) .

بذلك يتضح أن قضاة العسكر كانوا يعينون الموظفين في مختلف المجالات في القاهرة سواء الأمناء على الغلال في موانئ القاهرة « بولاق ومصر القديمة » وكذلك تعيين الجراحين في البيمارستان ، وموظفى الوزن بالقبائى وأعطى اشراف القضاة عليهم

نوعاً من الرقابة الشديدة على أعمال هؤلاء الموظفين وبالتالي أدى إلى تقليل الخطأ في أعمالهم .

وكان أى من الموظفين لا يمكنه السفر خارج البلاد من ذلك الاشراف على الشئون السلطانية والكشف عما فيها من الغلال وكميتها وكذلك اذا كانت مخلوطة بغيرها من المواد مثل التبن ، واذا حدث يقوم بالتحقيق في سبب وجود ذلك (٣٩) .

وكان أى من الموظفين لا يمكنه السفر خارج البلاد حتى ولو لأداء فريضة الحج ألا بعد الاذن في ذلك من قاضى العسكر . وفي حالة الموافقة على ذلك يقوم أمام قاضى العسكر باستنابة من يقوم عنه بوظائفه بعد الاقرار على قدرته على القيام بوظائفه ويقر بالمدة التى سيقضيها في سفره (٤٠) .

وكان من حق قضاة العسكر عزل الموظفين الذين يقومون بالاخلال بواجبات ووظائفهم المقررة مثل عزل « الشيخ على الواطى من وظيفة الوزن بالقبان لكونه حادثاً في الوظيفة المذكورة وصدر منه الغش والخيانة » (٤١) وكان القضاة يتلقون الشكاوى من الناس بخصوص الموظفين الذين يخرجون عن حدود ووظائفهم فيقومون بالتحقيق في أسباب الشكاوى ومعاينة الموظفين اذا ثبت تعديهم (٤٢) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قاضى العسكر بسلطة تعيين الموظفين في مختلف المجالات في القاهرة والتأكد من قدرتهم على القيام بأعباء الوظيفة واهليتهم لذلك .

٢ - من حق قاضى العسكر القيام بعزل أى من الموظفين الذين يخرجون عن مقتضيات ووظائفهم لأى سبب من

الأسباب ويتلقى شكاوى الناس ويعمل على التحقيق فيها والتأكد من مدى صحتها .

٣ - نتج عن اشراف القضاة على الموظفين قيامه بالفصل في قضاياهم الوظيفية ويشبه هذا في وقتنا الحاضر القضاء الادارى .

٤ - لا يحق لأى موظف أن يسافر خارج البلاد الا بعد الاذن له في ذلك من قاضى العسكر .

ثانياً - الاختصاصات الادارية لقضاة الشرع في الاقاليم

(١) الاشراف على أعمال الري والزراعة :

منحت لقضاة الاقاليم اختصاصات ادارية واسعة في مجال الزراعة فقد حدد قانون نامة في المادة ٣١ « أنه بعد رى الاراضى بكاملها ، تسلم التقاوى للكشاف وشيوخ العربان ويقوم القضاة والأمناء بتوزيعها على الفلاحين بمحضر كى يتمكنوا من تخضير الأقطيان السلطانية كاملة وبعد ذلك يأخذ أحد القضاة والأمناء التقاوى كاملة والغلات على البيادر ويقومون بتحرير مخضر عن جبايتها ثم يودعونها شون الخاصة » (٤٣) :

اضافة لذلك فقد وقع على عاتق القضاة الاهنمام بالرى والاشراف على الجسور وذلك بتكليف من الباشا العثمانى من ذلك المرسوم الذى أصدره الوزير « داود باشا » الى الفاضى باقليم المنوفية يطلب فيه منه « المرور على الجسور السلطانية والبلدية بالاقليم وتحرير كل جسر غرض وعمق وطول وما يخلص به النقع في جرفه . الذى عادة جرفه على الجرافة (٤٤) السلطانية والذى

جرفه على اهالى النواحي • ومقدار ما يصرف على الجسر السلطاني وما تحت كل جسر من البلاد • وكذلك هل المصلحة العامة والنفع في تساوى أهل الناحية في الجرف أم لا ؟ وكتابة كل جسر على حدته ••• وتبين ما في الأقاليم من الجسور التي تركت بغير جرف حتى انسدت وعميت والسبب الموجب لتركها بغير جرف ومدة ذلك وهل إذا عمرت هذه الجسور يعود نفعها ؟ «(٤٥) •

وبناء على هذا التكليف يقوم قاضى الاقليم بئدب نائبه وبعض شهود مجلسه للمرور على الجسور البلدية والسلطانية وعلى البلاد التابعة لاقليمه للاشراف على جرف الجسور جرفا يمنع المياه العالية • وذلك بالاستعانة بالخولة(٤٦) والجرافة السلطانية • وكذلك تكليف مشايخ النواحي بالحفاظ عليها وحراستها الى حين تمام الرى(٤٧) •

وفى حالة عدم جرف الجسور من مدة طويلة يتضرر الناس الى القاضى من أن ذلك يؤدى الى وجود خلل فى الناحية وتشرق الاراضى الزراعية ، ويطلبون جرفه الآن فى الجرف مصلحة للزراعة بالناحية كلها(٤٨). كما يقوم القضاة أحيانا فى أثناء مرورهم على الجسور للاشراف عليها بالتوصية ببناء قناطر فى بعض الأماكن على الجسور لفائدة الزراعة أيضا(٤٩) •

وبعد اتمام عمليات الجرف يقوم حاكم الولاية أمام القاضى بالاشهاد على نفسه أنه اجتهد وبذل الهمة فى جرف الجسور والخلجان وأنه سد المقاطع وكساها كسوة جديدة حتى صارت على أحسن حال • وفى هذه الحالة يلتبس حاكم الولاية من القاضى القيام بمعاينة ذلك بنفسه • فيقوم بذلك مصطحبا معه عددا من الخولة المختصين بهذه الأمور وبعد الكشف على ذلك يقوم بكتابة حجة تبعا لما هو موجود(٥٠) •

كما يقوم القاضى فى اثناء المعاينة باسناد ارباب الادراك: المسئولين عن الجرف بأنهم يحافظون على ادركهم بأنفسهم أو من يستعينون به الى حين تمام الرى وكمال المنفعة (٥١) وفى حالة وجود خلل بهذه الجسور يقوم بتوضيح ذلك والكشف عليه ومعرفة السبب فيه وكذلك حدوده ، ويتم الكشف على ذلك بحضور شيخ الناحية والخولة المختصين (٥٢) .

وعند وصول الموظف المسئول عن الرى الى الاقليم كان يحمل معه مرسوما الى القاضى من الديوان. يطلب منه تقديم المساعدة اللازمة له فى أعمال الرى المنوطة به ومساعدته فى تأجير المواشى اللازمة لهذه الأعمال وعدم التقصير حتى لا يقع عذر التعطيل على عاتق القضاة (٥٣) .

كما كانت تصدر الأوامر الى القضاة بالاشراف على قياس الجسور والترع ومطابقة مساحتها ، فعند قياس ترعة الشوكة المأخوذة من طين ناحية قرطسا وكنيسة الغيط بالبحيرة وجدت مساحة الترع تقدر بنسبة وعشرين فداناً وثلاث فدان ونصف قيراط عن كل فدان ثلثمائة قصبه حكم الأمر بذلك (٥٤) .

وعند قيام القضاة أو من ينيبونهم عنهم بالمرور على الترع والجسور كان يتم تحديد مساحة الجسر وموقعه وطوله وعمقه وعرضه ، فى نفس الوقت تحديد ما اذا كان هذا الجسر بلديا أو سلطانيا ، وتحديد أماكن رى الناحية (٥٥) .

وفى حالات القرى التى تفرض عليها المظالم والضرائب الخارجة ويشتمل سكانها الى الديوان ففى هذه الحالة يرسل الديوان الى قاضى الاقليم بقراره برفع المظالم عن القرية وتسجيل ذلك فى سجلات المحكمة والأمر بالمناداة بذلك فى القرية مثلما حدث عندما رفعت المظالم الموجودة على قرية « لسة الطاهرية »

: ١٩٣

(م ١٣ - تاريخ القضاء)

بالبحيرة (٥٦) وكذلك قرية « كفر المعصرة » وما عليها من المظالم
وهى بالبحيرة أيضا (٥٧) .

وتصدر الأوامر الى قضاة الأقاليم بالفحص عن الفلاحين
الهاربين من اقليمهم او ما تطلق عليه الوثائق « المتسحبين » الى
اقاليم أخرى هربا مما عليهم من ضرائب والتزامات مما يؤدى الى
تعطل أعمال الزراعة وبالتالي شكوى الملتزمين من ذلك . ويتم
ارسال كشف بأسماء « المتسحبين » من البلاد المختلفة الى القضاة .
وفي حالة العثور على أحدهم يتم سؤاله أمام القاضي اذا كان قد مر
على تسحبه أكثر من عشر سنوات بشهادة شهود يترك ولو أقل
من ذلك يعاد مرة أخرى (٥٨) .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قضاة الأقاليم باختصاصات الاشراف على الأراضي
الزراعية في الأقاليم التى تتبعهم ، تبدأ من توزيع
التقاوى حتى الاشراف على الرى والجسور التابعة
لهم مما يؤدى الى اضافة مزيد من الجدية على هذه
الأعمال .

٢ - كان حاكم الاقليم مسئولاً عن أعماله أمام قاضى الاقليم .
فبعد أن يتم جرف الجسور كان عليه أن يشهد على
نفسه أمام القاضي أنه أتم أعماله على خير وجه ، وعلى
القاضى أن يقوم بالمرور عليها للتأكد من ذلك بنفسه
وأن يعطى لحاكم الاقليم حجة بذلك .

٣ - يفسر لنا اشراف القضاة على الرى والزراعة تلك
الرسوم التى كانوا يحصلون عليها من مال
الكشوفية (٥٩) على الأراضي الزراعية فى نظير ما يقومون
به من أعمال اشرافية فى هذا المجال .

» ب (الاشراف على الجمارك :

منع قانون نامة لقاضى الثغر الحق فى مكافحة التهرب الجمركى من الجمارك والاشراف عليها والقيام بالعديد من الواجبات فى الجمارك فتذكر المادة ٢٧ « هذا وقد يتصاحب بعض جنود السباهى أو أحد من اشراف الحجاج أو الأكابر مع من يلوذ بهم من التجار عند وصول سفينة أو اقلعها فيخلصون كل من بالسفينة من رسوم الجمارك ولا يأخذون منهم شيئا أو يساعدون على تقييم أمتعتهم بأبخس الأثمان ، فيدفعون رسوما زهيدة ، ويلحق الضرر والخسارة نتيجة لذلك بالأموال السلطانية • وعلى القاضى وأمين الجمرى أن يتحققا مما يقوله (التجار) عن بعض العبيد السود من الأسرى من أنهم من خدامهم تحاشيا لدفع رسوم عليهم(٦٠) •

واضافة الى منع التهرب الجمركى الذى تمتع به القاضى • فقد كان يسجل فى سجلاته الوارد الى الجمرى من كافة البضائع وكذلك البضائع المصدرة من الميناء ويأخذ على قابودان السفينة الترخيصات اللازمة بأن يسلم البضائع الى أصحابها فى موانئ الشام والبلدان الأخرى كما لابد من تفتيش السفن بوجود قاضى الميناء ويسجل ما بها من بضائع وما يستحق عليها من رسوم جمركية(٦١) •

ومن حق قاضى الميناء التدخل فى كل ما يخص الأموال السلطانية التى تحصل لجانب الميرى وتصدر اليه الأوامر بذلك من الديوان العالى بالقاهرة وعليه أيضا أن يقوم بإحصاء كافة المراكب الواردة الى الميناء والأموال المحصلة منها وعليه أيضا يقع عبء التفتيش الفجائى على دفاتر مباشرى الجمارك ومقارنة ما سجلوه فى دفاترهم بما سجله هو فى سجلاته(٦٢) •

ويقوم القضاة كل عام باحصاء المراكب والقوارب التي تعمل بالنيل سواء في الصيد أو في النقل . وأسماء العاملين بها . وكذلك أسماء الضامين لهم لأنه لا بد من وجود ضامن لكل ريس مركب حتى يلجأ إليه وقت الحاجة (٦٣) .

وفي حالة غرق إحدى السفن يقوم قاضي الثغر بالتحقيق في سبب غرقها والاشراف على استخراج ما بها من بضائع وتسجيل ذلك في سجلاته حتى يعطى لكل ذي حق حقه (٦٤) .

وعند تعيين أمين الجمرك لا يسمح له بممارسة عمله إلا بعد اقرار تعيينه من جانب قاضي الثغر (٦٥) وفي حالة قدوم قناصل الدول الأجنبية يشارك قضاة الموانئ في استقبالهم عند وصولهم الى الميناء . كما أنه في حالة وصول أوامر من الديوان العالي في القاهرة الى القناصل في الثغر تصل أولا الى القاضي الذي يقوم بإبلاغها الى القناصل (٦٦) .

وقد امتدت سلطات قاضي الثغر من الاشراف على الجمرك الى الاشراف على القلاع الموجودة بالثغر وما بها من مدافع والآلات حربية وما يحتاج منها الى تعمیر واصلاح ، وكذلك الكشف الدوري على ذلك ومقدار ما تحتاج اليه من أموال للانفاق على تعمیرها ، وكذلك الاشراف على مرتبات الجند المحافظين بالقلمة والاقرار بتسلمهم رواتبهم (٦٧) .

ولكن في القرن الثامن عشر ونتيجة سيطرة البكوات المماليك على مقاليد الأمور في البلاد فقد القضاة في الثغور مكانتهم كعنصر اشرافي على الجمارك كما يظهر من نصوص بعض المعاهدات .

ففي معاهدة تروجية (١٦٨) مراد المعقودة في ١٧٨٥ م . « انه ليس لقائد السريس أو لأي موظف آخر حق في تفتيش البضائع

وحق التفتيش محصور بالموظفين الذين يرسلهم باشا القاهرة أو قادة القاهرة لهذا الغرض، ولهؤلاء أن يحصوا الطرود ويختتموها بخاتمهم الخاص ويضعوا كشفا بها يرسلونه الى القاهرة وحال وصول الطرود الى القاهرة ودخولها الى مخازن التجار الفرنسيين نفى اجتماعها بحصور من يمثلنا ويمثل الباشا وتفتح وتستوفي الرسوم الجمركية المحددة فيما بعد (٦٩) .

يتضح مما سبق الآتى :

١ - نيط بقضاة النغور الاشراف على الجمارك ومنع التهريب الجمركى ومراجعة دفاتر المباشرين للتأكد من عدم مخالفتها للواقع وذلك حماية للأموال السلطانية من الضياع .

٢ - كان قاضى النغر يحضر عمليات تفتيش السفن على الأقل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كما كان يحضر استقبال القناصل العاملين بالثغرة وعند وصول قرارات ادارية خاصة بهم من الديوان العالى كانت ترسل الى قاضى النغر أولا ثم يرسلها الى القناصل بعد ذلك .

٣ - يقوم قابودانات السفن المارة بالموانئ المصرية بتسجيل شحناتهم بشبكات القاضى الذى يأخذ عليهم اقرارات بتوصيل هذه البضائع الى ذويها . كما يأخذ عليهم اقرارات مماثلة فى حالة شحنهم شحنات من الموانئ المصرية الى الموانئ الأخرى .

٤ - يقوم القضاة بالاشراف على العاملين بالمراكب النيلية . فلكذلك وجوب وجود ضمانين لهم حتى يمكن اللجوء اليهم

وقت الحاجة أو عند حدوث أى حادثة تقتضى مساءلة
ريس المركب .

٥ - فقد قضاة الثغور الكثير من سلطاتهم الاشرافية على
الجمسارك في القرن الثامن عشر . وهو ما يبدو من
المعاهدات المعقودة بين الأمراء المماليك وممثلى الدول
الدول الأوروبية في ذلك الوقت .

(ج) الاشراف على الطوائف الحرفية :

أشرف قضاة الأقاليم اشرافا واسعا على الطوائف الحرفية في
أقاليمهم غير أن مما يجدر ملاحظته أن طوائف الأقاليم كانت معزولة
عن الطوائف في الأقاليم الأخرى ، وفي القاهرة أيضا . ففى كل اقليم
طائفة مستقلة بذاتها في كافة أمورها ولكن وجدت بعض الطوائف
في الأقاليم المرتبطة بالقاهرة مثل طائفة « الجبجية » (٧٠) وما يتبعها
وشيخها في القاهرة هو الذى يعين وكلاء عنه في طوائف الأقاليم .

وكما يبدو من الوثائق يبدأ اشراف القضاة على الطوائف
منذ تعيين شيخ الطائفة أمام القاضي ولكننا نلاحظ أن هناك طوائف
كانت تابعة للشرع الشريف ، وهذه هى التى فوض تقرير أمر
شيوخها الى القاضي .

ومن أمثلة ذلك ما تمدنا به الوثائق « قرر الحاكم الشرعى . .
الاستى صفر ابن المرحوم شاكر جاويش الخطاب بالثغر شبيخا على
طائفة الخياطين بالثغر لينظر في مصالحهم بالعدالة والانصاف من
غير حيف ولا اجحاف ويضبط عليهم صناعتهم ضبطا شافيا . . .
وذلك لأهليته وكمال استحقاقه لذلك ولرضا أفراد طائفته به » (٧١) .

وكان قرار التعيين ينص على تعيين شيخ الطائفة « لرضا
أفراد طائفته ولأهليته ودرايته ومعرفته وكمال استحقاقه لذلك وإن

أهل طائفته راضون به وشاكرون من حسن صنع معروفه
معهم «(٧٢)» .

في نفس الوقت يشترط القاضي على شيخ الطائفة عدم أحداث
مظلمة ولا أحداث حادثة أو فعل مخالف للشرع الشريف وأن يكف
الأذى عن أبناء طائفته . وأن كل من ورد من البلاد لا يمارس
الحرفة الا بعد الاذن له من شيخها (٧٣) .

غير أن الوثائق تمدنا أن الطائفة في أحيان كثيرة تكون على
مستوى الاقليم . وفي أحيان أخرى تكون على مستوى مدينة واحدة
من الاقليم . وبهذا يكون هناك انفصال ما بين الطائفة في المدينة
بتكوينها الخاص بها ، ونفس الطائفة في المدن الأخرى التابعة
لنفس الاقليم .

وإذا ما بدر من شيخ الطائفة أمر خارج عن تقاليد صناعته
أو فقد شرط من الشروط التي وضعها عليه قاضي الاقليم يقوم
القاضي على الفور بعزله من ذلك « عزل عمر بن شمس المعروف بابن
الشاعر شيخ جماعة النشارين بالثغر من مشيخة الطائفة وذلك
لخيائته وقطعه الأشجار من بساتين الثغر بغير معرفة
أصحابها » (٧٤) .

أما في حالة الطوائف التي تتبع طائفها في القاهرة مثل طائفة
الجبجية فقد كان شيخ الطائفة يعين وكبلا عنه لإدارة أمور الطائفة
في الاقليم ويعطيه تفويضا بممارسة كافة سلطاته على من يتبعه
من صناع ويقوم القاضي في هذه الحالة باقرار ذلك التعيين ويطلب
من أفراد الطائفة عدم معارضته ومساعدته في القيام بواجباته (٧٥) .

ولم تقف سلطات قاضي الاقليم عند حد تعيين مشايخ الطوائف
والإشراف عليهم بل امتدت سلطاته الى الإشراف على الأسواق
والأسعار ومراقبة من يخالف من التجار والصناع (٧٦) .

وعندما اشتكى الناس في ثغر دمياط من غلاء أسعار البطيخ والتحريج على بيعه • جمع القاضي التجار وحدد الأسعار وأمرهم بعدم احتكاره. ولا بيعه بزيادة عن الأسعار التي حددت له (٧٧) في نفس الوقت عمل القاضي على حماية الطوائف من تدخل العسكريين في أمورهم وجصولهم على اتاوات منهم (٧٨) •

كذلك فقد عمل القضاة على الاشراف على الطوائف الحرفية من ناحية عدم السماح لهم بالغش في صناعتهم والتدليس فيها من ذلك الأمر الصادر من الحاكم الشرعي بثغر دمياط لطائفة الصاغة « بعدم خلط الذهب والفضة وبيعه للمسلمين بغير ضرر ولا اجحاف وكل من عارض ذلك عوقب بأشد العقاب » (٧٩) •

ما سبق يتضح الآتي :

١ - فرض القضاة رقابة شديدة الصرامة على الطوائف الحرفية أدت الى العمل على تجسين انتاجها ومنع الغش والتدليس في الصناعة ومنع التجائهم الى العسكريين وركونهم الى حمايتهم ، وبالتالي ارتكاب الأخطاء العديدة وبذلك فقد قدمت هذه الرقابة فائدة كبيرة للناس وللصناعة في آن واحد •

٢ - يقوم القضاة بتعيين مشايخ الطوائف الحرفية وعزلهم اذا ما بدر منهم أى عمل مخالف للشروط التي اتخذت عليهم عند توليهم مشيخة الطائفة لاحداث مظلمة على اعضاء الطائفة •

٣ - كانت الطوائف الحرفية ، كما هو ثابت من الوثائق ، تضم بين اعضائها المسلمين وأهل الذمة بدون تفريق بينهما. ويقوم القاضي بالاشراف عليهم جميعا •

اشراف القضاة على موظفى الأقليم :

منح القاضى اختصاصات واسنعة فى الاشراف على موظفى الاقليم ، ولم يكن يسمح للموظفين بممارسة اعمالهم الا بعد اقرار القاضى لهم فى وظائفهم . فعلى سبيل المثال يذكر المؤرخ ابن أبى السرور البكرى « أن شخصنا أبرز من بعد رجوعه من الشام حكما شرعيا من السردار الأعظم بمنصب دودارية الغربية ودفع اليه حكما شريفا بذلك خطاها للحاكم الشرعى بها . فلما ورد الداوادر المذكور بالحكم المذكور قرىء بالمحكمة الكبرى بالمحلة (٨٠) » .

كما ورد خطاب من مراد بك و ابراهيم بك الى الحاكم الشرعى بشفر الاسكندرية قائلا « اقضى قضاة الاسلام نعمات أفتدى قاضى الشرع الشريف والامير عبد الله جوريجى سردار مستحفظات ٠٠٠ أعزهم الله آمين بعد السلام لا يخفاهم أن الواصل الى عندهم الأمر مصطفى أغاث الخوالة تابع حضرة أخينا ميرالووا قائمقام مصر سابقا ويبيده فرمان شريف من حضرة مولانا الوزير ٠٠٠ عن واجب سنة ١١٨٩ هـ - ١٧٥٥ م والحال عند حضوره الى عندهم تجروه على حكم الخوال السابق وتكونوا أنتم و اياه حال واحد فى كامل الأمور كلها » (٨١) .

ويأتى الى القاضى مراسيم تعيين الموظفين الآخرين مثل أمين الاحتساب وسردار مستحفظات أمن الجوالى وغفنىو الادراك (٨٢) .

ويقوم القاضى بالاشراف على الموظفين فى الاقليم وكيفية ممارستهم لاعمالهم ويعزل منهم من يستحق العزل اذا خرج عن مقتضيات وظيفته (٨٣) فى نفس الوقت الذى يشرف فيه القاضى على قبض الموظفين لمرتباتهم وتحديد عوايدهم (٨٤) .

وبعد اتمام عمل الموظفين وقبل انصرافهم عائدين الى القاهرة لابد أن يقوموا بالاشهاد على أنفسهم أمام القاضى أنهم قد مارسوا وظيفتهم بأمانة شديدة وأنهم حافظوا على البلاد وأقاموا العدل بين الناس واهتموا بأمور البلاد(٨٥) .

(د) الاشراف على الحياة الدينية والتعليم :

لم تكن الدولة تنفق على المؤسسات الدينية والعلمية في البلاد على أساس أنه لم يكن داخلا في فلسفة الدولة في ذلك الوقت الاهتمام بهذه الأمور وتركها لرعاية الأوقاف التى ترصد على وجوه البر والخير ومنها هذه المؤسسات الدينية والعلمية .

ويقوم القضاة بتعيين الموظفين في هذه المؤسسات وكذلك الاشراف عليهم وعزلهم اذا اقتضى الأمر ذلك في حالة خروجهم عن مقتضيات وظائفهم ، ولم يخرج الاشراف علم هذه المؤسسات عن نطاق اختصاص القضاة طوال فترات الحكم العثمانى لمصر .

وكان الاشراف على الأمور الدينية من أهم اختصاصات القضاة في هذه الآونة ومن القضاة من أضاف الى لقبه لقب « الناظر في الأحكام الشرعية والأمور الدينية »(٨٦) .

ويقوم القاضى بتعيين موظفى المساجد المسئولين عن الخطابة والامامة مثل تعيين « الشيخ يوسف ٠٠٠ في وظيفة الخطابة كاملة وخطبتي العيدين الفطر والأضحى والأذان والتبليغ والفرش والوقود بجامع المخطبة بناحية محلة أحمد ٠٠ وذلك لأهليته وفضيلته »(٨٧) .

ويقوم القاضى بتعيين قراء القرآن الكريم في المساجد والزوايا والمقابر وذلك بالمرتب المحدد لهم في استمارات الوقف وللقاضى أن يزيد في مرتباتهم حسبما يرى ويحدد لهم مواعيد القراءة وما يرتبط بها من أعمال(٨٨) .

ويقوم القاضى بتعيين المؤذنين مثل تعيين « الشمسى محمد بن المرحوم ولى الدين الكربونى فى نوبة اذان بجامع الدكوى وجامع البحر بنغر دمياط بمعلوم قدره فى كل شهر من شهور الأهلة من الفلوس النحاس عشرة أنصاف » (٨٩) •

وبعين القاضى النظار على الأضرحة لجمع النذور وتعمير الأضرحة والتقيد بخدمتها (٩٠) وتنص قرارات تعيين الموظفين الدينيين على « أهليته واستحقاقه وعفته وأن ذلك وضع الشيء فى محله » (٩١) •

فى نفس الوقت الذى يقوم فيه القاضى بالنظر فى مرتبات الموظفين وان كان بكفيهم أم لا • ويتلقى شكواهم حول ذلك • ومن حق القاضى زيادة المرتبات ان رأى ذلك (٩٢) •

ويقوم القاضى بتعيين موظفى المؤسسات الدينية من الفراشين والوقادين والمؤذنين (٩٣) ويقوم القضاة بالكشف الدورى على المؤسسات الدينية وما تحتاج اليه من عمارة وغيرها حتى لا تتعطل عن القيام بمهامها (٩٤) وفى حالة ثبوت تهمها واحتياجها للعمارة يأذن القاضى لناظرها بعمارتها والتقيد بذلك وعدم المخالفة ، واقامة الشعائر بها (٩٥) •

أما فى أمور التعليم فيقوم القاضى بتعيين موظفى الكتاتيب ويطلق عليهم « مؤدبو الأطفال » لتعليم الأطفال ، من ذلك « تعيين الشيخ عبد الخالق بن سلامة الحساوى من أهالى ناحية محلة داود بولاية البحيرة فى وظيفة تأديب الأطفال بجامع الخطبة » (٩٦) •

ومن ذلك أيضا تعيين « الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ محمد وولدى عنه هما عبد المتعال ومحمود بالتفاضل بينهم فى وظيفة قراءة الأطفال بالمكتب » (٩٧) •

ويقوم القاضي بتعيين المدرسين في المدارس المختلفة « قرر قاضي
القضاة ٠٠٠ الشيخ الامام ٠٠٠ بدر الدين حسن بن مولانا الشيخ
زين الدين يوسف في وظيفة التدريس في العلم الشريف بالمدرسة ٠٠٠
المعروفة بالمسلمية الكائنة بثغر دمياط ٠٠٠ لأهليته وفضيلته
واستحقاقه لذلك » (٩٨) .

ويقوم القاضي بتعيين الفراشين المسؤولين عن نظافة المدارس
والبوابين والوقادين وهو المسؤول عن تعيين النظار على أوقافها
للاهتمام بها وعدم توقف ريعها (٩٩) .

ويقوم القضاة بالاشراف على مباني المدارس وما تحتاج اليه
من عمارة حتى لا تتوقف عن أداء مهمتها في التعليم . وفي حالة
تهدمها يسمح لناظرها بالتعمير من مال الوقف المرصود عليه أو أن
يستدين على ذمة الوقف لتعميرها (١٠٠) .

مما سبق يتضح الآتي :

— يقوم القضاة في الأقاليم بالاشراف الكامل على العملية
التعليمية منذ المرحلة الأولى وهي الكتاب حتى يتم الطالب
دراسته كما امتد هذا الاشراف الى مباني المدارس نفسها
من حيث تعميرها والاهتمام بها .

— من حق القضاة عزل المدرسين الذين يثبت عليهم عدم
اهتمامهم بالدرس أو اهمالهم في أداء واجبهم .

— اشرف القضاة في الأقاليم على المؤسسات الدينية من
مساجد ومقامات وغيرها ، وتعيين موظفيها ونظارها
ومحاسبتهم عما آل اليها من دخل وما أنفق . كذلك فقد
كانوا قوة رقابية على أداء هذه المؤسسات مما جعلها
تقوم بأداء وظيفتها التي وجدت من أجلها .

ثانيا : الدور السياسى للقضاة

- (ا) تمهيد : الحياة السياسية فى مصر •
- (ب) دور القضاة فى الوساطة السياسية •
- (ج) موقف القضاة من فتنة السباهية •
- (د) موقف القضاة من فتنة الفرنج أحمد •

الدور السياسى للقضاة

بعد الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧ م على يد السلطان سليم الأول عمل على الاحتفاظ ببقية القوى المملوكية وعدم القضاء المطلق عليهم وذلك للاستفادة منهم اداريا فى حكم البلاد ، وذلك لما لهم من خبرة فى هذا المجال ، وكذلك لجعلهم قوة عسكرية مساعدة لقوة الباشا العثمانى فى مصر وبالتالى الاستفادة منهم عسكريا فى القضاء على تمردات البدو فى مصر بحكم خبرتهم فى هذا المجال .

وقبل مغادرة السلطان سليم لمصر اتخذ بعض التدابير ، منها أنه عين خاير بك الأمير المملوكى الذى ساعد العثمانيين ضد أبناء جلدته المماليك حاكما على مصر فى يوم الاثنين ١٣ شعبان ٩٢٣ هـ ٣١ أغسطس ١٥١٧ م لقد أراد السلطان سليم أن يضمن ولاء مصر للحكم العثمانى ، لذا فقد ترك فيها حامية عثمانية تحت امره بعض قواده ، وشكل مجلسا من أمرائه لمعاونة خاير بك فى ادارة البلاد حتى يضمن بقاء السيادة العثمانية على البلاد (١٠١) .

وبعد خروج السلطان سليم من مصر ، أعطى خاير بك الأمان للمماليك الهاربين وبعد ظهورهم أحسن اليهم ونادى عليهم بركوب الخيل وشراء السلاح والتزوى بوزى المماليك لا العثمانيين كما أنه أنفق عليهم الجامكية (١٠٢) كما كانوا فى العصر المملوكى (١٠٣) .

بل أن خاير بك استعان بالمماليك في قمع الانكشارية والسباهية الذين تمردوا على أوامر السلطان سليم القاضية بإرسالهم من مصر إلى الأناضول وتم إرسالهم بالفعل واستخدم المماليك في مصر لموازنة الانكشارية والسباهية وكثيرا ما كانت تقوم المنافسات والفتن بين الفريقين (١٠٤) .

وانضم المماليك إلى الحامية العثمانية فكون العثمانيون « أوجاق الجراكسة » من المماليك الذين أظهروا خضوعا للسيطرة العثمانية وعملوا في خدمتها منذ بداية الفتح العثماني . وكان هذا الأوجاق من أوجاقات السباهية الذين عملوا في الريف . كما أن المماليك كانوا عصب أوجاق المتفرقة الذي كونه العثمانيون في عام ١٥٥٤ م وكان هذا الأوجاق يقوم بحراسة الباشا العثماني في مصر (١٠٥) .

ولكن لم يكن المماليك جميعا موالين للحكم العثماني في مصر . فقد كانوا فريقين : فريقا أعلن ولاءه للعثمانيين ولم يحاولوا الانتقال من الحكم العثماني وهؤلاء تولوا الوظائف العليا في البلاد من هؤلاء « خاير بك » الحاكم العثماني الأول على مصر . وفريقا آخر كان يكن العداوة الشديدة للعثمانيين ، وأعلنوا الولاء لريثما تواتبهم الفرصة للانتفاض ضد الحكم العثماني ومحاولة إعادة السلطة المملوكية مرة أخرى ، ومن هؤلاء من أنتفض ضد العثمانيين .

ومن الذين انتفضوا ضد الحكم العثماني الأمير « اينال السيفي طراباي كاشف الغربية » و « جانم السيفي كاشف البهنسا والقيوم » . فقد استغل فرصة وفاة « خاير بك » وتولية الوزير الأعظم « مصطفى باشا » الذي دخل مصر في (٢٣ ذى الحجة

١٣ تشرين ١٥٢٢ م) وقاموا بانتفاضتهم ولكن استطاع « مصطفى باشا » القضاء عليها (١٠٦) .

وبعد ذلك ركن المماليك الى الهدوء والعمل في ظل العثمانيين كما أن البلاد ظلت تنعم بالهدوء والاستقرار بقية ذلك القرن تقريبا . ومما ساعد على ذلك قوة السلطة المركزية في استانبول وانعكاس ذلك على الأوضاع في مصر ، حتى تغيرت هذه الأوضاع في الربع الأخير من هذا القرن تقريبا نتيجة للعديد من العوامل التي بدت على سطح الحياة السياسية .

فمنذ نهايات القرن السادس عشر كانت مصر تعاني كانعكاس للأوضاع في الدولة العثمانية من انخفاض العملات المحلية ، وانخفاض القوة الشرائية لمرتبات الحامية وأعضاء الجهاز الإداري وشرع كل فريق (الحامية العسكرية والجهاز الإداري) يمارس إجراءاته لتعويض العجز في الإيرادات الراجع الى فساد العملة (١٠٧) .

وبعد القضاء على فتنة السباهية التي حدثت في عهد « أويس باشا » - (١٥٨٥ م - ١٥٩٠ م) بدأت تظهر على السطح من جديد القوى المملوكية ممثلة في الصناجق المماليك وذلك لملء الفراغ الناتج عن تدهور القوة العسكرية العثمانية وعدم ثقة الولاة فيهم نتيجة لتמרدهم . وعمل الولاة (١٠٨) على التحالف مع الصناجق (١٠٩) ، أبان فترات الفتنة العسكرية فقبل القرن السابع عشر لم يكن للبكوات أى نصيب بارز في الأحداث (١١٠) .

ولكن بمرضى الوقت تحول الصناجق الى منافسين للولاة ، وشرعوا في استغلال التناقضات الحادثة بين « الوالى » ورجال الحامية العثمانية لينصروا هذه الفئة على تلك ، حتى اذا ما أنسوا في أنفسهم « القوة » انفردوا وأصبحوا قوة مستقلة تقف في مواجهة الوالى . . . وفي مواجهة العسكر (١١٢) .

وبدأ البكوات يظهرون شجاعة وقوة متزايدة ، ففي عام (١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣ م) رفضوا قبول الوالي المرسل من قبل السلطان ، وأصرروا على استمرار « مصطفى باشا » في وظيفته . بل عملوا أيضا ما هو أكثر من ذلك جرأة عندما أزالوا الوالي « موسى باشا » عن السلطة في عام (١٠٤٢ هـ - ١٦١٣ م) لأنه قتل عددا منهم ولقي ذلك قبولا من السلطان (١١٢) .

وفي القرن السابع عشر بدأ يظهر شكل جديد من أشكال الحزبية ، كان وجود روابط التثام بين كل من البكوات الصناجق وكبار العسكريين والدور المهم الذي لعبه السادة المتحكمون في مراكز قيادة الانكشارية أمثال « كوجك محمد وأفرنج أحمد » (١١٣) .

وهكذا ضعف نفوذ الولاة العثمانيين في مصر وهو يرجع بالدرجة الأولى الى عدم ولاء الأوجاقات العسكرية العثمانية . وانصرف هؤلاء الى تنمية مواردهم في العمل في الحرف المختلفة مما أدى الى الضعف التام (١١٤) .

وبذلك نجح المماليك بعد عودتهم مرة أخرى عن طريق البيوت العسكرية والتحالف معهم من السيطرة على مقدرات الحياة السياسية المصرية في القرن الثامن عشر حتى أصبحت سلطة الباشا معهم معدومة فقد كان شبه محجور عليه .

كانت هذه هي صورة الحياة السياسية في مصر في العصر العثماني . وكان قاضي العسكر والقضاة في الأقاليم في قمة النظام السياسي السائد في البلاد . وقام قاضي العسكر بالعديد من الوساطات السياسية بين الأطراف المتنازعة في البلاد . كما غدا قاضي العسكر مسئولاً رئيسياً بجانب الباشا العثماني في مصر عن الحفاظ على السلطة العثمانية ضد انتفاضات العسكريين أو المماليك .

ومن الجدير بالذكر أن الأطراف المتنازعة كانت تحاول اكتساب قاضي العسكر الى جانبها حتى تكسب صراعها مع الطرف الآخر . أو حتى تضمن قبول طلباتها عند الباشا العثماني .

(١) دور القضاة في الوساطة السياسية :

لعب القضاة دورا بارزا في الوساطة السياسية منذ الفتح العثماني لمصر . فقد قام القضاء بدور الوساطة بين طومان باي والسلطان العثماني سليم الأول (١١٥) حتى ان بعض القضاة قتلوا في أثناء هذه الوساطة ومن جرائها (١١٦) .

ولعب قاضي العسكر دورا مهما في الوساطة بين الأمراء والمماليك والباشا العثماني . فمن ذلك ما حدث في عهد موسى باشا (٧ ربيع الأول ١٠٤١ هـ - ١٦١٣ م ، ١٠٤٢ هـ - ١٦٣٢ م) . فقد حدثت مشكلات بينه وبين أحد الأمراء المماليك قيطاز بك فقتله ، وعندئذ ثار المماليك واجتمعوا بالرميلة ، وحضر قاضي العسكر الذي استمع لمطالب الأمراء الذين أصروا على عزل الباشا وتعيين قائمقام (١١٧) .

كما قام قاضي العسكري بالوساطة بين الأمر وعابدي باشا (٢ ذى الحجة ١١٣٦ هـ - ١٧١٤ م ١٥ شوال ١٢٢٩ هـ - ١٧١٦ م) عندما عزل بعض الأمراء من وظائفهم وعين آخرين محلهم . فأصلح قاضي العسكر بين المعزولين والباشا ، وحلفهم على المصحف بعدم الخروج على الباشا (١١٨) .

وكان يقوم قاضي العسكر بجانب الباشا العثماني بالعمل على تثبيت نفوذ السلطان في البلاد وتنفيذ أوامره فيها (١١٩) .

ومن ذلك نجد أن قضاة العسكر كانوا يقومون بالوساطة السياسية في حالة الخلافات بين الباشا والأمراء المماليك . كما

قاموا بالوساطة بين الأطراف المتنازعة وهم في ذلك كانوا بمثابة صمام الأمان للبلاد في كثير من الأحيان . وجنبوا البلاد الكثير من الفتن فقد كانوا يقومون بالوساطة برضا الأطراف المتنازعة لما لهم من مكانة دينية وسياسية معترف بها بين كل أطراف الصراعات المختلفة في البلاد (١٢٠) .

(ب) موقف القضاة من فتنة (١٢١) السبائية :

تمتعت مصر بالهدوء السياسي والاستقرار في أوضاعها المختلفة بعد استقرار الحكم العثماني بها حتى العقد الأخير من القرن السادس عشر ، عندما بدأت تتجمع في الأفق العديد من العوامل التي أدت إلى فتنة أوجاقات السبائية على السلطة السريعة في البلاد ، ممثلة في شخص الباشا العثماني . ووجدت بعض العوامل التي أدت إلى هذه الفتنة .

وأهم هذه العوامل :

العامل الاقتصادي ، فقد انخفضت قيمة العملة الفضية في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وذلك نتيجة لحاجة الدولة إلى المال لدفع رواتب الجنود والموظفين المتكاثرين ، ولسد النفقات المالية الأخرى ، كذلك أدى تدفق الفضة من أمريكا إلى انهيار قيمة النقد العثماني . وقد حدث في مصر بالذات في عام ١٥١٨ م أن خفضت قيمة العملة المحلية التي تسمى البارة بمقدار النصف (١٢٢) .

وإذا كان الموظفون المدنيون قد لجأوا إلى الرشوة وذلك لمحاولة تعويض النقص في مرتباتهم . فقد لجأ العسكريون إلى تعويض ذلك بالقوة ونتج عن ذلك ما يسمى « الطلبة » وهي

الضرائب الاضافية التي فرضوها على القرى مما نتج عنها أضرار كثيرة وخراب البلاد وهروب الفلاحين منها(١٢٣) .

كذلك ساعد على هذه الفتنة التدهور العام في المركز السياسى للدولة العثمانية الذى بدأ خلال العقد الأخير من القرن السادس عشر . فقد انعكس هذا الأمر على مجرى الأحداث في مصر(١٢٤) .

كذلك ارتبطت بتلك الفتنة بداية دخول العناصر الاسلامية الوافدة والعناصر العربية الى الأوجاقات العسكرية ، وصوب الجند جم غضبهم في أثناء هذه الفتنة على اولاد العرب . ومنعهم من دخول الأوجاقات وكذلك من التزوى بزي الأروام وقتلوا العديد منهم(١٢٥) .

كانت هذه هى الأسباب التى أدت الى فتنة الجند في عهد « أويس باشا » (٣١ مايو ١٥٨٦ - ابريل ١٥٩١ م) ففى ٢ شوال ٩٩٧ هـ - ١٥٨٨ م دخلوا الى الديوان وتعدوا عليه ودخلوا حريمه وسرقوا بعض أمتعته وقتلوا ثلاثة من اتباعه . كما تعدوا على منزل قاضى العسكر(١٢٦) .

وفى يوم الأحد ٨ شوال طلب الجند قاضى العسكر « الملا أحمد الأنصارى » وكبار الشخصيات للاجتماع بهم . فأرسل « أويس باشا » الى قاضى العسكر بيورلديا أن يفعل للجند المذكورين جميع ما طلبوه حتى يعودوا للهدوء ويخلص ابنه الذى أخذه وهينة معهم(١٢٧) .

وبذلك نجد أن القضاة لعبوا دورا بالغ الأهمية في هذه الفترة فيدل سياق الأحداث أن القضاة كانوا بمثابة عمد وقادة هذه الفترة العصيبة يظهر ذلك من خلال طلب « أويس باشا » من

قاضى القضاة تقديم التنازلات التى يطلبها المتمردون ، فى نفس الوقت الذى عجز فيه الأمراء عن اخضاعهم أو التعامل معهم سواء عسكريا أو بالوساطة السياسية ، وربما يكون مرد ذلك الى المكانة السياسية والدينية التى يتمتع بها قاضى العسكر ، ونظرتهم اليه باعتباره الرجل الثانى فى التنظيم السياسى والادارى فى مصر .

ولم يستطع « أحمد حافظ باشا الخادم » والى مصر (١٥٩٠ - ١٥٩١ م) أن يوقفهم عند حدهم كذلك فان « قورد باشا » (١٥٩٥ - ١٥٩٦) لم ينجح فى الحد من طغيان الحامية العسكرية وتمرداتها (١٢٨) .

وفى عهد « محمد باشا الشريف » (٣٠ مايو ١٥٩٦ - يولية ١٥٩٨ م) هجم الجند عليه ومن معه وهو فى نزهة وفرقوا عنه من معه من جند وطلبوا منه الاحتكام الى الشرع الشريف أمام قاضى العسكر ولكنه فر منهم الى القلعة (١٢٩) . أما فى عهد « خضر باشا » (٢١ يولية ١٥٩٨ م - يولية ١٦٠١ م) فقد زاد تمرد الجند عليه عندما عمل على تنظيم القمع الذى تمنحه الدولة للعلماء بعد أن فسد نظام توزيعه . فأجبر الجند المتمردون قاضى العسكر على الذهاب معهم الى الديوان لتعظيم مطالبهم بل تحقيقها (١٣٠) .

وقد بلغ عنف العسكر منتهاه فى عهد « ابراهيم باشا » المقتول (١٤ مايو ١٦٠٤ م - ٨ سبتمبر ١٠٦٤ م) فعندما خرج فى وفاء النيل لقطع جسر أبى المنجا اعترضوه وأحاطوا به فقطعوا رأسه وعلقوها على باب زويلة . وكان ذلك منتهى التجبر منهم لأنها المرة الاولى التى يقتل فيها ممثل السلطان (١٣١) .

وبعد مقتل « ابراهيم باشا » نتج فراغ سياسى فى البلاد ناتج عن مقتل الباشا وهو الحاكم الشرعى المعين على البلاد . فولى العسكر المتمردون ، قاضى العسكر « مصطفى أفندى عزمى » قائمقام على البلاد . ويظهر من ذلك مدى المكانة السياسية التى كان يتمتع بها قاضى العسكر وكذلك فهى نوع من اسباغ الشرعية بتولية قاضى العسكر وعدم اختيار أحد من قادتهم لهذا المنصب . وقبل قاضى العسكر هذا المنصب حفظا للبلاد من الفتن وبوصفه ممثل السلطان بعد مقتل الباشا واستمر قاضى العسكر يحكم البلاد لمدة شهرين حتى وصل الباشا الجديد من جانب السلطنة .

واستمرت هذه الفتنة حتى قدوم « محمد باشا » قول قران (محطم العبيد) (١٤ يونية ١٦٠٧ م - ١٢ يونية ١٦١١ م) الذى نجح فى القضاء على الفتنة فى موقعة الخانقاه ١٦٠٩ م وقد هزم المتمردين وقتل العديد من أفرادهم ووجد بينهم جماعة من غير العسكر ولا يتقاضون أى علوفة وقد اندسوا بينهم لاثارة الشعب وللغائدة الشخصية (١٣٢) .

وبعد الانتصار الذى حققه الباشا على المتمردين وانتهاء تمردهم تدخل قاضى العسكر لحماية من بقى منهم على قيد الحياة وعدم قتلهم ، وافيههم الى اليمن وقبل الباشا هذه المشورة من قاضى العسكر ونفى من بقى منهم الى اليمن (١٣٣) .

وقد ترتبت على هذه الفتنة امور خطيرة نتجت عنها لعل أهمها بروز دور الصناجق المماليك وذلك بعد استعانة الباشا بهم فى القضاء على هذا التمرد واحلالهم محل القوة العسكرية العثمانية لملاء الفراغ الناتج عن انسحاب القوة العسكرية العثمانية وبذلك فقد بدأ التحالف بين الباشوات والصناجق الذى ما لبث أن تحول الى صراع بين الاثنين على الاستئثار بالسلطة فى البلاد .

من ذلك يتضح الآتى :

— لعب قضاة العسكر دورا بالغ الأهمية فى القضاء على هذه الفتنة ، فقد كانوا الفئة الوحيدة المهيأة للتعامل مع هؤلاء المتمردين بحكم ما لهم من مكانة سياسية ودينية ، ونظرة المتمردين لهم على أن قاضى العسكر الرجل الثانى فى التنظيم السياسى والادارى فى مصر .

— بعد مقتل « ابراهيم باشا » المقتول تولى قاضى العسكر قائمقام لمدة شهرين لحفظ البلاد من الفتن وللحفاظ على السلطة الشرعية فى البلاد متمثلة فيه بوصفه ممثل السلطان العثمانى بعد مقتل الباشا .

موقف القضاة من مقتل افرنج احمد :

بعد القضاء على قوة المماليك (الفقارية والقاسمية) فى عام ١٦٦٢ م عن طريق ضربهم ببعضهم (١٣٤) ظهرت البيوت العسكر التى تكونت حول بعض القادة العسكريين وكان ولاء اتباعهم موجها للأشخاصهم . وبدأ هؤلاء القادة فى التدخل فى الأمور السياسية فى البلاد . ففى بداية القرن الثامن عشر بدأت هذه البيوت تتحالف مع الفرق المملوكية القديمة الفقارية والقاسمية مما أعادهم مرة أخرى الى الحياة السياسية .

وتعود جذور التنافس الذى ادى فى النهاية الى ذلك الصدام الدموى بين العزبان والانكشارية الى (الحقد الطبيعى) الذى تكون لدى أقوى طائفتين عسكريتين ، كائنا تتصارعان على امتلاك السلطة وبالتالى على المكاسب التى يمكن أن يجنيها من يمتلكها وأدت القوة المادية والاقتصادية للانكشارية الى اثاره الفئات العسكرية الأخرى الأقل حظا بكثير (١٣٥) .

وحدثت تطورات داخل أوجاق الانكشارية في خلال الفترة (١٦٩٧ م - ١٧٠٧ م) تمخض عنها ظهور شخصية منفذة جديدة « افرنج أحمد » باشى أودة (١٣٦) باشى ، ليتسلط على هذا الأوجاق خاصة بعد وفاة مصطفى كتنخدا (١٣٧) القازدغلى وامتدت دائرة الخلاف الى بقية الأوجاقات الأخرى ، فقد طالبت أوجاقات السباهية الثلاثة بالحقاق « افرنج أحمد » وزميله فى صفوفها وساندتها فى ذلك أوجاقات عزبان ، والمتفرقة والجاويشية ، وبذلك صارت الأوجاقات الستة فى جانب ، وأوجاق الانكشارية فى جانب آخر (١٣٨) .

وبدأت مقدمات هذه فى عام ١٧٠٧ م وانفجر الموقف فى عام ١٧١١ م فقد كان احتدام النزاع بين أوجاق الانكشارية والعزبان . وارتبط بهذه المعارك الداخلية فى صفوف الانكشارية خلافات أخرى بين البكوات الفقارية والقاسمية كان من نتائجها الاخلال بالتوازن بين القاسميين والفقاريين ، ذلك التوازن الذى كان دعامة السلام المدنى فى القاهرة (١٣٩) .

ولقد اتسمت هذه الفتنة باشتراك كل طبقات السكان فيها بمن فيهم العلماء والبدو وكان الفريقان كالآتى :

(١) الفريق « القاسمى - العزبان » :

ويضم زعماء القاسمية (ايواظ بك أمير الحج ، وابراهيم بك أبو شنب ، قانصوه بك ، الفقارية المنشقين) قيطاس بك الدفتردار وتابعه محمد بك الصغير ، عثمان بك يارم ديله - رجال أوجاقات السباهية الثلاثة - الكوملية - الجراكسة - التوفكجية - المتفرقة - الجاويشية ، والانكشارية المنشقين - عزبان السلطنة والهنادى) .

« ب » فريق الفرنج أحمد « مسبب الفتنة » :

ويضم زعماء الفقارية (أيوب بك ، محمد بك حاكم جرجا ، اغوات السباهية ، أغا المتفرقة ، كتحدا الجاوشية - مؤيدي افرنج أحمد من الانكشارية ، الباشا العثماني ، قاضي العسكر عربان الهوارة - عربان أولاد حبيب) (١٤٠) .

ومما يلاحظ أن موقف قاضي العسكر كان مشاركا في أحداث هذه الفتنة كعضو في النزاع وظل محتجزا في القلعة مع الباشا وفريق افرنج أحمد مدة القتال ، التي استمرت أكثر من شهرين كان كل فريق يستصدر الفتاوى التي يريدونها من العلماء المؤيدين له .

غير أن الموقف الذي اتخذه الفريق القاسمي - عربان المناوىء للباشا وافرنج أحمد كان غير متوقع وشديد الصعوبة فقد عزلوا الباشا وعينوا قائمقام ، كما عزلوا قاضي العسكر (١٤١) وعينوا قاضيا آخر ليحل محله ، وكان ذلك هو السابقة الأولى من نوعها ، بل الوحيدة التي تمدنا بها المصادر الخاصة بهذه الفترة . وربما كان ذلك عقابا لقاضي العسكر على معاونته للفريق المهزوم . غير أننا كذلك لا نعرف رد فعل السلطان من عزل القاضي . فان كانت عادة المماليك قد أصبحت عزل الباشوات وتعود الباب العالي على ذلك ، فانها المرة الأولى في عزل القاضي .

ولا ندرى السبب الذي جعل قاضي العسكر يشارك فعليا في أحداث الفتنة ، مما جعله يفقد القدرة على المصالحة بين الطرفين كما حدث من قبل في فتنة السباهية . وربما يكون قاضي العسكر قد احتجز مجبرا في القلعة من جانب فريق افرنج أحمد والباشا ، وذلك حتى يمكن الاستفادة القصوى من مكانته في ترجيح كفة هذا الفريق .

هوامش الفصل الثالث

- (١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١ ق ٦٧٧ ص ٧٤ .
- سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ٤٢ ص ١٣ .
- (٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ١٢٣ ق ٩٧ ص ١٧ .
- سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٦٧٠ ص ١٠٨ ، س ١٢ ق ٤٤٢ ص ٦٥ .
- (٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ٧٤ ص ١٤ .
- سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٥٤٥ ص ٨٦ .
- (٤) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٤٥٨ ص ٦٣ ،
س ١٦١ ق ١٩ ، س ٥٧ ق ٧ ، س ٣ ق ١٥٦ ص ١٤ ، س ١٥ ق ٤٧ ص ١١ ، س ٥ ق ١٥٥ ص ١١ ، س ٥ ق ٥١٥ ص ٨١ ، س ٣٥٧ ق ٥٢ ،
س ٩ ق ٤٨٦ ص ٦٧ ، س ٧ ق ٧٥٣ ص ١١٤ ، س ١٢ ق ٥٣٥ ص ٧٩ .
- سجلات الباب العالي . س ٨٦ ق ١٥١ ص ٢٥ ، س ١٥٦ ق ١٠٠ ص ١٠٠ .
- (٥) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٣٠٨ ص ٢٨ .
- أحمد شلبي : مصدر سابق ، ص ٣١٠ .
- (٦) الشهر العقاري ، سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ٩١ ص ٢٠ ،
س ٥ ح ٥٧٧ ص ٩١ ، س ٧ ق ٧٧ ص ١١٨ ، س ٢٠٣ ق ٤١ ، س ٩ ق ٤٤١ ص ٦٠ ، س ١٠٣ ق ١٢ ، س ١ ق ٦٨٦ ص ١٤ ، س ٤ ق ٦٢٦ ص ٥٨ ،
س ١٨ ق ٢٢٣ ص ٣١ . سجلات الباب العالي س ٨٦ ق ٣٢٤ ص ٤٩ ،
س ١٧٣ ق ٣٧ ص ١١٢ ، س ٦٣ ق ١٢٦ ص ٢٦ .
- (٧) الدمري : مصدر سابق ، ص ٧٨ .

- (٨) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى س ٨٦ ق ٤٤٤ ص ٨٢ ،
س ٦٥ ق ٧٧١ ص ٢٠٩ ، س ٦٣ ق ٣٧٢ ص ٧٦ .
- (٩) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٣ ص ١ .
- (١٠) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ٤٨١ ص ٤٤ ،
س ٣ ق ٤٥١ ص ٢٨ .
- سجلات الباب العالى : س ٥٤ ق ٧٠٧ ص ١٦١ .
- (١١) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٢٢٩ ص ٣٩ ،
س ٥ ق ٤٣٠ ص ٦٦ ، ق ٢٢٣ ص ٤٧ ، س ١٨ ق ٥٣٥ ص ٨٣ ، س ٣
ق ٣٢٣ ص ٤٧ ، س ١٥ ق ١١٢ ص ٢٥ ، س ١٥ ق ١٢٥ ص ٢٨ .
- (١٢) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٥١ ق ٥٣٥
ص ١٢٦ ، س ١٢٣ ق ١٦٧ ص ١٦٠ .
- سجلات تقارير النظر . س ١ ق ٥٨٧ ص ٦٤ .
- (١٣) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٥٧٣ ص ٩١ ،
س ٤ ق ٨٥٣ ص ٧٦ ، س ١ ق ٨٤٣ ص ٩٠ ، س ١٧٣ ق ٢٩٦ ص ١٠٦ ،
س ٦٣ ق ١٣٢٣ ص ٣٠٨ ، س ٧٠ ق ٣٤٨ ص ٨١ .
- (١٤) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ١٥٩ ص ٣٤ ،
س ١ ق ٣٠٣ ص ٣٤ .
- سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ٨٦٣ ص ١٨٤ ، س ٧٠ ق ١٠٣٨
ص ٢٧٥ ، س ١٧٣ ق ٤٢ ص ٣٨٠ .
- (١٥) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٦٥ ق ١١٢٦
ص ٣٢٢ .
- (١٦) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٦٥ ق ٩١ ص ٥ ،
س ٨٤ ق ١٥٨٠ ص ٣٢٨ .
- (١٧) د/ صلاح أحمد هريدى على : التعليم في مصر في القرن الثامن عشر
دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٧٨ .
- (١٨) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٢٣ ق ٢٧٤ ص ٢٨ ،
س ١٧٣ ق ٢٩٥ ص ١٠٦ .
- (١٩) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٥٧ ق ٧٢٤
ص ٢٠٦ .

- (٢٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٨٦ ق ١٧٣ ص ٢٨ ،
س ٩٤ ق ١٩٤ ص ٤١ .
- (٢١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٧ ق ٣٧٨ ص ٦٣ ،
ق ٢١٠ ص ٤٢ .
- (٢٢) حارة : يتصد بها الطرقات التي بين الأورقة والمخصصة للمرور .
- (٢٣) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٤ ص ٦ ،
س ١٢ ق ١٥١١ ، س ١٨ ق ٤١١ ص ٦٢ ، س ٣ ق ٦١٩ ص ٥٧ ، س ٧
ق ٦١٠ ص ٩٥ ، س ٥ ق ٣١٣ ص ٤٥ ، س ٧ ق ٧١٧ ص ١٠٩ ، س ٩
ق ٣٥٧ ص ٤٩ .
- سجلات الباب العالي . س ٩٤ ق ٩١ ص ١٨ ، س ١٥٧ مكرر
ق ١٣٧ ص ٤١ ، س ١٢٣ ق ٢٤٥ ص ٤٨٠ .
- (٢٤) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ١٢ ق ٣٧٠ ص ١٤ ،
س ٩ ق ٣٨٧ ص ٧٢ .
- سجلات الباب العالي . س ٧٠ ق ١١٣١ ص ٢٩٤ ، س ٦٣ ق ٣٦٤
ص ٧٥ ، س ٣١٦ ص ٦٦ .
- (٢٥) الجبرتي : مصلو سابق ، ج ٢ ص ٢٣٢ .
- (٢٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٢٣
ص ٤ .
- (٢٧) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٤٩٦ ص ٧٠ .
— سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٩٧٦ ص ٢٢٥ ، ق ٦٧٩ ص ١٤١ .
- (٢٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٤ ق ١٤٥
ص ٣٩ .
- (٢٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١٤ ص ٢٢ .
- (٣٠) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٣٧٩
ص ٧٧ انظر ملحق رقم ٤ .
- (٣١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ١٥٥٦
ص ٣٧١ .
- (٣٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ١٥٣ ق ٤٩٨
ص ١٧٥ .

- (٣٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية . س ٧٠٣ ق ٢٢٩
 ص ٢٤١ .
- (٣٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية . س ٧٠٣ ق ١
 ص ١ .
- (٣٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة البرمسية . س ٧٠٣ ق ٢
 ص ١ ، س ٧٠٣ ق ٩٣٥ ص ٢٤٢ ، ق ٩٢٨ ص ٢٤١ .
- (٣٦) أحمد شلبي عبد الفنى : مصدر سابق ، ص ١٤١ .
- (٣٧) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ٢٧٩ ص ٢٧ ،
 س ٣ ق ٤٣ ص ٤ ، ق ١٢٣ ص ١١ ، س ٩ ق ٤٦٩ ص ٦٤ ، س ٥ ق ١٥٥
 ص ٢١ .
- سجلات محكمة الباب العالى . س ٧١ ق ١٢٥٠ ص ٣١٤ .
- (٣٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ١٩٢٢
 ص ٦٤٣ ، س ٧٠ ق ١٢٣٩ ص ٣١٣ .
- سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٢٦ ص ٣ .
- (٣٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ١٢٥
 ص ٣٤ .
- (٤٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ٤٠٧
 ص ٨١ .
- (٤١) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ١٠٨٧
 ص ٩٦ .
- (٤٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالى . س ٥٤ ق ٣٤ ص ٩ .
- (٤٣) قانون ثامة مصر المادة ٣١ ص ٦٩ .
- (٤٤) كانت الجسور آنذاك نوعين : جسور سلطانية أى أن جرفها
 واتقانها ، وحمايتها كانت منوطة بالحكومة ، وأن كل ما تتكلفه على جهة
 الخزانة العامة ، وجسور بلدية يكون جرفها واتقانها وحمايتها على أهل القرية
 أو القرى الواقعة هذه الجسور في زمامها ، وكل ما تتكلفه يكون على الملتزم
 أو الملتزمين بهذه القرى ، وأن ثبت أن الملتزمين أصبحوا يكلفون أهل القرى
 بكل هذه الامباء ، كما أصبحت تنص على ذلك عقود الإيجار وحجج الاستقطاعات .
 انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن . مرجع سابق ، ص ٣٧ .

- (٤٤٥) دار الوثائق : الأحباس والجينور السلطانية بإقليم القريفة والمنوفية عام ١٠٩٠ هـ رقم ١٢٥٦ ص ١٧٢ انظر ملحق رقم ٣ .
- (٤٦) الخولى : الأصل فى عمل الخولى هو الاشراف على زراعة أراضي الوسيية ولكن نظرا لأن الاموال الأميرية كانت لا تجنى إلا على الأرض المروية التى تتى زراعتها فعلا أصبحت عمليات المسح هذه تتم بمرور الزمن على يد الخولى فأصبح لكل ناحية خولتها وكان الخولى ملوما بمعرفة حدود القرية .
- انظر د/ مبد الرحيم عبد الرحمن مرقع يابى ص ٤٦ .
- (٤٧) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ص ١٨٣ .
- (٤٨) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ١٤١ ص ٨٧ .
- (٤٩) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ٣٩ ص ٣٨ .
- (٥٠) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٤١٩ ص ٢٣٠ .
- (٥١) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ١٦ ص ٥٦ .
- س ٢٧ ق ٢٤٦ ص ١٣١ .
- (٥٢) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٨ ق ٢٥ ص ١٥٠ .
- (٥٣) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ٢٢ ص ١٥٩ .
- (٥٤) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٥ ق ٢٣٤ ص ١١٣ .
- (٥٥) دار الوثائق : دفتر الجسور . رقم ١٣٥٦ ق ٣٠٥ ص ١٦٤ .
- (٥٦) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٥ ح ١٥٤ ص ٥٤ .
- (٥٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٩ ق ٢٤٤ ص ١٢٩ .
- (٥٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥١ ق ٣٨٠ ص ١٠٩ ، ق ٣٨١ ص ١٠٩ ، س ٣٠ ق ٢٤٨ ص ١٢٠ ، ق ٢٨٣ ص ١٣٢ ، س ٢٨٤ ق ١٤٩ ص ٧١ .
- (٥٩) الكشوفية : هى الضريبة المخصصة لسد نفقات الادارة المحلية فى الاقاليم مثل مرتب الكاشف ، وترميم الجسور ، وشق الترع ، وممرات المسكر المحليين ، وهذه الضريبة لم تسجل فى دفاتر الالتزام فى السنوات الاولى من تطبيق النظام ، ولكن بدأت تظهر فى الدفاتر ابتداء من ١٠٧٩ هـ ١٦٦٨ م واتضح من تتبع دفاتر الالتزام أن بعض القرى معفاة من الكشوفية واتضح كذلك من دفاتر الالتزام أن بعض القرى كانت تدفع نوعين من الكشوفية كشوفية قديمة وكشوفية جديدة . وتفسر ذلك أنها كانت تدفع ضريبة الكشوفية التى كانت عليها ورأت الادارة أن تزيد ضريبة جديدة . انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

- (٦٠) قانون ثامة المادة ٢٧ من ٥٩ .
- (٦١) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٨ ق ١٤ ص ١٢ ،
ق ١٨٣ ص ١٤٣ ، ق ١٨٢ ص ١٤٤ ، س ٤٥ ق ١٣٣ ص ٥٧ ، س ٢٧٩ ق ٤٧٤
ص ٥٧ ، س ٢٧٩ ق ٤٧٤ ص ٣٧٣ ، س ٢٧٧ ق ٢٧١ ص ٢١٢ .
- (٦٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٤٥ ص ١٤٧ .
- (٦٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٤٥ ص ١٦ .
- (٦٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٩ ق ٤٤٠ ص ٣٤٢ .
- (٦٥) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٨٩ .
- (٦٦) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢ ص ٨١ .
- (٦٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٢ ق ٦٨ ص ٥٠ ،
س ١٥١ ق ١٢٩ ص ١١٣ ، س ٦٢ ق ٧٦ ص ٥٣ ، س ١٥٠ ق ٦٣ ص ١٠٩ .
- دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٠ ق ٢٦٨ ،
ص ٢٩١ ، س ٢٦٦ .
- (٦٨) تروجية : ضابط بحري فرنسي كان مبعوث المارشال دي كاستري
ولبر البحرية الفرنسية وشوازيل جوقيه سفير فرنسا لدى السلطان العثماني
لعقد معاهدة تجارية مع الممالك بقيادة ابراهيم بك ومراد بك . ووقعت المعاهدة
في ١٧٨٥ م . انظر/ عبد الوهاب بكر . مرجع سابق ص ٩٠ .
- (٦٩) د/ عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني
من القرن الثامن عشر — دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ — حيث وردت المعاهدة
كملاحق ص ٢١٩ .
- (٧٠) التجيبي : وهو الحاكم على البارودية وعليه القيام بتحصيل بارود
السلطنة المقررة على بلاد معلومة لاجل حفظ القلاع . وله عوائد على طرف الميرى
مرتبة من اصل المصاريف الميرية . انظر حسين أفندي الرونامجي . مصر
سابق ص ١٨ .
- (٧١) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥١ ق ٤٣ ص ٣٩ ،
س ٦٢ ق ٦٩ ص ٥٠ ، س ٥٦ ق ٣٥ ص ٢١ ، س ٢٧٧ ق ٢٦ ص ١٢ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ٣٧ ق ١٤٤ ص ٩٧ .
- (٧٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦٥ ق ٨٨ ص ٥٩ ،
س ٣٩ ق ١١٣ ص ٥٩ ، س ٢٨ ق ٣٢ ص ١٩ .

- (٧٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٤ ق ٢٨٣ ص ١٣٧ .
- (٧٥) دار الوثائق : محكمة دمياط . س ٥٩ ق ٢٨٦ ص ١٥٤ ، س ٦٤ ق ٤٣٣ ص ٢٢٦ ، س ٦٢ ق ٧٠ ص ٥٠ .
- (٧٦) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٤٥ ق ٣٤ ص ١٤ ، ق ٣٣٩ ص ١٣٤ .
- (٧٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٩ ق ٩٢ ص ٤٨ .
- (٧٨) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٩٥ ص ٢٧ .
- سجلات محكمة دمياط . س ١٥٥ ق ٢٢ ص ٣٠ .
- (٧٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٠ ق ١٨ ص ١٠ .
- (٨٠) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة برفع الطلبة . تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٣ لعام ١٩٧٦ م ص ٣٤٧ .
- (٨١) دار المحفوظات : سجلات محكمة الاسكندرية . س ١٢٠ ص ٦٢ و ص ١٠ ، س ١٣ ص ١٣ ، س ١٢ ص ٧٩ .
- (٨٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٠ ق ١٨ ص ١٠ م
- (٨٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٤٨ ص ١٤٩ .
- (٨٤) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٢١ ص ١١ .
- (٨٥) حسين افندي الروزنامجي : مصدر سابق ص ١٦ .
- (٨٦) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٣٠ ق ٢٨١ ص ١٢١ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ١٦ ق ١١٤ ص ٦٩ ، س ٣٥ ق ١٩٢ ص ١٤٠ ، س ٣٧ ق ٩١ ص ٥٩ ، س ١ ق ٢١٩ ص ٢٤٨ .
- (٨٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ١٣٤ ص ٦٢ ، و ٢٩ ق ٤ ص ٢ .
- سجلات محكمة دمياط . س ١٥٥ ق ٣١ ص ٣٧ .
- (٨٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٣٠ ق ١٩٥ ص ٩٣ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٤٣٣ ص ٢٤٠ .
- (٨٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٧ ق ٥ ص ٥ .
- (٩٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٥٦ ق ٢٠ ص ١١ ، س ٥٩ ق ٦٢ ص ٣٢ ، س ٥١ ق ١٩٩ ص ٧٦ .
- (٩١) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ١٠٥ ص ٤٦ .

- (٩٢) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٨٥٥ ص ١٩٠ ،
(٩٣) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥٠ ق ٤٠ ص ٣٩ ،
س ١٦٠ ق ٢٠٣ ص ١٥٨ .
- سجلات محكمة البحيرة . س ٢٩ ق ٤٨ ص ٢٢ .
(٩٤) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ١٦ ق ٥٦ ص ٣٣ .
(٩٥) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٧٢ ص ٣٣ .
- سجلات محكمة دمياط . س ٥١ ق ٢٠٩ ص ٧٩ .
(٩٦) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ١٣٠ ص ٦٤ .
(٩٧) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٣٣ ق ٢٧ ص ١٢ .
(٩٨) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٩ ق ١١ ص ٦ ،
ق ٥٤ ص ١٩ ، س ٣٠ ق ١٣٨ ص ٦٨ ق ٢٧١ ص ١٣١ ، س ٥١ ق ٣٠٨
ص ١١٩ ، س ١٦٥ ق ٣٢ ص ٤٥ .
(١٠٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ١٥٦ ق ٣١٣ ص ٧٣ .
(١٠١) د/ أحمد فؤاد متولى : الفتح العثماني لمصر والشام . دار
النهضة . القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٣ .
(١٠٢) جامكية : من الفارسية (جامه) بمعنى اللباس ومعناها اللفوى
كما يرى دوزى ، هو مصروفات دولاب الملابس - والجامكية في الاصطلاح الجراية
الشهرية فهي من ناحية اجر ومن ناحية منحة . انظر د/ أحمد السعيد
سليمان - مرجع سابق ص ٥٩ .
(١٠٣) ابن اياس : مصدر سابق ج ٥ ص ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ .
(١٠٤) د/ عبد الكريم رائق : مرجع سابق ص ١٢٧ .
(١٠٥) عزالى يوسف محمد : الاوجافات العثمانية مرجع سابق
ص ٧٥ .

- (١٠٦) د/ عبد الكريم رائق : مرجع سابق ص ١٢٩ .
(١٠٧) د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق ص ١٤ .

P.M. Hoyt, the beylicate in attoman Egypt
during the seventeenth century Bulletins of school, of, oriental
and African. Studies, P. 218.

(١٠٨) الوالى : ينبغي الا نخلط في الفهم بين الوالى والباشا فهنا
يقصد بها الباشا الحاكيم العثماني على مصر . اما كلمة الوالى فقد اطلقت

٢٣٥

(م ١٥ - تاريخ القضاء)

على الموظف المسئول من الأمر في القاهرة والذي تركت سلطته في معاقبة المخالفين بالمرامات أو بعقوبات أشد . وكان يصحبه في جولاته النهارية واليلية عدد من الجنود وكان يسمى أيضا زعيما وبالتركية (صوباشي) . انظر أدريه ريمون - فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية - ترجمة زهير الشايب - مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٧٤ ص ٣٤ .

(١٠٩) الصناجق : صنف اصطلاح مستعمل في الادارة المصرية في العصر العثماني يدل على رتبة بك . والصنجا بك في الاستخدام المصري كان أساسا متفلا لرتبه وليس متفلا لوظيفة أو عمل محدد . ولم تكن هذه الوظيفة مقصورة على الماليك فقد شاركهم فيها الأتراك . انظر P.M. Holt, beylicate. P. 219. وانظر د/ عبد الكريم رافق ، مرجع سابق ص ١٧٤ .

- (١١١) د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق ص ١٦ .
P.M. Holt. Op. Cit., P. 219. (١١٢)
P.M. Holt. Op. Cit., P. 218. (١١٣)

ومن الشخصيات الملوكية المحكمة انظر لنفس المؤلف مقالة
The career of KUCUK Muhammad. 1676. 1694, P.S.O.A.S. XXVI.
1963.

- وايضا انظر د/ عبد الوهاب بكر . مرجع سابق ص ٢٣ .
(١١٤) عراقى يوسف محمد : الاوجاقات مرجع سابق ص ٢٤١ .
(١١٥) ابن ابياس : مصدر سابق ج ٥ ص ١٥٩ .
(١١٦) نفسه ونفس الجزء ص ١٦٦ .
(١١٧) أحمد شلبي : مصدر سابق ص ١٤٣ .
(١١٨) محمد بن ابي السرور البكري : النزهة مصدر سابق . ورقة ٥٧ .
(١١٩) الجبرتي : مصدر سابق . ج ١ ص ١٩٤ .
(١٢٠) أحمد شلبي : مصدر سابق . ص ٢٦٨ .
(١٢١) درج المؤرخون على استخدام لفظ « الثورة » عند حديثهم على فتنة السباهية ولكن المصطلح العلمى الدقيق للثورة لا ينطبق على هذه الحالة التى يصح أن نطلق عليها « تمرد » أو « فتنة » وذلك لانعدام التأييد الشعبى الذى يعد أهم ركائز الثورة .

- (١٢٢) د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٤٤ ،
 - د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٤ .
 د/ عبد الرحيم عبد الرحمن : مرجع سابق . ص ٧٩ .
 (١٢٣) محمد بن أبى السرور البكرى : كشف الكربة . مصدر سابق .
 ص ٣١١ ولنفس المؤلف :
 - النزهة الزهية - مصدر سابق . ورقة ٤٠ .
 - محمد البرلى السعدى الدمياطى : بلوغ الأرب برفع الطلب - تحقيق
 د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - المجلة التاريخية المصرية العدد ٢٤ عام ١٩٧٧ .
 ص ٢٨٧ .
 P.M. Holt. Egypt, and the Fertile, crescent. (١٢٤)
 1516, 1922 London 1966. P. 71.
 (١٢٥) محمد البرلى السعدى : مصدر سابق . ص ٢٨٨ .
 محمد بن أبى السرور البكرى : النزهة الزهية مصدر سابق ورقة ٣٠ .
 ولنفس المؤلف انظر كشف الكربة مصدر سابق ص ٣١٦ .
 - د/ عبد الكريم رافق مرجع سابق ص ٢٤١ .
 (١٢٦) محمد بن أبى السرور البكرى : المنح الرحمانية مصدر سابق .
 ورقة ١٠٨ . ولنفس المؤلف انظر :
 - كشف الكربة مصدر سابق . ص ٣١٥ .
 - النزهة الزهية مصدر سابق . ورقة ٣٠ .
 - احمد شلى عبد الغنى : مصدر سابق . ص ١٢٢ .
 - محمد البرلى السعدى : مصدر سابق . ص ٢٨٧ .
 - عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .
 - عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .
 - محمد بن عبد المعطى الاسحافى : مصدر سابق . ص ١٥٧ .
 (١٢٧) محمد بن أبى السرور البكرى : كشف الكربة . مصدر سابق .
 ص ٣١٧ .
 - عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٤٢ .
 P.M. Holt. Op. Cit., P. 71.

- (١٢٨) محمد بن أبي السرور البكري : كشف الكربة . مصدر سابق . ص ٢٢٣ .
- د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٥ .
- (١٢٩) محمد بن عبد المعطى الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٦١ ، احمد شلبى : مصدر سابق . ص ١٢٥ .
- (١٣٠) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث من الفتح الاسلامى الى الان مطبعة الهلال — النجيلة — القاهرة ١٩١١ م . ط ٢ ج ٢ ص ٢٥ .
- انظر كذلك محمد البراسى السعدى : مصدر سابق . ص ٢٩٣ .
- محمد بن أبي السرور البكري : النزهة مصدر سابق . ورقة ٣٤ .
- (١٣١) الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٦٧ .
- محمد البرلسى : مصدر سابق . ص ٢٩٦ .
- احمد شلبى عبد الفنى : مصدر سابق . ص ١٢٩ .
- محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر سابق ورقة ١٣٦ . P.M. Holt. Op. Cit., 73
- (١٣٢) محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر سابق — ورقة ١٤١ .
- ولنفس المؤلف كشف الكربة — مصدر سابق . ص ٢٢٣ .
- محمد البرلسى السعدى — مصدر سابق . ص ٣٣٢ .
- احمد شلبى عبد الفنى : مصدر سابق . ص ١٣٢ .
- د/ عبد الكريم رافق : مرجع سابق . ص ٢٥١ .
- د/ عبد الوهاب بكر : مرجع سابق . ص ١٦ .
- جورجى زيدان : مرجع سابق . ص ٢٨ .
- P.M. Holt. Op. Cit., P. 75.
- (١٣٣) محمد بن أبي السرور البكري : المنح الرحمانية — مصدر سابق — ورقة ١٤٤ ولنفس المؤلف انظر الروضة المأنوسة — مصدر سابق . ص ٢٦ .
- محمد البرلسى السعدى : مصدر سابق . ص ٣٣٣ .
- محمد بن عبد المعطى الاسحاقى : مصدر سابق . ص ١٧١ .
- جورجى زيدان : مرجع سابق . ص ٢٨ .

(١٣٤) إبراهيم بن أبي بكر الصوالحي العوضي : تراجع الصواعق في واقعة الصناجق تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . القاهرة ١٩٨٤ . ص ٩٨ وما بعدها .

(١٣٥) أندريه ريمون : فصول . مرجع سابق . ص ٢٢٥ .

(١٣٦) باش أودة باش : كان الأوجاق يتكون من عدد البكرات تضم جماعات من المسكر . ويحتوي البلوك على عدد من الأضات (أودة . الوضة) حيث يتجمع عدد من العسكريين في إطار واحد ويرأس كل أوضة رئيس يعرف باسم أودة باشي . ويرأس كل مجموعة من هؤلاء باشي أودة باشي - انظر عراقى يوسف محمد الأوجاقات مرجع سابق . ص ٩٢ .

(١٣٧) كنتخدا .. بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء : وهى كلمة فارسية الاصل تعنى في الاصل رب البيت ويطلقها الفرس على السيد الوقر وعلى الملك ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد والامين . انظر د/ محمد السعيد سليما مرجع سابق . ص ١٧٦ .

(١٣٨) الشيخ على بن محمد الشاذلى : الفراء ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة . (القاهرة ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م) تحقيق د/ عبد القادر طلبات - المجلة التاريخية العدد ١٤ عام ١٩٨٦ ص ٣٢٧ انظر أيضا - عبد الرحمن الجبري - مصدر سابق ج ١ ص ٥٠ ، أحمد شلبى - مصدر سابق - ص ٢٣٨ د/ عراقى يوسف محمد - مرجع سابق - ص ١٠٢ ، د/ عبد الكريم رافق - مرجع سابق ص ٢٩١ .

(١٣٩) أندريه ريمون : فصول - مرجع سابق . ص ٢٢٩ .

(١٤٠) أحمد شلبى عبد الغنى : مصدر سابق . ٢٢٨ - الجبري - مصدر سابق . ج ١ ص ٤٨ .

- على بن محمد الشاذلى الفراء : مصدر سابق . ص ٣٥٨ .

(١٤١) أحمد اللمرداس كنتخدا عربات : الدرة المصانة في أخبار الكنانة تحقيق د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - المعهد الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ص ١٠١ .



الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة

أولاً - الحياة الاجتماعية للقضاة :

- (أ) الأصول الاجتماعية للقضاة .
- (ب) العلاقات الاجتماعية للقضاة بالطبقة الحاكمة .
- (ج) العلاقات الاجتماعية للقضاة بالشعب المصري .
- (د) تعليم القضاة والتأهيل الأدبي .

الحياة الاجتماعية للقضاة

تمهيد :

كان المجتمع المصرى فى العصر العثمانى يتكون من فئات لكل فئة منه سماتها تميزها عن الفئات الأخرى فى الملابس والعادات بل مركوبها الخاص بها الذى لا تشاركها فيه فئة أخرى . ومع هذا ينبغى ألا نفهم من هذا أن كل فئة عاشت بمعزل عن الفئات الأخرى . فقد كان هناك العديد من أشكال العلاقات المتشابكة بينها .

وبصفة عامة فقد انقسم المجتمع المصرى فى هذه الأثناء الى طبقتين أساسيتين هما :

(١) الطبقة الحاكمة وهى تتكون من رجال الادارة والحكم من العثمانيين والماليك .

(ب) الطبقة المحكومة وهى تتكون من الشعب المصرى .

ومما يجدر ذكره أن الشعب المصرى الذى كون الطبقة المحكومة كان ينقسم الى عدة فئات تدرجت تدريجا اجتماعيا من حيث المكانة والأهمية فهى بمثابة عدة فئات داخل الطبقة الواحدة . ووجد على قمة السلم الاجتماعى لهذه الطبقة العلماء بما يمثلونه من أهمية دينية واقتصادية يليها التجار والحرفيون من أبناء الشعب ،

ويندرج في هذه الطبقة أهل الذمة الذين شكلوا جزءا مهما من النسيج الاجتماعي للشعب المصري .

وقد تعددت العلاقات بين القضاة وهذه الفئات المختلفة فمن المعروف أن قاضي العسكر كان يمثل القوة الموازية للباشا العثماني في مصر وعلى ذلك تمتع بمكانة كبرى بين فئات الشعب المصري وخاصة فئة العلماء التي تميزت بخصوصية معينة - كما سنرى - في نفس الوقت كان لهم علاقات قوية مع طبقة الحكام بحكم انتمائهم الى نفس الطبقة .

وتمتع القضاة بمكانة كبرى بين الشعب المصري وذلك بحكم نظرتهم اليهم كعلماء دين أفاضل لهم مؤلفاتهم الدينية والأدبية ، ولهم دروسهم التي يعقدونها في المساجد المختلفة في أمور الدين . كما أنهم المدافعون عنهم ضد أي اعتداء يقع عليهم من رجال الإدارة في البلاد .

الأصول الاجتماعية للقضاة :

يذكر كل من تعرض لذكر الأصول الاجتماعية للقضاة بين ثنايا كتابتهم أن قضاة العسكر في مصر منذ فتحها العثماني في عام ١٥١٧ م حتى قدوم الحملة الفرنسية عام ١٧٨٩ م كانوا من بين الأتراك (١) القادمين من استانبول وإن أول قاضي عسكر مصري هو الشيخ أحمد الغريشي في عهد الحملة الفرنسية (٢) .

ولكن بالبحث في المصادر الخاصة بهذه الفترة اتضح أن مناصب القضاء المختلفة وعلى رأسها قاضي العسكر لم تكن حكرا على الأتراك إنما تولاه أيضا علماء من المصريين . وإن قل عددهم ممن تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية في استانبول

واستوفوا الشروط العلمية الواجبة فيمن يتبوأ هذا المنصب ،
ومن هؤلاء الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين أحمد
الخفاجي المصري الذي كان والده أحد علماء الأزهر وتلقى تعليمه
في استانبول • وتولى القضاء ببلاد روم ايلي مثل مدينة اسكوب
وغيرها في زمن السلطان مراد واشتهر بالفضل حتى تولى قضاء
سلانيك وبعدها تولى قضاء عسكر مصر(٣) •

ويحدثنا هو عن تعليمه الذي كان سببا في وصوله الى هذا
المنصب قائلا : « فبعد أن ذكر من اجازه من علماء مصر يقول :
ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين وقرأت تمة على الشيخ
علي بن جاد الله وعلى حفيد القصام وغيره ثم ارتحلت الى
القسطنطينية فشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين واستفدت منهم
وتخرجت عليهم وهي اذ ذاك مشحونة بالفضلاء والأذكياء »(٤) •

وربما كان السبب في قلة تولى المصريين لهذا المنصب الجليل
هو ان الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الفاتح وضعت
شروطا صعبة لتولى هذا المنصب منها أنه لابد أن يمر بمراحل
تعليمية معينة في مدارس استانبول حتى تطمئن الدولة الى المستوى
العلمي لصاحب هذا المنصب الخطير • والمصريون في هذه الفترة
نتيجة لوجود الأزهر بين ظهرائهم وهو الذي تشد اليه رجال
طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، لذا فلم يكن المصريون
مستعدين للرحلة من أجل العلم وعلى هذا فلم يتول هذا المنصب
الا من مر بهذه المراحل التعليمية بمدارس استانبول مثل الشهاب
الخفاجي - المذكور أعلاه - وقد ظلت هذه القيود تقليدا سائدا
حتى في أشد فترات الضعف التي مرت بها الدولة العثمانية •

ووجد من بين المصريين من تولى أعلى المناصب القضائية في
الدولة العثمانية مثل « القاضي أبو السعود بن عبد الرحيم

عبد المحسن بن على المصرى الذى ولد فى مصر وتعلم فيها حتى دخل الروم ولازم فى مدارس السلطان سليمان حتى تولى قضاء القضاة فى الشام ثم قضاء القدس ثم بعد ذلك قضاء بروسة وأدرنة وقسطنطينية وأعطى أخيراً رتبة قضاء العسكر بأناضول « (٥) » ومنهم كذلك « الشيخ أبو بكر أفندى البكرى الصديق الأشعرى الذى تولى قضاء حلب وعدة مدن أخرى » « (٦) » ووجد « محمد بن عمر بن محمد الملقب تقي الدين قاضى القضاة الفارسكورى المصرى نزيل القسطنطينية الذى لازم فى استانبول على قاعدة القضاء ونبغ وتولى القضاء فى أماكن عديدة منها القدس » « (٧) » .

يتضح من هذا أن الدولة العثمانية لم تمنع أحداً من رعاياها المسلمين من الوصول الى أعلى المناصب القضائية فى الدولة العثمانية اذا حصلوا على التعليم الذى يسمح لهم بذلك وتوافرت فيهم الشروط اللازمة لتولى هذه المناصب الرفيعة التى كانت موضع تقدير واحترام الدولة .

وإذا نظرنا الى الأصول الاجتماعية التى خرج منها القضاة نجدهم ينقسمون الى ثلاثة اتجاهات هى :

(أ) قضاة ينتمون الى أصول اجتماعية عثمانية راقية مثل أبناء الأشراف وأبناء العلماء والصدور العظام : من هؤلاء « محمد بن القوجى وكان عالماً بالتفسير والأصول وسائر العلوم الشرعية والعقلية وكان والده من كبار العلماء ببلاد (٨) الروم » « (٩) » وهناك القاضى « محمد بن محمد بن معلول وكان نقيباً للأشراف ثم أصبح شيخاً للإسلام فى الدولة العثمانية فى عام ١٥٨٠ » « (١٠) » :

(ب) أما الاتجاه الثانى فهو يتمثل فى انتماء بعض هؤلاء القضاة الى الأصول العربية وكان معظمهم ينتمى الى بلاد الشام

ويعود ذلك إلى حب الشوام للرحلة وخروجهم إلى استانبول لتلقى تعليمهم بمدارسها وسلوك طريق القضاة وساعدهم على ذلك قرب بلاد الشام من استانبول : من هؤلاء القضاة « أحمد بن عوض العنتابى الأصل الحلبي قاضى القضاة ولد بحلب وقرأ في مبادئ عمره بحلب ثم سافر إلى الروم وأقام بها مدة وسلك طريق الموالي » (١١) .

(ج) أما الاتجاه الثالث في وجود قضاة ينتمون في أصولهم الاجتماعية إلى الرق واعتقوا ولازموا التسليم ونبتوا حتى تولوا المناصب القضائية ووصلوا إلى قضاء العسكر في مصر وهذه العديد من الأمثلة : من هؤلاء « أحمد بن عبد الله قرة أوغلى وكان أبوه من عتقاء السيد إبراهيم الأماسى ودرس ونبغ ولازم طريق الموالي حتى تولى المناصب القضائية المهمة ومنها قضاء عسكر مصر » (١٢) .

كانت هذه الاتجاهات الغالبة على الأصول الاجتماعية لقضاة العسكر في مصر الذين كان معظمهم ينتمون إلى طبقة العلماء والأشراف .

كذلك لم تضع الدولة العثمانية قيودا على تولي القضاة نتيجة لأصولهم الاجتماعية والا لما تولى هذا المنصب من كانت أصوله تنتمي إلى الرق . وعلى هذا فقد كانت الدولة تنظر إلى رعاياها جميعا على أنهم عثمانيون ولا تمنع أحدا من تولي أى منصب إذا توافرت. فيه شروط هذا المنصب .

أما قضاة الشرع في الأقاليم فنجد أنه في معظم فترات القرن السادس عشر كانوا ينتمون إلى الأصول التركية ربما لقلّة العلماء

المصريين الذين تعلموا في استانبول وسلكوا طريق القضاء ، ولكن في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان معظم قضاة الأقاليم من المصريين الذين تلقوا تعليمهم في استانبول ، ثم من علماء الأزهر بعد ذلك حتى أنه عند قدوم الفرنسيين في عام ١٧٨٩ م لم يوجد من الأتراك سوى خمسة قضاة في الأقاليم . وتميز هذان القرنان عموما بقلّة وفود القضاة من استانبول الى مصر .

ووجد العديد من قضاة الأقاليم الذين انتموا الى بلاد الشام والذين تلقوا تعليمهم في استانبول مثل « محب الدين أبو الفضل » الذي ولد في (٩٥١ هـ - ١٥٤٤ م) في حماة وتعلم في استانبول وتولى قضاء فوة بمصر (١٢) وهناك « محمد بن يحيى الحاضري الحلبي الذي تولى القضاء في المنزلة (١٤) » (١٥) .

كما تولى الكثير من الأشراف هذا المنصب في أقاليم مصر فيوجد « السيد الشريف أحمد واعظ زادة قاضي المحكمة الكبرى بالغربية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحروسة » (١٦) ويوجد « السيد أحمد الحنفى نقيب السادة الأشراف بمصر وقاضي الغربية » (١٧) .

يتضح من ذلك عدم قصر منصب القضاة على الأتراك وحدهم إذ تولاه المصريون أيضا ممن تلقوا تعليمهم في استانبول .

وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لتولى المناصب القضائية مثل قضاة العسكر حتى تطمئن الى شاغل هذا المنصب الديني الجليل وحافظت على هذه الشروط حتى في أشد فترات الضعف التي مرت بها الدولة العثمانية فيما بعد .

العلاقات الاجتماعية للقضاة بالطبقة الحاكمة

احتل القضاة مكانة كبرى في مصر إبان العصر العثماني ، وغدا قاضي العسكر من موظفي الإدارة العثمانية في مصر وهو الحاكم الشرعي الموازي في المكانة والقوة للبasha « الحاكم السياسي » لذا فقد كانت هناك العديد من العلاقات التي تربط القضاة بالطبقة الحاكمة في مصر التي تمثلت في :

(أ) الباشا العثماني في مصر .

(ب) كذلك المالك وهم أصحاب مكانة سياسية واجتماعية متميزة .

وتشابكت هذه العلاقات وتداخلت في أحيان كثيرة مكونة علاقة ود وصداقات أدت الى علاقات تصاهر وفي بعض الأحيان كانت هناك علاقة شدة وقمع من قاضي العسكر لكبار الموظفين في حالة خروجهم عن مقتضى وظائفهم وتعديهم على الناس .

(أ) العلاقات بين القضاة والباشا العثماني :

من الممكن أن نميز خطين سارت فيهما العلاقات بين القضاة والباشوات ، أولهما أن العلاقة بينهما كانت تتسم دائما بالود والمجاملة المتبادلة بين الطرفين في غالب الأحوال ، وثانيهما اتسمت في بعض الأحيان بالشدة والتنافر الناتج عن اختلافهم في الرأي حول بعض القضايا المعينة ، أو في محاولة اصطدام مصالحهم . أو في محاولة لردع الظالمين وردهم عن ظلمهم ويتوقف هذا على مدى الهيبة التي يتمتع بها القضاة في مواجهة رجال الإدارة والسياسة .

وقد تميزت العلاقة بين قضاة العسكر والباشوات غالبا بطابع الود والاحترام المتبادل ، فمنذ قدوم قاضي عسكر عثماني وهو

« جلبى أفندى » الذى حضر الى مصر بطريق البحر الى بولاق
 وذهب اليه ملك الأمراء خاير بك الى بولاق وقابله هناك وأرسل
 له هدية حافلة (١٨) وفى حالات المرض كان ينزل اليه ملك الأمراء
 لزيارته فى بيته (١٩) .

كما أنه فى الاحتفالات التى تقام للمناسبات المختلفة كان قاضى
 عسكر يحضر بجانب الباشا وكبار رجال الادارة العثمانية وفى
 الاحتفالات بوفاء النيل مثلا كان الباشا يأمر بتزيين المركب ويركب
 هو والصناجق والأغوات وشيخ الاسلام من بولاق الى المقياس
 حيث التزم واقامة الحفلات التى تستمر فترة طويلة (٢٠) .

وعند خروج الباشا للنزهة كان يصطحب معه بجانب الأمراء
 وكبار الموظفين قاضى العسكر فعند « خروج ابراهيم باشا المقتول
 للنزهة كان معه بجانب الأمراء ١٠٠ مولانا مصطفى أفندى عزمى زادة
 قاضى القضاة بالديار المصرية وحصل لهم الصفا والمباسة قبل
 الطعام » (٢١) .

وفى المناسبات الاجتماعية التى يقيمها الباشا كان يحضرها
 قاضى العسكر والقضاة للمجاملة وفى « حفل ختان أولاد اسماعيل
 باشا استمرت الولائم خمسة عشر يوما كل فئة يوما فكان اليوم
 الأول لقاضى العسكر بقضاة المحاكم » (٢٢) .

وكان معظم حكام مصر يأتون عن طريق البحر الى الاسكندرية
 فيقابلهم قضاة الثغر للترحيب بهم مما استتبع علاقات صداقة
 وطيدة خاصة وأن القضاة كانوا يصاحبونهم اثناء جولاتهم فى
 الاسكندرية كذلك يمدونهم بما يحتاجون اليه من معلومات عن أحوال
 البلاد بحكم استقراهم بها قبل وصول الباشا (٢٣) .

وكثيرا ما كانت تربط القضية علاقات صليقة وطيدة بالسلطين
أنفسهم مثل قاضى عسكر مصر « محمد بن مصطفى المعروف ابوه
ببستان زادة الذى كان على علاقة صداقة مع السلطان مراد
خان » (٢٤) .

ولم تكن العلاقة بين الطرفين تسير على وتيرة واحدة من الود
المتبادل والمجاملات الاجتماعية فهناك على النقيض الآخر علاقة الشد
والمناغسة بين الطرفين وخاصة في حالات خروج الباشا ورجال
الادارة على مقتضيات وظائفهم وتعديهم وظلمهم للناس ففي هذه
الحالة يقف قاضى العسكر لهم غالبا بالمرصاد مما يؤدى الى سوء
العلاقة بين الطرفين وهذه الحالة تتوقف على مدى ما يتمتع به
قاضى العسكر من هيبة وقوة شخصية وقدرة على التأثير
فيمن حوله .

فقد تميز بعض القضاة بالشدّة على الحكام مثل القاضى
« حسين أفندى قرا جلبى » فيذكر عنه انه كان متبصرا في الأحكام
ذا سطوة وشهامة على الحكام والتحرى الدائم الذى لا يعتريه فيه
خوف من لوم لايم حتى كان حكاه السياسة في قبضة قهره لا
يخرجون في الأمور عن نهيه وأمره قمع في مدته أهل الفساد وشتمت
جموع أهل البغى « (٢٥) وهناك قاضى العسكر « محمد أفندى
شاه بن خرم » الذى كان الباشا فمن دونه تحت نهيه وأمره واقفين
عند قوله وزجره حتى ضرب بذلك المثل في الأمصار (٢٦) .

كما حدث خلاف بين أئمة الباشوات وقضاة العسكر
حول أحقية كل منهم في نيابة محكمة الصالحية النجمية وذلك لأنها
تدر دخلا كبيرا وكان الباشا يساعد امامه في التغلب على القضاة
مما يؤدى الى سوء العلاقات بين الطرفين (٢٧) .

٢٤١

(م ١٦ - تاريخ القضاء)

كما كانت تحدث أحيانا خلافات في الرأى تؤدي الى تازم العلاقات بين القضاة والباشوات من ذلك أنه في عهد « سليمان باشا » ساعد اليهود في بناء معبد لهم فنصدى قاضى عسكر مصر « محمد بن الياس » لهدمه وأزيل في النهاية بالرغم من مساندة الباشا (٢٨) كذلك القاضى « صالح بن جلال » الذى تصدى للباشوات ورجال الادارة العثمانية في مصر في غالب الأحيان ومنع تعديهم على الرعايا حتى أنه ثبت على دفتردار مصر أمور تؤدي الى قتله وقتل (٢٩) .

(ب) علاقة القضاة بالأمراء المماليك :

احتفظ الحكم العثمانى لمصر غداة فتحها بالمماليك حكام البلاد السابقين وذلك للاستفادة من خبرتهم في حكم البلاد وجعلهم عنصر توازن بين الباشا والأوجاقات العسكرية العثمانية ، ولكن المماليك احتفظوا بوجودهم كقوة اجتماعية بجانب كونهم قوة سياسية في البلاد .

وبالرغم من مناوأة المماليك للباشا العثمانى في مصر وتضاؤل سلطته لحد العدم شبه التام . فان الأمر لم يكن كذلك بخصوص القضاة فلم يكن في الأمر ما يتعارض مع رغبات المماليك أو ما يضعف من نفوذهم السياسى ، لذا فلم يحدث مطلقا أن عارض المماليك سلطات استانبول القضائية في حق تعيين القضاة بمصر وهم بذلك يهيئون لأنفسهم مزية تقديم الدليل على الولاء للسلطان (٣٠) .

ونشأت علاقات اجتماعية متعددة بين القضاة والأمراء فتجدنا المصادر المعاصرة لهذه الفترة بالكثير من الزيارات المتبادلة بينهم (٣١) .

كما نشأت علاقات صداقة قوية بين بعض الأمراء المماليك وقضاة العسكر من ذلك الصداقة بين « أحمد أفندى » قاضى

مصر و « محمد بك أبو شنب » فيذكر أنه كان في كل ديوان ينزل الى البيت محمد بك الذي عمل عزومة للقاضي ونام عنده ثلاث ليال وكان يطلع الى الديوان من بيته وينزل الى بيت محمد بك جركس « (٣٢) » .

وفي المناسبات الاجتماعية التي يقوم بها القاضي كان الأمراء المماليك يهادونه ويحاملونه من ذلك ما تفصه المصادر التاريخية « عندما عمل القاضي حفيد أفندي حفل ختان لأولاده في شعبان ١١٧٧ هـ - ١٧٦٣ م أرسل اليه على بك هدية حافلة وكذلك باقي الأمراء والاختيارية حتى امتلأ المقعد بفروق البن ووسط الحوش بالحطب الرومي وفي يوم الزفة أرسل اليه على بك ركوبته وجميع اللوازم من الخيول والمماليك ٠٠٠ وأركبوا الغلام بالزفة الى بيت على بك فألبسه فروة سمور ورجع الى المحكمة بالركب « (٣٣) » .

كما تميزت هذه العلاقة في أحيان كثيرة بطابع من المصلحة والانتفاع من المماليك فنتيجة لمكانة قاضي العسكر كان الأمراء المماليك يطلبون شفاعته في كثير من الأمور ، حتى تجاب مطالبهم عند الباشا أو حمايتهم من الأمراء المنافسين لهم .

من ذلك أنه أثناء النزاع الفقاري القاسمي المعروف بواقعة الصناجق في عام ١٦٦٠ م توجه عدد من المماليك المحكوم عليهم بالنفي من جانب منافسيهم الى المسجد الأزهر يطلبون حمايتهم ٠٠ فتسفع فبهم قاضي العسكر عند منافسيهم فقبلت شفاعته أكراما له (٢٤) .

وأيضا في عام ١١٣٨ هـ - ١٦٢٨ م ونتيجة لوجود شرط بان من يتولى إمارة الحاج لابد أن يكون صنجقا وعندما وقع الاختيار على عمر اغا أميرا للحاج ولا توجد صنجقية فارغة له شرع محمد بك جركس في عزومة قاضي العسكر وولده وقال له « مرادى

تشفع عندك وأنت تشفع عند حضرة الوزير أن يعطى صنجقية
كتخذة الى عمر أغا الى حين تقع له صنجقية ٠٠٠ وفي نهاية
العزومة أفرغ جركس على القاضى كرك سمور وكذلك بولده « (٣٥) »

كذلك كان القضاة يقفون للأمرء بالمرصاد اذا ما أرادوا
أحداث مظلمة على السكان أو أمر مخالف للشرع فيهم يمنعونهم من
ذلك بالقوة ويتوقف هذا في غالب الأحيان على هيبة وشخصية
القضاة (٣٦) .

ويوضح من ذلك الآتى :

١ - أن علاقة القضاة بالباشا العثماني ورجال الإدارة
العثمانية في مصر كانت تسير بالود والمجاملة ما دامت لم تحدث
خلافات فيما بينهم على المصالح المشتركة كالنزاع حول نيابة بعض
المحاكم وما داموا جميعا يعملون لصالح الرعايا ومصالح السلطان
العثماني . أما اذا حدث خلاف ذلك فتكون النتيجة الحتمية هي
سوء العلاقات بين الطرفين ، ولكن يمكن القول ان العلاقات بصفة
احتمالية تميزت بالود والمجاملات معظم فترة الحكم العثماني .

٢ - تميزت العلاقة بين القضاة والأمراء المماليك بالود المتبادل.
وضح ذلك من خلال العديد من العلاقات التي قامت بين الطرفين مثل
علاقات التصاهر . وكذلك المعاملات المالية بينهم من قروض.
وما الى ذلك غير ان هذا لم يحل دون ان يقف القضاة بالمرصاد
لمن يتعدى من الأمراء على الرعية .

٣ - في الفترة التي سادت فيها القوة المملوكية في القرن.
الثامن عشر استخدم الأمراء المماليك قاضى العسكر في غالب الأحيان
كعامل مساعد لهم في تحقيق مآربهم الخاصة سواء عند الباشا
أو في ترجيح كفة فريق على آخر أثناء الصراع بينهم وضح ذلك
تماما في بعض الأزمات مثل فتنة افرنج أحمد .

العلاقات الاجتماعية بين القضاة والشعب المصرى :

تباينت علاقات القضاة بالشعب المصرى تباينا واضحا .
وان كانوا فى معظم الأحوال قد كونوا علاقات ود واضحة وصداقة
مع العلماء المصريين ، بل وصل صدى هذه العلاقات الى بقية
طبقات الشعب. الذين كانوا يشاركونهم فى الكثير من مناسباتهم
الاجتماعية . وتحكمت فى تحديد علاقة الشعب المصرى بالقضاة
عدة عوامل تجمعت لتكون فى النهاية الأساس الذى يتحكم فى
هذه العلاقة .

(١) علاقاتهم بالعلماء :

بدأت هذه العلاقة بموقف عدائى من القضاة تجاه أول قاضى
عثمانى فى مصر وهو « جلى افندى » فقد قال فيه ابن اياس انه
قليل الرسمال من العلم ، أجهل من حمار ، لا يدري فى الأحكام
الشرعية وأورد فيه قول بعض الشهود :

راينا مسيخا أعورا قبل موتنا
أتى من بلاد الروم يمنع رزقنا
يقدم قانونا على شرع أحمد
ففسال رب العرس يكشف كربنا (٣٧)

بذلك فقد تميزت العلاقة بين العلماء والقضاة فى بداية العصر
العثمانى بالطابع العدائى من قبل العلماء لهؤلاء القضاة الوافدين
اليهم من استانبول وذلك لعاملين هما :

(١) انه ترتب على كون قاضى عسكر تركى يرد من
استانبول - فى بداية الفتح على الأقل - هو ونائبه أن حرم علماء

الأزهر من شغل هذه المناصب القضائية الرئيسية وإن كانوا قد عملوا كقضاة للمذاهب الأربعة تحت رئاسة قاضي العسكر فإن في هذا اقلاقاً من أهميتهم وهيمنتهم على الأمور كما كان عليه حالهم قبل الفتح .

(ب) طبق العثمانيون منذ دخولهم مصر ما يعرف باسم اليسق العثماني وهو عبارة عن مجموعة من القوانين والتشريعات المستمدة من الشريعة الإسلامية في مجال الأحوال الشخصية ترتب على تطبيقها معارضة علماء الأزهر لها بحجة مخالفتها للشريعة . ولكن في الحقيقة لم تكن هذه المعارضة موجهة ضد اليسق العثماني بقدر ما هي موجهة أساساً ضد الانتقاص من مكانتهم ولاسيما أنها طبقت بدون استشارتهم أو أخذ رأيهم وهو ما لم يألوه من قبل خلال الحكم المملوكي .

وهذا الموقف العدائي من علماء الأزهر تجاه القضاء لم يستمر طويلاً فقد قامت بينهم العديد من علاقات الصداقة الوطيدة وذلك نتيجة لبعض العوامل التي ساعدت على سرعة زوال الروح العدائية من العلماء للقضاة من أهمها أن العثمانيين لم يحاولوا فرض التدخل في شئون الأزهر بفرض أحد علمائهم على رأسه كما فعلوا في القضاء أو فرض المذهب الحنفى مذهبهم الرسمى عليهم ، ولم يحاولوا صيغ الدراسة بالصيغة التركية أو اللغة التركية . وادى هذا إضافة إلى ما أظهروه من احترام تجاه الأزهر وعلمائه أن ظهرت علاقات ود وصداقة واضحة بين العلماء والقضاة .

ولا نرى الطابع العدائي يسود هذه العلاقة إلا في حالات معينة مثل إبعاد قاضي عسكر للقضاة والعاملين في القضاء المصرى واستبدال غيرهم بهم . ففي هذه الحالة يتعرض للهجاء والنقد اللاذع .

وقد مدح العلماء المصريون القضاة بالقصائد الرنانة التي تداولتها الألسنة من ذلك القصيدة التي قالها الشيخ برهان الدين ابراهيم المبلط في القاضي « عبد القادر بن العربي » كذلك يوجد العديد من القصائد التي تزخر بها المصادر المعاصرة لهذه الفترة وكذلك فقد وجد بينهم العديد من المساجلات الأدبية والشعرية (٣٨) .

وكان القضاة يقومون بزيارة العلماء ويبادلونهم الزيارة فيذكر الجبرتي أن القاضي حفيد أفندي اتحد بوالده فتردد كل منهما على الآخر كثيرا وحضر مرة في غير وقت ولا موعد في يوم شديد الحر فلما صعد إلى أعلى الدرج كان كثيرا فأستلقى من التعب على ظهره لهرمه فلما تروح قال له الشيخ حسن الجبرتي « يا أفندي لأي شيء تتعب نفسك أنا آتيك متى شئت فقال له أنا أعرف قدرك وأنت تعرف قدرى » (٣٩) .

ومن القضاة من جلس للتعليم والقاء الدروس وإفادة الناس والطلبة من هؤلاء القاضي « عرب زادة قاضي مصر » (٤٠) وأيضا المولى « حفيد أفندي » الذي كان يجلس بجامع المشهد الحسيني لالقاء الدروس (٤١) .

وكان القضاة يقبلون شفاعة العلماء في تعيين أتباعهم أو من يلوذ بهم في أعمال الحكم مثل تعيين « الشيخ زين الدين أبي بكر الدميري » نايبا مالكيًا بمحكمة قناطر السباع لأجل خاطر سيدنا ومولانا الشيخ الامام العمدة . مفتي المسلمين أبي عبد الله محمد الرملي الشافعي (٤٢) .

ويقوم القضاة بالتقريظ على مؤلفات العلماء المصريين فعل ذلك القاضي « محمد بن حسن القسطنوني » على مؤلف للشيخ عمر المالكي سماه « المصابيح على الجامع الصحيح » فقال في تقريظه :

كتاب الأنواع المسائل جامع
وجمع الاشتات المباحث نافع
وفيه لطلاب الحديث كفاية
كما فيه للتشيخ النبية منافع
جزى ربنا خيرا لجامعه غدا
بأذن لمن يوم الجزا هو شافع (٤٣)

ولم تكن العلاقات تسير بينهم على وتيرة واحدة فكثيرا ما تطورت علاقات بغض شديدة اذا ما تعارضت المصالح المشتركة بينهم مثل عزل العاملين في المحاكم من ذلك عندما عزل « قاض العسكر عرب زادة » القضاة والشهود واستبدل بهم غيرهم فهجاء « الشيخ شمس الطلخاوى » (٤٤) كذلك النزاع الذى وقع بين قاضى العسكر « عبد الباقي بن الغربى » والعلافة « شمس الدين الفارضى » وهجاء العلامة « شمس الدين الفارضى » بقصيدة كبيرة (٤٥) .

ولم تقتصر علاقات القضاة بالعلماء على العلماء المصريين ، فنتيجة للعلاقات العلمية بين العلماء المصريين و علماء بلاد الشام انعكس اثر ذلك على علاقات القضاة العثمانيين بوصفهم علماء كبارا لهم مكانتهم بين علماء بلاد الشام وفى هذا تأكيد على الذاتية الثقافية للبلاد الاسلامية فى هذه الآونة والاتحام بين علمائها .

ويلاحظ أن علماء الأزهر الشريف قد مثلوا قوة رقابية على القضاة فقد كانوا بمثابة المراقبين لهم ولأحكامهم فى القضايا المختلفة وترتب على ذلك أن القضاة كانوا يحسبون للعلماء منافسيهم التقليديين حسابا كبيرا فقلت نسبة الخطأ فى الأحكام ، كذلك التصرفات التى تنافرت مع جلال هذا المنصب .

علاقة القضاة ببقية فئات الشعب المصري :

بعد أن استعرضنا علاقات القضاة بالعلماء وهم الفئة العليا من الشعب المصري نستعرض علاقة القضاة ببقية فئات الشعب والذي نلاحظه في الأغلب الأعم كما تنبئنا المصادر الخاصة بهذه الفترة أن القضاة كانوا ذوي علاقات طيبة معهم .

وحددت العلاقات بينهم وبين الشعب المصري من خلال تعليمات أول قاضي عسكر عثمانى في مصر هو « جانبي أفندي » عندما أعلن عن رغبته في جعل نساء مصر يمشين على طريقة نساء استانبول مع أزواجهن ، « فإن عادتنا إذا دخل الرجل على امراته تعطيه نصف المهر الذي أعطاه لها وإن الرجل لا يقرر لزوجه كسوة ولا نفقة في صداقها بل يكسوها هو في كل سنة جوخة وقميصين ويطعمها في كل يوم بما يختار ، ففرح العوام بذلك وحزنت النساء » (٤٦) .

كما أنه منع النساء من الخروج الى الأسواق ومن وكوب الحميم ولا تدخل السوق إلا العجائز مما دعا النساء بعد خروجهن للحج الى تصنيف رقصة خاصة وقالوا « قوموا بنا نقحب ونسكر قد خرج عنا قاضي عسكر » (٤٧) .

وبذلك فقد تبين موقفهم من قاضي العسكر تبعاً لقراراته وتأثيرها على مصالحهم المختلفة . وإن كان في غالب الأحوال تميزت العلاقات بين القضاة والشعب بالود المتبادل يتضح ذلك من المجاملات الاجتماعية المتبادلة بينهم .

وفي سجن ختان أولاد « حفيد أفندي » قاضي عسكر مصر اجتمع بالمحكمة أرباب الملاعب والملاهي والبهلوانات وغيرهم واستمر عدة أيام والناس تغدو وتروح للفرجة (٤٨) .

وكثيرا ما قرر القضاة لفقراء المصريين نفقة رسوم محكمة الباب العالي لمساعدتهم على العيش وتعتج الوثائق بالعديد من هذه الأمثلة (٤٩) كما تشابكت العلاقات الاجتماعية بين القضاة والشعب المصرى من علاقات قروض ومعاملات مالية وغيرها (٥٠) مما أدى الى نشوء العديد من العلاقات القوية بين الطرفين .

أما عن أهل الذمة فقد كانوا يلجأون الى القضاة المسلمين برغبتهم ودون اجبار ، رغبة في عدالتهم مما أدى الى وجود علاقات ود واضحة بين الطرفين مادام أهل الذمة لا يخرجون عن المهود المأخوذة عليهم ووجد العديد من المعاملات بين القضاة وأهل الذمة مثل البيع والشراء (٥١) والقروض (٥٢) .

غير أنه في المقابل كانت تحدث العديد من الخلافات بين القضاة وهذه الفئات من ذلك ما حدث في رمضان ١١٢٣ هـ - ١٧١١ م عندما جلس رجل رومى يعظ الناس بجامع المؤيد فأزدهم عليه الناس وأخذ بعد ذلك في التشديد على المنكرات التي يفعلها الناس وشدد في أمر زيارة المقامات والأولياء فحدثت خلافات بينه وبين علماء الأزهر ، فما كان من العامة الا أن هجموا على القاضى في منزله وأخذوه مكرها الى الباشا بعد أن أكرهوه على أخذ حجة بما يريدون . فما كان من القاضى الا أن هدد بالخروج من القاهرة نتيجة لهذه الفعلة ولكن تدخل الأمراء المماليك ونفوا الواعظ من البلاد أكراما للقاضى (٥٣) .

كما تنازع القاضى « عبد السلام » قاضى دمياط سابقا مع « عبد الرحمن بن على بن محمد » لأنه سبه وجعله ظالما ومرتشيا ومزورا وآذاه بذلك وثبت ذلك على المدعى عليه بشهادة الشهود فأمر القاضى بتعزيز المدعى عليه (٥٤) .

يتضح من هذا أنه وجدت العديد من العلاقات الاجتماعية بين الشعب والقضاة ، وهذا يدحض الأقاويل القائلة باستعلاء القضاة وانعدام علاقاتهم بالشعب . كذلك من الممكن أن يكون القصد من التباعد عن عدم الألفة مع كل الناس مما يؤثر في سير العدالة وليس تكبرا .

تعليم القضاة وانتاجهم الأدبي

تعليم القضاة :

وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لتولي منصب القضاء ، لا بد أن يمر بها طالب هذا المنصب ويجتاز مراحل المختلفة وهو ما تطلق عليه المصادر الخاصة بهذه الفترة « طريق المولوية » ووضعت هذه الشروط حتى تطمئن الدولة الى توافر الشروط الفقهية في القضاة من العلم بالكتاب والسنة والاجتهاد والقياس .

وفي بداية نشأة الدولة العثمانية أدرك السلاطين الأوائل أنه لا بد من قيام المدارس والتعليم فعملوا على استقدام العلماء من البلاد الإسلامية مثل بلاد الشام ومصر والعراق بأذنين لهم للوعود والتشجيع بكافة أنواعه حتى يقودوا الحركة العلمية في الدولة الناشئة . وبعد ذلك ظهر العلماء الأتراك الذين تولوا التدريس في المدارس المختلفة ألفوا الكتب الكثيرة بجانب العلماء المسلمين الوافدين من البلدان الإسلامية الأخرى .

ووضع الفقهاء المسلمون شروطا علمية لتولي منصب القضاء

وهي :

١ - العلم بكتاب الله على الوجه الذي تصح به معرفة ما تتضمنه من الأحكام .

- ٢ - العلم بسنة الرسول الكريم من أقواله وأفعاله .
- ٣ - العلم بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه
ليتبع الاجماع .
- ٤ - علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى
الأصول المنطوق بها (٥٥) .
- وفي بداية نشأة الدولة العثمانية وجد نوعان من التعليم
الاسلامى بها هما :

(١) ، المستوى الأدنى الذى كانت جرعات التعليم فيه قليلة
ومناهجها بسيطة تتكون من الأدب والقرآن الكريم .

(ب) المستوى العالى فكان يتكون من المدارس حيث العلماء
الطموحون الى اكمال تعليمهم ، وكان يدرس فيها كل
فروع التعليم الاسلامى شاملا العلوم الدينية مثل
التفسير وعلم الكلام والفقه والقانون وقواعد اللغة
العربية وعلم الخط كما يدرس فيها العلوم العقلية مثل
المنطق والفلسفة وعلم التنجيم (٥٦) .

ومع السلطان اورخان (٥٧١) بن عثمان خرج التعليم من المسجد
الى المدرسة فبعد فتح ازميد بنى فيها أول مدرسة فى تاريخ الدولة
العثمانية وبذلك خرج التعليم من المسجد الى المدرسة وكانت الكتب
المقررة فيها وبالتالى فى المدارس العثمانية هى فى مادة التفسير
كتاب « الكشاف عن حقائق التنزيل » ويعرف اختصارا باسم
تفسير الكشاف لمؤلفة العلامة الزمخشري وكتاب « أنوار التنزيل
وتنزيل التأويل » والمعروف باسم « تفسير البيضاوى » وفى مادة
الحديث النبوى « الكتب الست الضحاح فى الحديث » وفى مادة

الفقه كان يدرس كتاب « الهداية » لشيخ الاسلام « برهان الدين على بن أبي بكر المرغتاني » ، وكتاب « الوقاية » لبرهان الشريعة و « العناية في شرح الوقاية » لعلاء الدين علي بن عمر الأسود ، و « مختصر القدوري » لأحمد بن محمد القدوري البغدادي . كما درس عدد من الكتب في أصول الفقه وفي علم الكلام وقرر كتاب « تجريد الكلام » للطوسي وكتاب « طوابع الأنوار » للبيضاوي و « المواقف » للأيجي وفي علم البلاغة كتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي وتلخيص « المفتاح في المعاني والبيان » للقزويني وفي المنطق كتاب « الأيساغوجي » وكتاب « مطالع الأنوار » للقاضي سراج الدين الأرموي (٥٨) .

وفي عهد السلطان محمد الثاني أعاد تنظيم التعليم في الدولة العثمانية وفقا لمراحل محددة وذلك بعد أن بنى المدارس الثماني حول مسجده ثم ثمانى أخرى . أى بنى ست عشرة مدرسة حول المسجد (٥٩) .

وكان الطالب يمر بأربع مراحل تعليمية هي :

- (١) مرحلة أولى وتسمى الخارج .
- (ب) مرحلة ثانية وتسمى الداخل .
- (ج) مرحلة ثالثة وتسمى موصلة الصحن .
- (د) مرحلة رابعة وتسمى الصحن (٦٠) .

ومن المهم أن نذكر أن الدولة العثمانية لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية مثل التعليم ، بل كانت هذه تدخل في اختصاص الوقف وكان ركنا أساسيا في اقتصاد الدولة العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية في جوامع استانبول فقد كان الجامع في ذلك الوقت مؤسسة اسلامية متكاملة تضم المسجد والمدرسة والمطعم الخيري (٦١) .

لذلك فقد اهتم السلاطين برصد الأوقاف على المدارس وأهم هذه المدارس هي التي بناها السلاطين « محمد الثاني » و « بايزيد الثاني » و « سليمان القانوني » وكانت كل المدارس في مسجد بايزيد مخصصة لدراسة القانون . وبعد بناء مدارس السلجمانية نظم التعليم في كل هذه المدارس بصورة نهائية في ١٢ مرحلة وكان على كل تلميذ في مرحلة من المراحل الاحدى عشرة الأولى أن يحصل على اجازة يعلن انه على علم تام بأى مؤلفات يكون قد درسها من الأساتذة المختصين قبل أن ينتقل الى المرحلة التالية (٦٢) .

وإذا أراد الطالب أن يتخصص في مادة ، الحق بمدارس الصحن وتلقى فيها الدرس في تلك المادة وإذا لم يرغب في الالتحاق بالصحن مكتفيا بدراسة المراحل السابقة فكان يعين قاضيا في المدن ما عدا الكبيرة (٦٣) .

أما الطالب الذي يريد اكمال تعليمه في مدارس الصحن فيتولى التدريس ويختار قضاة العسكر بعد ذلك من بين الحائزين على رتب التدريس من كبار الأساتذة الذين امتازوا بكفاءتهم ومؤلفاتهم القيمة (٦٤) .

ولم تكن هناك سنوات محددة لمراحل الدراسة وكان المعيار في تحديد سنوات الدراسة هو الاستعداد العقلي للطالب وقابليته للدراسة ولكن كانت الدراسات العليا تنتهى في سن يتراوح بين الثلاثين والأربعين كما أن التعليم لم يكن اجباريا (٦٥) وكان الطلبة يحصلون على رواتب اضافة الى المسكن المجانى والطعام .

ولكن في القرن الثامن عشر نجتمع الكثير من الأسباب التي أدت الى انهيار التعليم في الدولة العثمانية وبالتالي انهيار تعليم القضاة ، وربما يكون السبب الأول لذلك هو حب العثمانيين للقديم

ومحافظتهم عليه وبالتالي عدم التجديد في روح التعلم الذي أصابه الجمود في تلك الفترة .

وأيضاً من أسباب ضعف التعليم في هذه الآونة التسامح في كل أمر وكثرة التدخل في المصالح حتى قضت الأحوال بإعطاء المناصب الى غير من يستحقها فصار قضاة العسكر يعزلون بغير ذنب (٦٦) .

يتضح من ذلك الآتي :

١ - أن القضاة كانوا يخضعون لطريق دراسي صعب وطويل للوصول الى مناصبهم ومن الجدير بالذكر أن القضاة كانوا يتلقون تعليمهم باللغة العربية اذ كيف يدرسون كتب التفسير والفقه والبلاغة والنحو بغير اللغة العربية ؟ مما أدى الى تحديثهم بها بل كتابة مؤلفاتهم باللغة العربية وهذا يدحض الاقاويل القائلة بجهل القضاة باللغة العربية .

كما ترتب على الضعف العام في القرن الثامن عشر أن تدخلت عوامل الضعف والاضمحلال الى التعليم وتسربت اليه روح الجمود وعدم التجديد مما أدى الى بروز الوساطة في التعيينات وأصبحت الاختبارات التي تجرى للشخص المتقدم لاجتياز مرحلة تعليمية اختبارات شكلية . ففقدت هذه المناصب أهميتها وتطرق اليها الضعف .

الانتاج الأدبي للقضاة :

من المهم هنا أن نعرض للانتاج الأدبي للقضاة سواء كان هذا الانتاج اشعاراً باللغة العربية أو كتباً أدبية وتراجم ، كذلك كتب الدين والفقه . فقد خلف لنا قضاة تلك الفترة العديد من الكتابات التي مازالت موجودة الآن ما بين مطبوع ومخطوط يستفيد

منها كل في مجاله حتى الآن كما وجد لبعض القضاة كتابات في المجالات العلمية مثل الكيمياء • ولا غرابة في ذلك فقد كان القضاة علماء كبارا تلقوا تعليمهم كما رأينا من قبل في المدارس العثمانية وتعلموا أمهات الكتب الإسلامية في الفقه والأدب وعلم الكلام والعلوم المختلفة •

وكما يتضح من خلال كتب التراجم أن لمعظم القضاة أشعارا باللغة العربية • من هؤلاء قاضي عسكن مصر « فيض الله أفندي أحمد قاف زادة » الذي نظم القصيدة التبريزية بمناسبة انتصار السلطان « سليمان خان بن سليم » على الصفويين فقال فيها :

الله در جيوش الروم اذ ظهوروا
على الروافض قد صارت بهم عبر
ثم ابدعوا بدعى سيادة مظلمة
لهم قلوب يحساكى لينها الحجر
ويل لهم آمنوا من مكر دهم
حتى يصحب رسول الله قد مكروا
فقد اضاخوا يد الناس ظالمة
عن هتكها حرمان الله ما قصروا
فالناس تجار للرحمن من يدهم
والله يسمع منهم كلما جاوروا
حتى اذا جاء وقت الموت واقتربت
آجالهم واتتهم بالاسى النذر
وعندما اقترب الجيش العرمم من
تبريز ثم بدا جيشهم جورا ١٦٧

ووجد من قضاة الأقاليم من وجد له إنتاج أدبي رائع مثل
« تقي الدين التميمي » وله تصانيف منها طبقات الحنفية في مجلدات
وله أشعار (٦٨) *

ووجد من القضاة من له مؤلفات علمية مثل قاض عسكر مصر
« صالح بن اسحاق الشرواني » وله مصنفات حسنة الأسلوب تدل
على زيادة تبخره في العلم منها في الفقه تعليقات على تفسير
البيضاوي وله رسائل كثيرة كما أن له مؤلفات في الكيمياء
والعلوم (٦٩) *

ووجد « مصطفى بن محمد الشهير بعزمي زادة » له التأليف
التي ملأت سمع الزمان فائدة منها حاشيته على « الدرر والغرر » في
الفقه وحاشية « علي بن مالك في الأصول وغيرها » وله « الشعر
النضير » في العربية والتركية و « رباعياته » مشهورة مرغوبة وقد
جمعها في سفر مستقل وهي في التركية كرباعيات « سديد الدين
الأبباري » في العربية « وعمر الخيام » في الفارسية إليها النهاية في
القبول والتحسين وآثاره كلها لطيفة وأخباره جميعها طريفة (٧٠) *

وهناك من قضاة الأقاليم من كانت له مؤلفات بارعة مثل
« محمد بن أحمد حسن الطنباوي » الشهير بالحنثاني المصري الحنفي
ذهب من القاهرة الى استانبول عام ١٠١٨ هـ - ١٦٠٩ م ومن
مؤلفاته العديدة :

- ١ - حاشية على تفسير البيضاوي *
- ٢ - الاسفار عن الأسفار وهي رحلة جامعة الفرائد *
- ٣ - تعليقات في فنون الحكمة *
- ٤ - له شعر قال فيه الشهاب الخفاجي في رياحيته انه يحط

٢٥٧

(م ١٧ - تاريخ القضاء)

قدر الحطيئة ويبلد ذهن لبيد ويدع اياس منه في الذكاء في
اياس (٧١) .

ولو اخذنا مثالا من القضاة لنعرض أعماله سواء المطبوعة
أو المخطوطة لاخترنا « شهاب الدين الخفاجي المصرى » ومن أعماله :

١ - شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل جمع فيه
ما ذكره قبله وزاد عليه وصدر الكتاب بمقدمة في
التعريب وشروطه ثم أتى بالألفاظ المعربة ورتبها على
الحروف الأبجدية .

٢ - شرح درة الفواص في أوهام الخواص للحريرى طبع
بمصر عام ١٨٥٦ م .

٣ - طراز المجالس وهو من كتب الأدب واللغة قسمه الى
خمسين مجلسا .

٤ - حاشية على البيضاوى طبع بمصر عام ١٨٦٩ م في
ثمانية مجلدات .

٥ - شرح كتاب الشفا في تاريخ حقوق المصطفى طبع في
استانبول ١٨٥٧ م .

٦ - رياحين الدمان أو ذوات الأمثال .

٧ - خبايا الزوايا في الرجال من بقايا وهو من كتب الأدب .
وبه تراجم لأكثر من سبعين من العلماء .

٨ - ريحانة الألباب وزهرة الحياة الدنيا توسع في تراجم
الشعراء مع انتقادها وإيضاحها .

٩ - له ديوان شعر مخطوط بمكتبة الجامعة الأزهرية .

١٠ - له مجموعة من القصائد مجموعة في مخطوط بدار الكتب المصرية (٧٢) .

وتدل مؤلفات الشهاب الخفاجي على تمكنه من الأدب العربي وحفظه الكثير من شعر القدماء وإذا أورد في تراجمه لمعاصريه شيئاً من شعرهم أتبعه في كثير من الأحيان بما يماثله من آثار السابقين وهو ناقد بارع وكاتب لا يشق له غبار يناقش ويجادل كما نرى في كتابه طراز المجالس وغيره من كتبه (٧٣) .

يتضح مما سبق الآتي :

١ - غزارة الانتاج الأدبي للقضاة ما بين كتب في الفقه والتفسير واللغة والتراجم والأدب والتاريخ وهو ما يدلنا ما يدلنا على مبلغ ما وصلوا اليه من علم بالعلوم المختلفة وما زالت هذه الكتابات ما بين مخطوط ومطبوع يستفيد منه الدارسون الى الآن .

٢ - كانت هذه المؤلفات باللغة العربية الفصحى التي تباروا بالكتابة بها واستخدام الأساليب اللغوية والبلاغية بالكتابة بها واستخدام الأساليب اللغوية والبلاغية الطنانة للدلالة على مدى حذقهم اللغة العربية مما ينفي الزعم بجهلهم اللغة العربية .

ثانيا : الحياة الاقتصادية للقضاة

أولا - الموارد المالية للقضاة :

- (أ) الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم
- (ب) الأنشطة الاقتصادية للقضاة

ثانيا - الاختصاصات الاقتصادية للقضاة :

- (أ) الاشراف على الأوقاف

الحياة الاقتصادية للقضاة

تمتع القضاة في مصر ابان العصر العثماني بمكانة اقتصادية كبيرة ناتجة عن توليهم أعمالهم القضائية ولاسبما قضاة العسكر وقضاة الأقاليم وان كانت قد تراوحت المستويات فيما بينهم . فقضاة العسكر كنتيجة لتوليهم المحكمة الكبرى وما يترتب عليها من رسوم كثيرة وكذلك لأشرافهم على الأوقاف . في نفس الوقت يصرف لهم مرتبات مالية كبيرة ، ومرتبات عينية من الجراية والعليق . وقد أدت هذه العوامل الى تمتعهم بمكانة اقتصادية هائلة .

كما اشترك العديد من القضاة في المجالات الاقتصادية المختلفة في هذه الآونة من تجارة وزراعة اضافة الى تربية المواشي وان كان هذا منتشرا بين قضاة الأقاليم اكثر من قضاة العسكر الذين حالت كثرة مشاغلهم عن ذلك .

أولا - الموارد المالية للقضاة :

(١) الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم :

قاضى العسكر - اعتبر القضاء جزءا من الولاية العامة لولى الأمر فهو من حقه عزل وتولية القضاة كما أن من حقه تفويض الأمر في معظم اختصاصاته القضائية أو حجبها وذلك بحكم ولايته

العامه وعلى هذا اعتبر القضاء من أهم واجبات الدولة ، وعليه فقد حرصت الدولة الاسلاميه على القائمين على القضاء وبذلت لهم المرتبات التى تكفيهم مؤنتهم ، وذلك خشية السؤال والانزلاق الى مهاوى الرشوة وفرضت المرتبات للقضاة منذ عصر الرسول الكريم وخلفائه واستمر هذا التقليد فى الدولة العثمانية .

أما عن مرتباتهم فقد وجدت درجتان لأصحاب مرتبة المولوية أدناها من يتقاضى يومية مقدارها ٣٠٠ أقبجة وأعلاها من يتقاضى خمسمائة أقبجة ومنهم موالى مصر (٧٤) .

ويذكر ابن اياس أن القاضى « جلبى القاضى » (اول قاضى عسكري عثماني فى مصر) جعل على كل مجلس من مجالس القضاة شاويشا من العثمانية يضبط ما يتحصل فى كل يوم من أجرة اشغال الناس ، فيقسم للقاضى من ذلك المتحصل شيئا وللشهود شيئا وله شيئا ، ثم يأخذ الباقي ويضعه فى صندوق برسم السلطان سليمان يودع فى بيت المال (٧٥) .

وبهذا يتضح أن الرسوم القضائية التى تفرض على القضايا المختلفة كانت توزع ما بين القضاة والعاملين فى الجهاز القضائى ويخصص جزء منها كرسم للسلطان وعلى ذلك فقد كانت النسبة محددة ولكن لم تمدنا المصادر الخاصة بهذه الفترة بها .

وبالرغم من الحملة الشديدة التى واجه بها العثمانيون نتيجة لفرضهم الرسوم القضائية وهو أمر غير مألوف من قبل فانها أدت الى فائدة كبيرة وهى أن الدولة منعت المتقاضين الذين يلجأون الى القضاة مكيدة فى خصومهم ، وذلك لفرض هذه الرسوم مما أدى الى فرض نوع من الجدية على اللاجئين الى القضاة ..

ولقد أصبحت الرسوم القضائية في الوقت الحاضر جزءاً متما من سيادة الدولة الحديثة تفرضه على وعاياها المتقاضين .

وعامة فقد حددت الرسوم القضائية في محكمة الباب العالي مقر قاضي العسكر وكذلك الديوان العالي بحوالي ٢٥ ٪ من قيمة الحق المتنازع عليه أو من قيمة موضوع التصرف القانوني الذي يجري توثيقه ، وقد زادت هذه الرسوم زيادة كبيرة في القرن الثامن عشر ليصله الى ٨ ٪ و ١٠ ٪ (٧٦) .

أما عن المخصصات العينية فقد حدد لقاضي العسكر مرتب من الجراية وعليق من القمح والشعير يصرف له من الخزانة كل شهرين وقد بلغ هذا المرتب ٤٨٠ أردبا من الغلال في السنة منها ٢٤٠ أردبا من القمح و ٢٤٠ أردبا من الشعير وظل هذا المرتب دون تغير طوال الحكم العثماني لمصر (٧٧) .

ووجد موظف يعمل بخدمة قاضي العسكر يطلق عليه « موظف جباية المحاسبة النقدية بخدمة قضاة العسكر » (٧٨) يبدو أنه كان مسئولاً عن جمع الرسوم الخاصة بقضاة العسكر من متحصل أموال محكمة الباب العالي .

قضاة الأخطاط في القاهرة :

حددت الرسوم القضائية التي يحصل عليها قضاة الأخطاط في مقابل نظر القضايا التي تنظر أمامهم تحديداً دقيقاً ، كما يلاحظ من خلال الوثائق أن قضاة العسكر كانوا يفرضون رقابة شديدة على هذه المحاكم خشية تعديهم في أخذ الرسوم أكثر من المعتاد . وحددت رسوم الحجة في هذه المحاكم في القرن السادس عشر باثني عشر نصفاً (٧٩) ولكن في أغلب فترات القرنين السابع عشر

والثامن عشر زيدت - كما يبدو من الوثائق - الى خمسة عشر نصفاً (٨٠) وكان قاضى العسكر يحذرهم من التعدي وأن القصد هو راحة الرعايا والشفقة على الفقراء (٨١) .

وكان القضاة من أولاد العرب (وهم قضاة المذاهب الشافعى والمالكى والحنبلى) يقومون بضبط محصول المحكمة طوال الشهر وفى آخره يرسلون دفترها الى قاضى العسكر بما ورد الى المحكمة (٨٢) .

ومن الواضح أن قضاة الأخطاط بعد تسليم السجلات الخاصة بضبط الرسوم القضائية الخاصة بمحاكمهم الى قاضى العسكر ، كانت تحدد النسبة الخاصة بهم والعاملين معهم من الشهود والكتاب وغيرهم ، وكذلك النسبة المخصصة لقاضى العسكر من هذه الرسوم - وتوزع عليهم - ثم بعد ذلك يوضع الجزء المحدد برسم السلطان الى بيت المال حتى يرسل مع حصيلة المحكمة الى السلطان .

القسام العسكرية :

نتيجة لأن القسام العسكرى كان تابعا لقاضى عسكر الأناضول رأسا ولم يكن هناك اشراف أو تبعية لقاضى عسكر عليه ، فقد حددت له رسوم معينة ويذكر على مبارك فى كتاب لم يقف على مؤلفه أن رسم الحجة أمام القسام العسكرى على كل ألف عثمانى خمسة عشر عثمانيا . كما أنه اذا قوم على الورثة عروضا أو عقارات فلا يقوم بزيادة عن القسمة (٨٣) .

ولكن اتضح من الوثائق أن النسبة التى كان يحصل عليها القسام العسكرى لم تكن محددة دائما فقد تراوحت بين ٢١ فى الألف و ٧١ فى الألف (٨٤) بل وصلت النسبة التى يحصل عليها

القسام العسكري في بعض الحالات الى ثلث التركية التي يتركها صاحبها دون وريث وذلك في صافي التركية بعد خصم المصاريف (٨٥) .

وللدلالة على القيمة المالية التي يحصل عليها القسام نلاحظ أنه على سبيل المثال في عام يبدأ من ذى الحجة عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م الى ذى الحجة عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م كانت الرسوم التي جبيت في هذه الفترة هي ٣٤٥٠٠٠ بارة (٨٦) فلو افترضنا أن الرسم المحدد على كل ألف عثماني هو ١٥ عثماني فبذلك تكون رسوم القسام العسكري عن ذلك هو ٢٣٠٠٠٠ بارة في عام واحد وهو مبلغ ضخم .

قضاة الشرع في الأقاليم :

حددت رسوم معينة على القضايا التي تنظر امام قضاة الأقاليم وهذه الرسوم خصص جزء منها للقضاة وجزء منها للعاملين في المحاكم في نفس الوقت نعتقد أن جزءا من هذه الرسوم قد خصص لقاضي عسكر الأناضول وذلك لأنه صاحب الولاية عليهم ولا دخل لقاضي عسكر في هذه الرسوم لأنه لا سلطة له عليهم .

كما يتضح أن قضاة الأقاليم كانوا يحصلون على مرتبات يومية قدرها ٣٠٠ أقجة وينص على ذلك في مرسوم التعيين الصادر من قاضي عسكر الأناضول (٨٧) .

كما تنوعت الموارد المالية للقضاة في الأقاليم ، ولكنها اختلفت في الأقاليم الريفية عن الثغور ، ففي الثغور خصص للقاضي كيس من النقود قدره ٢٥٠٠٠ بارة وذلك من قيمة الصادر الى الميناء (٨٨) .

اما في الأقاليم الريفية فقد خصصت للقضاة مبالغ مالية كعائد لهم من ضمن العوائد المقررة للحكام في أراضي الكشوفية (٨٩).

كما كانت تخصص لهم أجزاء من أراضي الرزقة الإجبائية للانتفاع بها في مواجهة أمور الحياة • كما كانت تخصص لهم أجزاء من أراضي الأوسية (٩٠) للانتفاع بدخلها (٩١) •

يتضح من ذلك الآتى :

١ - تمتع قاضى العسكر بموارد مالية مهمة من حصيلة الرسوم القضائية سواء التى كانت تجبى من القضايا التى تنظر أمام محكمة الباب العالى أو الديوان العام • كما أن له جزءا من الرسوم على القضايا التى تنظر أمام محاكم الأخطاط فى القاهرة •

٢ - تمتع القسم العسكرى بالحصول على مورد مالى ضخم وذلك لضخامة الرسوم التى تجبى من المحكمة كنتيجة لضخامة ثروات العسكرين وكثرتهم •

٣ - كان قاضى عسكر الأناضول يحصل على جزء من الرسوم التى تجبى من محكمة القسمة العسكرية بل انها كانت تجمع فى كثير من الأحيان باسم قاضى عسكر الأناضول، وكذلك يحصل أيضا جزءا من رسوم محاكم الأقاليم بحكم ولايته العامة عليهم •

٤ - تنوعت الموارد المالية لقضاة الشرع فى الأقاليم فهم بالإضافة الى ما يحصلون عليه من رسوم مالية - نظير الرسوم القضائية - فقد خصص مورد مالى سواء على الأراضي الزراعية أو على الجمارك فى الثغور كما كانوا يحصلون على مورد مالى نظير تفويض القسم العسكرى لهم فى نظر قضايا العسكرين فى الأقاليم • إضافة الى رواتبهم التى يحصلون عليها •

٥ - يتضح من المصادر المعاصرة أن جزءا من الرسوم المالية التي فرض على القضايا خصص كرسم باسم السلطان يوضع في بيت المال حتى يرسنل مع الخزائنة السلطانية .

٦ - تشير بعض مصادر هذه الفترة ولاسيما مصادر القرن الثامن عشر الى شراء القضاة لمناصبهم ، وكذلك بيع المناصب القضائية للعاملين معهم ، ولكننا لا نعلم شيئا عن هذه من خلال السجلات الخاصة بهذه الفترة ، كما أننا نعتقد أن الدولة لن تسمح ببيع هذه المناصب القضائية المهمة لمن يدفع أكثر ففي هذا سماح لعديمي العلم والأهلية بدخول هذا المجال وهو ما يتناقض مع ما نعلمه من خلال نفس المصادر من اهتمام الدولة بالنظام القضائي . كما نعلم أن العاملين تحت اشراف القضاة مثل قضاة الأخطاط التزموا بدفع جزء من الرسوم الخاصة بمحاكمهم الى قاضي العسكر ، فيبدو أن الأمر اختلط عليهم فظنوا أنه بيع مناصب نظير رسوم مالية . .

الأنشطة الاقتصادية للقضاة :

شارك القضاة سواء قضاة العسكر أو قضاة الأقاليم في ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة في ذلك الوقت من تجارة وزراعة وغيرها ، ولكن من الملاحظ أن قضاة الأقاليم قد قاموا بدور كبير في ذلك المجال بعكس قضاة العسكر - كما يتضح من خلال السجلات التي أمكننا الاطلاع عليها - وربما يكون السبب في ذلك هو أن قضاة العسكر كنتيجة لوجودهم في القاهرة وهي بؤرة الأحداث السياسية في البلاد وانشغالهم الدائم بالمباركة في الديوان

إضافة إلى إشرافهم على الأوقاف ، لم تعطهم هذه الأحداث المتلاحقة الفرصة للمشاركة في هذه المجالات ، وقد نتج عن دخول القضاة في هذه المجالات تحسين مستواهم الاقتصادي .

التجارة :

بالرغم من تأثر الحالة التجارية لمصر بكشف طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية العصر المملوكي . فإن الحالة التجارية لم تستمر في تدهورها كثيرا ، واستمر وجود التجار الأجانب بها وخاصة بعد تشجيع الفاتح العثماني لهم على المجيء إلى البلاد والتجارة بها للاستفادة من هذا الدخل .

وقد عمل الكثير من القضاة في الأعمال التجارية بالاشتراك مع التجار بل انهم أقاموا الشركات التجارية معهم مثل « القاضي أبو الثنا نصوح بن سليمان الرومي الحنفى الحاكم الشرعى بشفر دمياط الذى أقام شركة مع الزينى خير الدين بن المرحوم محمد المعروف بابن زعيتر التاجر وهو المسئول عن هذه الشركة ، ويرسل الربيع إلى القاضي أبو الثنا كل فترة زمنية » (٩٢) .

كما اشترك القضاة في عمليات تجارية بعضهم مع بعض ، فقد اشترى القاضي عمر أفندى ٠٠٠ من القاضي أحمد الشهير بالزردار الناظر في الأحكام الشرعية بالمحلة الكبرى بالغربية اشترى منه ثلاثة وأربعين قنطار بن بالوزن المصرى وثمان ذلك كله ثلثمائة وخمسين دينارا » (٩٣) .

وكان « درويش أفندى القاضي بولاية الفيوم يتاجر هو الآخر في البن فقد اشترى من الخوجة عبد الرازق بن ياسين بن محمد العسكرى بنا يقدر ثمنه بثمانمائة دينار واثنتين وأربعين دينارا من الذهب الشريقى » (٩٤) .

ولم تقتصر تجارة القضاة على مواد محددة من البضائع بل تعددت هذه البضائع مادام الهدف منها في النهاية هو الربح ، وإن كانت قد تركزت حول تارة البن بصورة كبيرة وذلك لما كانت تدره من أرباح خيالية في هذه الآونة . فقد تاجر « القاضي أبو الجود محمد التميمي القاضي بدمياط في الحطب الرومي واشترى من الرئيس شحاتة بن الحاج عبد النبي الشهير بأبن البياع الرئيس بمراكب بحر المالح ١٣٣٥ قنطار من الحطب الرومي بالوزن الدمياطي (٩٥) » .

وارتبط القضاة مع أفراد من الأوجاقات العسكرية بعلاقات تجارية مثل « القاضي محمد أفندي القاضي بإقليم المنزلة فقد ارتبط بالأمير أحمد بن مصطفى والزيني أحمد بن عبد الرحمن من المتفرقة ومصطفى بن اسكندر الينكجى والأسطى محمد والأسطى رجب من المتفرقة وهؤلاء من التجار في الطواقي ، ارتبط في علاقات تجارية كبيرة وخاصة بالوصلات من القماش القصب » (٩٦) .

وباع « محمد أفندي الرومي الحنفى الناظر في الأمور الشرعية بولاية البحيرة الى السيد الشريف عبد السميع العلوى خنجرا فضة مطليا بآلف نصف واحدة وسبعماية نصف فضة وكذلك مبخرة فضة بتسعمماية نصف فضة واثنين وسبعين وعن ظهريين ثلثمائة نصف فضة واثنين وخمسين نصفاً وعن ثمن ستة ظهور أربعة وعشرين قرشاً أسدياً » (٩٧) .

كما ارتبط القضاة بعلاقات تجارية مع التجار من أهل الذمة وكذلك العاملون في القنصليات الأجنبية (٩٨) .

هذه نماذج من العمليات التجارية التي كان يقوم بها القضاة والتي كانت تدر عليهم قدراً من الربح ولكن هذه الأرباح كانت

غير محددة بالوثائق ، وقد قامت هذه العمليات التجارية بدور مزدوج في النواحي الاقتصادية ، فمن الناحية الاقتصادية أدت الى رفع المستوى الاقتصادي لهم وبالتالي عدم انزلاقهم الى مهاوى الرشوة ومن الناحية الاجتماعية ساعدت على اقامة العديد من العلاقات المتشابكة بين القضاة وطبقات الشعب المصرى .

كما يلاحظ ان النشاط التجارى للقضاة وان انحصر في قضاة الأقاليم فان هؤلاء قد اختلفوا فيها كثيرا فقضاة الأقاليم الريفية لم يظهر لهم دور تجارى كبير بالمقارنة بقضاة الثغور ويعود ذلك الى طبيعة الثغور وما بها من تجار اجانب وما يرد اليها من بضائع وغير ذلك .

(ب) الزراعة :

شكلت الزراعة المصدر الاقتصادى الأساسى لمصر منذ أقدم العصور وذلك لتوافر المقومات الأساسية التى تحتاج اليها من أراض زراعية خصبة ومياه النيل وكذلك الأيدي العاملة ، وقد عمل العثمانيون على الاهتمام بالزراعة منذ دخولهم البلاد فاتحين لعلمهم أنها المصدر الأساسى للثروة وعملوا على ادخال بعض التحسينات عليها .

وعمل العديد من القضاة على تأجير الأراضى الزراعية واستغلالها اقتصاديا . ولكننا لا نعلم كيفية استغلالهم وادارتهم لها . هل كانوا يقيمون بها أو يرسلون من يديرها لهم ويحصلون هم على الأرباح ؟

اننا نرجح أنهم كانوا يرسلون من يديرها لهم ويحصلون هم على الأرباح ولاسيما أن القضاة في كثير من الأحيان كانوا يقيمون

في اقاليمهم القضائية ويستأجرون اراضى زراعية في اقاليم بعيدة عنهم ، فلا يعقل أنهم يتركون أعمالهم الأساسية للتفرغ للإشراف على الأراضى الزراعية وزراعتها .

فقد استأجر القاضى « حسين أفندى بن نصر الدين جميع القطعة الطين السواد الكاينة بميت عقبة بالجيزة ومساحتها مائة فدان ، واستأجر جميع الطين الكاين بكفر منيل العطش بالمنوفية وجميع الطين المعروف بالبرك والقنصرة بجزيرة بنى مضرين غمرين وبركى . وقدره ثلاثة وسبعون فدانا » (٩٩) .

كما استأجر « مصطفى أفندى جاويش زادة الناظر في الأحكام الشرعية بمدينة دمياط ونواحيها من مؤجره الأمير محمد بن عبد الله جميع اراضى ناحية العادلية وكفرها المعروف بالعادلية بولاية دمياط » (١٠٠) .

واستأجر القاضى « تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى القاضى في الأحكام الشرعية بمدينة الفيوم من الشيخ زين الدين عبد الجواد جميع القطعتين الأرض الطين السواد الكائنتين بناحية تاج الدول » (١٠١) واستأجر القسام العسكرى « أحمد بن شعبان من الأمير محمد بن مصطفى عمر حجازى جميع القطعتين الأرض الطين السواد والرزقتين الأحباسيتين الكاين أحدهما بملقة زقين بالجيزة وعبرتها عشرة أفدنة والثانية بناحية المعتمدية بالخيرية أيضا وعبرتها عشرة أفدنة » (١٠٢) كما استأجر القاضى « محمد أفندى جلبى القاضى باقليم الدقهلية النصف حصه من أصل عشر حصص شايما ذلك بأرض ناحية سلنت بالدقهلية » (١٠٣) واستأجر القاضى حسن أفندى التميمى القاضى بدمياط جميع الحصه التى قدرها النصف شايما ذلك فى القطعة الطين السواد الكائنة بناحية

أبنوب» (١٠٤) كما استأجر القاضي حسن أفندي قاضي ثغر دمياط جميع الطين المعروف بالجوراني الواقع فيها بين العدلية وفارسكور بالقرب من ثغر دمياط وهو جار في أوقاف الحرمين الشريفين للانتفاع به بالزرع والزراعة (١٠٥) . كما عمل بعض هؤلاء القضاة على تربية المواشي بجانب الزراعة وكذلك للاستفادة منها في عمليات الزراعة والمتاجرة فيها أيضا . من هؤلاء « عمر أفندي بن أحمد بن شعبان القسم العسكري بمصر » (١٠٦) .

من هذا يتضح التواجد الكبير للقضاة في الانتاج الزراعي عن طريق تأجير الأراضي الزراعية واستغلالها اقتصاديا للاستفادة بما تدره من أرباح كبيرة ولكن لم يدخل القضاة مجال الالتزامات الزراعية بعد تطبيق الالتزام في مصر وربما يعود ذلك الى عدم استقرارهم النهائي في البلاد فاكثفوا بتأجير الأراضي الزراعية فقط من ملتزمها .

ثانيا - الاختصاصات الاقتصادية للقضاة :

(١) دور القضاة في الاشراف على الأوقاف :

الوقف في الشريعة الاسلامية صدقة محرمة . لا تباع ولا تشتري ، ولا توهب ولا تورث ويصرف ريعها الى جهة من جهات البر . وقسم الناس الوقف الى قسمين : الأول الوقف الخيري وهو ما يصرف فيه الربيع من أولى الأمر الى جهة خيرية كالفقراء والمساجد والملاجيء ونحو ذلك . والنوع الثاني : هو الوقف الأهلي وهو ما جعل استحقاق الربيع فيه للواقف نفسه أو لغيره من الأشخاص المعينين بالذات أو الوصف سواء أكانوا أقاربه أم من غيرهم - ثم من بعد ذلك يكون لجهة خيرية - وهذه التسمية حديثة (١٠٧) .

وقد ظلت الأوقاف في مصر مع كثرتها منذ دخول المسلمين مصر ٠ في أيدي المستحقين أو نظار الوقف ، حسب شروط الوقف دون أى تدخل أو اشراف من الدولة حتى ولى قضاء مصر القاضى الأموى توبة بن ثمر « فى زمن هشام بن عبد الملك » فقال ما أرى مرجع هذه الصدقات الا الى الفقراء والمساكين فأرى أن أضح يدى عليها حفظا من البوار والتوارث ومنذ ذلك الوقت أصبحت الأوقاف تابعة للقضاة ، وصار من المتعارف عليه أن يتولى القضاة النظر فى الأوقاف ، بحفظ أصولها واستثمارها وقبض ريعها فى أوجه صرفه فان كان عليها مستحق للنظر فيها حسب شروط الوقف ، راعاها القاضى ، وان لم يكن هناك من ينظر فيها تولى القاضى النظر فيها (١٠٨) ٠

وتنوعت الأوقاف فى العصر المملوكى حتى نظمت فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى فانقسمت الى ثلاثة أقسام رئيسية على الأقل بحسب رئاستها أو تبعيتها وهذه الأقسام هى الرزق التابعة لديوان الأحباس والأوقاف الخيرية على الحرمين وجهات البر وكانت تحت اشراف قاضى القضاة الشافعى وهى التى عرفت بالأوقاف الحكومية ثم الأوقاف الأهلية أو تلك الأوقاف التى امتزج فيها الوقف الخيرى بالوقف الأهلى ، وكانت بيد نظار من أولاد الوقف (١٠٩) وكان قاضى القضاة الشافعى يتناول معلوما من ريع الأوقاف الحكومية نظير اشرافه عليها وهناك من القضاة من تنازل عن هذا المعلوم (١١٠) ٠

وعند مجيء العثمانيين الى مصر كانت مساحة كبيرة من أراضي مصر أوقافا بلغت عشرة قراريط (على اعتبار أن مصر كلها ٢٤ قيراطا) كانت غالبية مباني القاهرة والفسطاط (١١١) وكانت سياسة السلطان سليم قائمة على أساس إبقاء القدر الأكبر من

الأمر على ما هو عليه وعدم أحداث تغيير جوهرى في قوانين السلف وما تعارف عليه الناس ما دامت لا تتعارض مع بقاء سلطته العليا وتبعية الولاية له ، لذلك أصدر السلطان مرسوما في ٢٤ ربيع الآخر ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م الى الكشاف والمباشرين والمتحدثين بعدم التعرض لجهات أوقاف الجوامع والمدارس والمساجد والزوايا والربط والمعابد وأنواع البر والقربات حتى الأوقاف الأهلية والرزق ليس هناك ما يدل على أن سليم قد تعرض لها بل الأغلب أنه ترك أمرها بيد ذويها (١١٢) .

وهناك قصة حول هذا الموضوع وردت في كتب المؤرخين تدل على مدى حرص السلطان سليم الأول على الحفاظ على الأوقاف وهي أنه عندما تقدم خاير بك بمفاتيح البلد الى السلطان سليم ردها عليه وولاه عليها الى أن يموت وشاوره على إبقاء أوقاف الجراكسة وهي نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجازه بإبقائها على ما كانت عليه فشوش وزيره « وقال فتى مالنا وعساكرنا ونسلمهم بلادهم وندخلهم في عساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بذلك ؟ فقال السلطان سليم أين الجلاذ ؟ فضرب عنق الوزير » (١١٣) .

وبدا إشراف قاضى العسكر العثماني على الأوقاف في مصر منذ حضور أول قاضى عسكر لمصر « هو جلبي أفندى » الذى قرر القاضى شجاع العثماني وجعله قاضى عسكر متحدثا على أوقاف الجوامع والمدارس ومعاليهم النظار ، فطلب الجباة وقال لهم « ارفعوا لى حساب الأوقاف وقدر معاليهم النظار وما تدرها كل شهر فشرعوا في أسباب ذلك في عمل الحساب » (١١٤) .

وللدلالة على الحفاظ على الأوقاف في مصر ، نلاحظ أن أحد خواص السلطان العثماني في مصر وهو «داود أغا » أرسل للسلطان مراد خان مصحفاً شريفاً مسطراً باللازورد والذهب محرراً

بخط جميل ، بقلم السلطان بعد ذلك أنه موقوف ضمن أوقاف «ضر
فأرسل الى قاضى القضاة الذى أخذ يبحث فى كتب الأوقاف عمن
وقفه حتى اهتدى الى أن واقفه هو بيبرس جاشنكير على جامع
الحاكم فأعاده مرة أخرى (١١٥) .

وقد نص فقهاء المسلمين على أن من ضمن وظائف القاضى ان
كانت ولايته عامة مطلقة التصرف النظر فى الأوقاف بحفظ أصولها
وتنمية فروعها والقبض عليها وصرفها فى سبيلها (١١٦) .

ويبدأ دور القاضى فى الاشراف على الأوقاف منذ تسجيلها
أمامه واقرار الواقف بوقفه وتصديق القاضى على ذلك الوقف وأنه
صحيح واصدار حجة بذلك الوقف (١١٧) ومن القضاة من تأتى
فى استخدام العبارات الانسانية القوية البليغة فى الامضاء على
الأوقاف من ذلك ما كتبه القاضى « عثمان أفندى بن محمد باشا
قادرين زادة » (على وقفية) الشيخ عبد المعطى شيخ الجراحيه
بالديار المصرية وهو قوله ما تضمنه فحوى هذا الكتاب من أصل
الوقف الواجب رعايه ما يجب رعايته من هذا المجاب حكمته لصحته
ولذويه حكما يعتد به عند ارباب الألباب واقفا على مواقف الخلاف
الواقع بين المجتهدين المستنبطين من السنة والكتاب « (١١٨) .

وبحكم مسئولية القاضى عن ادارة الأوقاف فقد كان من حقسه
أن يعين الناظر على الأوقاف مع مراعاة شروط الواقف فى ذلك ،
وينص قرار تعيين الناظر من قبل القاضى على اختياره لاستقامته
وحسن سيرته (١١٩) .

واضافة الى الناظر الاصلى على الأوقاف كان القاضى يعين
ناظرا آخر وهو ما يعرف باسم (الناظر الحسبى) وهو غالبا - كما
تمدنا المصادر - من العسكريين وتنص المصادر « على أنه عين

ليستعين به القائمون على الوقف على استخلاص مال الوقف ممن هو في جهته كائنًا من كان » وغالبا ما يعين بناء على طلب الناظر الأصلي للوقف أو المستحقين في الوقف من القاضى تعيينه (١٢٠) ولا يحق للناظر الأصلي على الوقف أن يتصرف في شيء من أمور الوقف بدون معرفة الناظر الحسبى ومراجعته له (١٢١) وللحفاظ على الأوقاف من عبث المفسدين وحماية أموالها من القامحين عليها فقد كان يحق للقاضى عزل الناظر اذا خالف شروط الواقف أو اذا أقام شيئا فيه ضرر على الوقف أو على المستحقين أو عدم قدرته على القيام بإدارة الوقف مما يؤدي الى تعطيله عن القيام بواجباته فقد عزل قاضى عسكر « الحرمة زاهدة ناظرة وقف تمر بن عبد الله اليوسفى لأنها لم تعمل للوقف محاسبة مدة مديدة ولشكاية المستحقين بسبب معاليهم ولحصول الضرر لهم بسبب ذلك » (١٢٢) وعزل « حسن بن على الرايحى الناظر على زاوية سيدى الى الدلائل بخط قناطر السباع ... وذلك لتقصيره ولتصرفه الفاسد وقطع أشجار الوقف واستغلال ريعها » (١٢٣) كما عزل « فخر الدين الناظر الحسبى على وقف المرحوم يرسباى الخليلى لقوته واساءته الأدب » (١٢٤) .

وفي الأقاليم كذلك كان لقاضى الاقليم بحكم ولايته على أوقاف اقليمه أن يقوم بعزل الناظر اذا ما حدث منه ما يخالف وظيفته فقد عزل « شاهين بن يحيى العثمانى الناظر على مسجد بن وكيل السلطان بالجلعين ومسجد بن هارون وزاوية قاعة السلاح وذلك لأنه من حين توليته لم يحصل منفعة ولا عمارة بالمساجد المذكورة وآلت الى الخراب لأكله ريع ذلك وعدم صرفه في مصالح الأوقاف المذكورة ولم يوف معاليهم المستحقين بالوقف فحصل لهم بذلك غاية الضرر وسيرته كذلك ذميمة وأفعاله غير مستقيمة » (١٢٥) .

بهذا يتضح مدى اشراف القضاة على نظار الأوقاف وحققهم في عزلهم تحت أى مخالفة كما يجدر القول أنه حتى في حالة حصول الشخص على براءة سلطانية بتعيينه ناظرا لأحد أوقاف القاهرة فلا بد من موافقة قاضى العسكر بحكم ولايته الخاصة على الأوقاف وهى مقدمة على الولاية العامة (١٢٦) .

أما في حالة الأوقاف المشروطة نظارتها بقاضى القضاة ، ففي أغلب الأحيان يوكل غيره في نظارتها عملا بالقاعدة الشرعية من ملك تصرفا شرعيا جاز له أن يوكل به غيره وللناظر أن يعزل من وكره بسبب أو بغير سبب الآن وكيه يستمد التصرف منه وله أن يوكل غيره بعزله وهكذا (١٢٨) فقد استناب قاضى القضاة « درويش أحمد في وظيفة النظر والتحدث على وقف السيد الشريف البروينى المشروط له نظارته » (١٢٨) كما أقام قاضى القضاة « البدرى حسن بلوك باشى طائفة الشراكسة بثغر دمياط وكيلا عنه في التصرف في أوقاف المدرسة المعينية بثغر دمياط المشمولة بنظره بموجب شرط الواقف له » (١٢٩) كما قرر قاضى القضاة عيسى بن ناصرى محمد الشهير بكتبخدا في نيابة النظر والتحدث على وقف المرحوم جانيه بهلوان المشروط نظارته لحضرة مولانا قاضى القضاة « (١٣٠) .

وبالرغم من ذلك فإن الوثائق لا تمدنا بمعلومات عن الأجر الذى يحصل عليه قاضى القضاة مقابل توليه أعمال النظارة كذلك الأجر الذى يحصل عليه مقابل اشرافه على الأوقاف وموظفيها وأعمالها والتفتيش عليها من آن لآخر .

كما أن من حق القاضى ابطال ما يستخدمه الناظر في الوقف من وظائف خاصة في حالة عدم تحمل الوقف لتلك الوظائف (١٣١) .

ووجد العديد من التصرفات التى لا يجوز لناظر الوقف أن يقوم بها الا بعد الحصول على اذن مسبق من قاضى العسكر . مثل

الديون والعمارة وكذلك زيادة مرتب العاملين بالأوقاف - فلا يحق لناظر الوقف القيام بها من تلقاء نفسه وأعطت هذه الحقوق للقضاة نوعاً من الرقابة الشديدة على الأوقاف وبالتالي أدت الى قلة حوادث الفساد فيها .

فقد أذن قاضي القضاة « لصالح جليبي » ناظر وقف يشبك ابن مهدي أن يستدين على جهة الوقف المذكور المبلغ المذكور المستحق على الوقف الآن وأن يدفع ذلك من مال الوقف عند حصوله (١٣٣) وبعد ذلك يقر الناظر المذكور أمام القاضي بأنه استدان على الوقف، ويحدد قيمة الدين الذي استدانته على ذمة الوقف (١٣٣) .

كما أن الفقهاء أجازوا للقاضي أن يزيد في المرتبات اذا كان ما عينه الواقف أصبح لا يكفي وخشى القاضي تعطيل الشعائر بترك القائمين بها عملهم لقلّة مرتباتهم وأجاز له فقهاء الحنفية مخالفة شرط الواقف في ذلك (١٣٤) .

فقد قرر قاضي القضاء « الشيخ يوسف بن الشيخ شهاب الدين وشريكه مدين بن الشيخ حمادة الطريني في وظيفة أذان وملى فسقية وبوابة وفراشة ووقادة بمدرسة شيخ الاسلام البلقيني وقف بنته ألف على عاداتها ٠٠٠ وزاد لها في معلوم ذلك في كل يوم نصفاً واحداً لتساع الوقف وكفاية ريعه بأخبار الواقف (١٣٥) .

وللقاضي أن يدخل من يشاء من المستحقين لمرتبات الأوقاف اذا ثبت له احتياجهم لذلك فقد قرر « قاضي القضاة صفية بنت الشيخ محمد الأيار في مرتب قدره ثمانية أرادب قمح حنطة بوقف الشيخ شاهين بالجبل المقطم » (١٣٦) وقرر قاضي القضاة « أولاد الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن المرحوم سليمان في ثلثي مرتب بالمدينة المنورة بوقف المرحوم سنان باشا » (١٣٧) . وقرر أيضاً

الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ أحمد بن المرحوم عبد الرحمن الشنوني في الريع ستة قراريط في مرتب بوقف المرحوم قانم التاجر « (١٣٨) » .

أما عمارة الأوقاف فلا يجوز لناظر الوقف أن يقوم بها بدون إذن القاضي وبعد أن يثبت له كشف الأوقاف الذي يرسله أن الوقف متهدم وفي حاجة للترميم وفي بعض الأحيان يحدد القاضي المبلغ الذي على العمارة ويشترط أن يكون الصرف بمعرفة مباشر الوقف ويقوم القاضي بمحاسبة الناظر والعاملين بالوقف عما صرف على العمارة من مال (١٣٩) .

وقد وصل الأمر بقاضي الاقليم الى الحد الذي منع فيه القاضي ناظر الوقف ومباشره وشاهديه من قبض مرتباتهم الا بعد العمارة وذلك لأنهم لم يعمرؤا الوقف ولحدوث الضرر الشرعي المقتضى لذلك (١٤٠) .

ومما يحمد به القضاة ويمتدحون تعميرهم الأوقاف واهتمامهم بها من ذلك ما مدح به « حامد جلبي » بأنه عفيف في ولايته مسارع بالحق مجتهد في عمارة الأوقاف وأنها عامرة بالأنصاف (١٤١) .

ويقوم قاضي القضاة بتكليف قضاة الأخطاط كل في مكانه بالكشف عن الأوقاف في منطقة اختصاصه ومعرفة ما يحتاج الى عمارة وما هو متعطل منها والاشراف على أوقافها والتأكد في اصلاحها وترميمها وتنظيمها حتى تكون صالحة للعمل تماما (١٤٢) .

أما عن الموظفين في الأوقاف فيقوم قاضي القضاة بتعيينهم وتحديد مرتباتهم ان لم يكن الواقف قد حدد ذلك في حجة وقفه . ويتبع التعيين ، الاشراف على الموظفين في الأوقاف بل ان بعض القضاة استخدم هذه الوظائف كلانعامات على المقربين منه (١٤٣) .

ولكن الأمر الجدير بالملاحظة هو الاستفادة من المذاهب الفقهية في المعاملات الاقتصادية واستغلال الاختلاف بين المذاهب الفقهية في بعض الأمور الاقتصادية لصالح الوقف أو لصالح المستأجر ومن هذا كثرة عقود الإيجار التي تبرم أمام القاضي الحنبلي « على المذهب الحنبلي » وإصرار المستأجرين على ذلك ويرجع السبب إلى الاستفادة المستأجرين من أحكام المذهب الحنبلي مما كان يضاف على المستأجرين من مزايا عديدة ، حتى أن بقية مدة الإيجار عند موت المستأجر كانت تورث إلى ورثة المستأجر (١٤٤) .

وإمام القاضي كان يتم تسجيل كافة المعاملات الخاصة بأموال الأوقاف وذلك بغرض الحفاظ على أموال الأوقاف من التلاعب ، وفي حالات كثيرة كان الإيجار يتم أمام قاضي القضاة كطرف في الإيجار وذلك بحكم ولايته العامة على الأوقاف أما الأوقاف المشروطة نظارتها لقاضي القضاة فتنص على أنه أجراها بطريق نظارته الخاصة الكاملة (١٤٤) .

أما في حالة المنازعات على الأوقاف فيتم الفصل فيها أمام القاضي بعد الكشف على هذه النزاعات والتحقيق فيها بواسطة الكشائف الذي يوجهه قاضي عسكر إلى محل النزاع للكشف والتحقيق واستماع الشهود ثم بعد ذلك يقضى قاضي العسكر في النزاع ويصدر حكمه في ذلك (١٤٦) .

ويتم محاسبة ناظر الوقف على مصروفات الوقف وأرباحه وما آدوه كل عام أمام القاضي ويقدم الناظر كشفاً بالحساب في هذا الأمر فعندما تقدم « الشرفي يحيى » ناظر وقف الجامع المعروف بالبدرى بثغر دمياط إلى قاضي الولاية قدم كشف محاسبة مما جاء فيه ، فقيم بيانا بما تحصيلي من المسنحات في المدة المذكورة وكذلك

ما تحصل من البساتين ثم المصروف في ذلك في المدة المذكورة وما صرف بعد ذلك من مرتبات المستحقين والعمارة والمرمة وغير ذلك من الأمور الخاصة بالوقف (١٤٧) .

وكان يتم تفتيش دورى على الأوقاف كان في البداية بعناصر عثمانية وافدة ثم بعد ذلك أصبح يتم بواسطة عناصر ادارية محلية تحت اشراف القضاة . وأشهر تفتيش تحدثنا عنه المصادر هو تفتيش عام « ٩٥٤ هـ - ١٥٤٧ م » وما أعقب هذا التفتيش من اعداد بيانات مفصلة عن الرزق والأوقاف في مصر ، مستوى في ذلك العقارات والأطيان الزراعية فقد تم تدوين وتنظيم هذه المعلومات في دفاتر عرفت بعد ذلك « دفتر المولى عبد الله الغزالي » مفتش الأوقاف المصرية وهو قاض أوكل اليه مهام التفتيش على الأوقاف المصرية (١٤٨) .

وما يجدر الاشارة اليه أنه قد جرت بعض المحاولات بفرض خراج على الأرض الزراعية الموقوفة في مصر وابطال المرتبات والأوقاف ، وصدر مرسوم بذلك من السلطان وفتوى من شيخ الاسلام ولكن السلطان طلب أنه اذا عارض أحد من الأئمة في البلاد هذا الأمر يعول على رأيه (١٤٩) .

القضاة والاشراف على اوقاف أهل الذمة :

أما عن الأوقاف الخاصة بأهل الذمة فمنذ العصر الاسلامى كان القضاة ينظرون في اوقاف أهل الذمة ، ويجددون الشهادة بها ، وليس أدل على ذلك من الشكوى التي تقدم بها أحد النصارى الى أحمد بن طولون يشكو فيها القاضى بكار بن قتيبة قائلا : « ان هذا الذى كان . يزعم انه كان قاضيا جعل ربيع أبى حبسا ، فقبال بكاري .

ثبت عندى أن أباه حبس هذا الريح ، وهو يملكه فأمضيت الحبس فجاء هذا متظلماً فضربته فخرج الى بغداد فجاءنى بكتاب هذا الذى يزعم أنه الموفق ألا تمضى أحباس النصارى فعرفت أنه جاهل ، فلم التفت له « (١٥٠) » .

وفى العصر العثمانى أشرف القضاة على أوقاف أهل الدمة وأمامه كان يسجل الوقف ، من ذلك ما وقفه « المعلم أبو المنابن عيسى النصرائى الصايغ » وشرط فى وقفه أن للذكر من أبنائه مثل حظ الأنثيين (١٥١) .

ويقوم قاضى عسكر بتعيين نظار الأوقاف النصراية فقد قرر قاضى القضاة « الذمى رزق بن عبد السيد النصرائى اليعقوبى » على وقف جده « نصر الله بن ميخائيل النصرائى اليعقوبى العطار بالفحامين » (١٥٢) ومن حق القاضى كذلك عزل الناظر على الأوقاف الذمية فقد عزل « الذمى خير الله النصرائى » ناظر الكنيسة الكائنة بحارة الروم السفلى وذلك لعدم تقيده بخدمة الكنيسة ولا ينظر الى فقرائها والمنقطعين بها ولعدم رضا القسيسين به وأنهم يرضون المعلم عبد المسيح النصرائى المباشر ليتقيد بخدمتهم (١٥٣) كما حدثت نزاعات شديدة على الأوقاف الذمية من ذلك أن المعلم « مردفائى بن خلف الله زكريا اليهودى » وقف وسبل وتصدق يوقف فى باب زويلة وبعد ذلك رجع عن الوقف وادعى على ناظر الوقف المذكور وطالبه بتسليمه الوقف ليتصرف فيه تصرف الملاك . ولكن قاضى العسكر حكم بصحة الوقف على قاعدة مذهبه وعدم جواز الرجوع عنه (١٥٤) .

بذلك يتضح أنه كان للقاضى المسلم على الأوقاف الذمية من الاشراف مثلما كان له على الأوقاف الاسلامية من حقوق الاشراف

تماما . كما ان أهل الذمة كعادتهم في تلك الفترة كانوا يلجأون الى القاضى المسلم في كافة تصرفاتهم برضايتهم رغبة في عدالتهم .

وقد حدثت بعض المحاولات لصرف القضاة عن النظر في الأوقاف من هذه المحاولات عندما حصل شخص من القاهرة وجه أنها للسلطان بان القضاة ليسوا أمناء بل خونة أجلاف وحكم على كلهم بانهم فقدوا الاستقامة والانصاف ولأجل هذا طلب من السلطان أن يتولى تقرير الأوقاف ومحاسبتها والاشراف عليها ، وصدر المرسوم للسلطان بتولية ذلك الشخص ، ولكن قاضى العسكر طلب الفتوى من العلماء على ذلك وهل يجوز تولية الاشراف على الأوقاف بدليل أن القضاة خونة وهو لم يأت في ذلك بدليل كما أنه بمراجعة كتب الأوقاف في مصر اتضح أن النظر به انتراض الموقوف عليهم من أولى الأمر الى من يراه الحاكم الشرعى الحنفى في القاهرة . حتى أن من تقلد التولية في نظارة الأوقاف بمرسوم السلطان لا يتصرف فيها بمجرد المرسوم بل يمكن فيها بتقرير قاضى عسكر كما أن الولاية الخاصة للقضاة على الأوقاف مقدمة على الولاية العامة للسلطان (١٥٥) .

وأجاب العلماء على هذه الفتوى أن النظر في الأوقاف مشروط للقاضى وليس للسلطان وذلك لأن الولاية الخاصة للقاضى مقدمة على الولاية العامة للسلطان كما قال بذلك الفقهاء كما أن العرف الذى يعتبر قاعدة من قواعد الفقه قد جرى على تقليد سلاطين آل عثمان القضاة النظر على الأوقاف وبذلك فلا يحق للسلطان تعيين ذلك الرجل للاشراف على الأوقاف وسحب هذا الاختصاص من القضاة . لذا فقد طلبوا من السلطان عزل ذلك الرجل العباى الجاهل بأمر الشرع عن النظر في أوقاف المسلمين — كما قالوا للسلطان أنه من علامات الساعة اذا وكل الأمر الى غير أهله — وأبطلوا العمل بموجب المرسوم الذى أصدره السلطان .

عما سبق يتضح الآتى :

١ - مثل القضاة ادارة رقابية شديدة على الأوقاف ونظارتها وموظفيها ومحاسبتهم عما أنفقوا وعما جبي من إيرادات الوقف وكذلك عزلهم في حالة خطئهم فأدى ذلك الى تقليل نسبة الفساد في الأوقاف الى حد بعيد واستمرار الأوقاف في القيام بواجباتها التي وقعت عليها من قبل الوقف .

٢ - كان القضاة يحصلون على مرتبات من أرباح الوقف نظير إشرافهم عليه ولكن الوثائق لا تمدنا بقيمة هذا المرتب ولكن من الواضح أن الأوقاف مثلت مصدرا رئيسيا لدخل القضاة في تلك الأيام ولاسيما لضخامة حجم الأوقاف في مصر في تلك الآونة وكذلك كثرة الأوقاف التي اشترطت في نظارتها الخاصة أن يكون قاضى القضاة ناظرا لها .

٣ - اشرف القضاة على أوقاف أهل الذمة ومحاسبية نظارتها وعزلهم وكذلك النظر في المنازعات التي تحدث على هذه الأوقاف تبعا للشرع الاسلامي ووفقا لشروط الوقف والذي نلاحظه أنهم في غالب الأحيان يستخدمون القواعد الفقهية الاسلامية مثل اشتراط بعضهم في تقسيم ريع وقفه « وللدكر مثل حظ الأنثيين » .

٤ - نلاحظ أن بعض الأوقاف التي اشترط واقفها أن يكون ناظرها قاضى القضاة ، كانوا يهدفون من وراء ذلك توفير نوع من الحماية للأوقافهم عن طريق ناظرها قاضى القضاة وما لهم من مكانة وقدرة على حماية الأوقاف

من أى معتد واستخلاص حقوقها من أى طرف كائنا
من كان .

٥ - جرت بعض المحاولات لإبعاد القضاة عن النظر في
الأوقاف ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل الدريع
لافتاء العلماء بعدم أهلية ذلك حتى لو أصدر السلطان
مرسوما بهذا الأمر وذلك لأن النظر الخاص للقاضي مقدم
على النظر العام للسلطان .

هوامش الفصل الرابع

- (١) يتخذ البعض من ذلك ذريعة لوصم الحكم العثماني بالطابع العنصرى والتعصب بدليل قصر التمييزات على الأتراك في هذا المنصب الجليل ويذكرون أنه نتيجة لهذا ولكون قاضى مسكر تركيا دائما فقد كان جاهلا باللغة العربية مما تركب عليه قصر نظرهم في الاحكام وعدم الانسجام بينهم وبين الشعب المصرى مما أدى في النهاية الى تدهور النظام القضائى ولكن كما اتضح وجد من بين المصريين من تولى منصب قاضى المسكر ، كما كان قضاة المسكر يجيدون اللغة العربية ولهم مؤلفاتهم بها .
- (٢) الشيخ احمد الريثى مصدر سابق ص ٢ واعتمد عليه من درس هذا الموضوع من بين الباحثين والمؤرخين المحدثين من هذا المنصب انظر أيضا :
 - د/ ليلى عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .
 - دى شابرول ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .
 - د/ محمد نور فريحات ، مرجع سابق ، ص ٣١ .
 - د/ عبد العزيز الشناوى . الأزهر جامعا وجامعة - الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٣ ، ج ١ ص ١٩٥ .
 - حسين الفندى الروزنامجى ، مصدر سابق ، ص ٢٣ .
- (٣) الحسن بن محمد البورينى - تراجم الأعيان من انباء الزمان تحقيق د/ صلاح الدين المنجد - المجمع العلمى دمشق ١٩٥٩ - ج ١ ص ١٣٧ .
 - المحبى - مصدر سابق - ج ١ ص ٣٢٣ .
 - محمد بن أبى السرور البكرى - الروضة المائتة - مصدر سابق ص ٥٣ .
- (٤) شهاب الدين الخفاجى - ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا . المطبعة الباهرة ، القاهرة ١٢٧٣ هـ . ص ٣٦١ وما بعدها .

- (٥) المحبى - مصدر سابق ، ج ١ ص ١٣٠ :
- (٦) الشهر العقارى - سجلات تقارير النظر - س ٧ ق ٧١٨ ص ١١٠ .
- (٧) المحبى - مصدر سابق ، ج ٤ ص ٨٢ .
- (٨) ملاذ الروم - يطلق هذا الاسم على اسنانبول وما جاورها من البلاد التابعة للدولة العثمانية - والسبب في ذلك أنها كانت سابقا تابعة للدولة البيزنطية .
- (٩) نجم الدين الفزى - الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة . تحقيق جبرائيل سليمان جبور المطبعة الأمريكية - بيروت ١٩٤٥ ج ١ ص ٢ ٢٠
- (١٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة الزاهد . س ٦٨٧ ص ١ ، ص ٢٨٢ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . ش ٤٣ ق ١٣ ص ٧ - انظر كذلك الدميرى - مصدر سابق ، ص ٣٠ .
- الفزى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٩ .
- (١١) المحبى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٦٢ .
- (١٢) الفزى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٠٩ انظر كذلك نفس المصدر ج ٣ ص ١٤٠ .
- الحسن البورىنى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٦٧ .
- (١٣) مصطفى بن فتح الله الحموى - قوائد الارشاح ونتائج السفر في اخبار القرن الحادى عشر الهجرى . مخطوط بدار الكتب المصرية ٣١٨٧ تاريخ ج ١ ص ٦٤ .
- (١٤) المنزلة - من المدن القديمة سميت في العصر الرومانى بدار الضيافة - وهى موجودة في نهاية البحر الصغير من جهة بحيرة المنزلة واصبحت مركزا بمحافظة الدقهلية منذ ١٦ مايو ١٩٢٩ . انظر محمد رمزى ، مرتجع سابق ، القسم الثانى ص ٢٠٤ .
- (١٥) الفزى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٦٢ .
- المحبى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٩ ، ج ١ ص ١٥٨ .
- (١٦) الشهر العقارى - سجلات محكمة الاياب العالى . س ١٢٣ ق ١٩٧٥ ص ٤١٩ .

- (١٧) أشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى ، ص ١٢٤
ق ٢١٨ ص ٣٨ .
- (١٨) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٥٨ .
(١٩) نفسه ونفس الجزء ص ٤٦٠ .
(٢٠) أحمد شلى عبد الفنى - مصدر سابق ص ١٦٨ .
(٢١) محمد بن أبى السرور البكرى كشف الكربة - مصدر سابق ،
ص ١٤٧ .
- الاسحاقى - مصدر سابق ، ص ١٤٧ .
(٢٢) أحمد الدررداش - مصدر سابق ، ص ٣٢ .
(٢٣) محمد البرلى السعدى - مصدر سابق ، ص ١٣٠١ .
- محمد بن أبى السرور البكرى - كشف الكربة - مصدر سابق .
(٢٤) المحبى - مصدر سابق ، ص ١٨ .
(٢٥) الدميرى - مصدر سابق ، ص ١٨ .
(٢٦) نفسه ص ٢٣٤ .
(٢٧) أشهر العقارى - سجلات الباب العالى ، ص ٢٠٩ من ١ .
(٢٨) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .
(٢٩) نفسه ص ٢٨ .
(٣٠) دى شابرول - مرجع سابق ، ص ١٩٣ .
(٣١) مصطفى القينالى - مصدر سابق ، ورق ٩٩ .
(٣٢) أحمد شلى عبد الفنى - مصدر سابق ، ص ٣٩٠ .
(٣٣) الجبرتى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢٧ .
(٣٤) ابراهيم الصوالحي - مصدر سابق ، ص ٨٦ .
(٣٥) أحمد شلى عبد الفنى - مصدر سابق ، ص ٤٦٥ .
(٣٦) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ص ٢٢٨ .
(٣٧) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٧ .
(٣٨) الدميرى - مصدر سابق ، ص ٦٠ ، ص ١٦٩ .
- عبد المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ٣٠٥ .
(٣٩) الجبرتى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٢٧ .
(٤٠) المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٩٤ ، ج ٣ ص ١٨٤ ،
ج ٤ ص ١٩ .

٢٨٩

(١٩ م - تاريخ القضاء) .

- (٤١) الجبري - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٢٦ .
- (٤٢) الشهر العقاري - سجلات محكمة قناطر السباع ، ص ١٢٢
- ص ١٠٣ .
- (٤٣) - المحبي - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٤٣٦ ، ج ٢ ص ١٦٨ .
- الدميري - مصدر سابق ، ص ٧ .
- (٤٤) الدميري - مصدر سابق ، ص ٧ .
- (٤٥) المحبي - مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٦٨ .
- (٤٦) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦١ .
- (٤٧) نفس المصدر والجزء ص ٤٦٨ .
- (٤٨) الجبري - مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢٧ .
- (٤٩) الشهر العقاري - سجلات تقارير النظر من ٤ ق ١٠١٩ ص ٩٠ ،
- ص ٢ ق ٧١٦ ص ٥٩ ، ق ٥٨ ص ٥ .
- (٥٠) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط ص ٥٠ ق ٥٤ ص ١٩ .
- الشهر العقاري - سجلات الباب العالي ص ٨٤ ق ١١٦ ص ٢٩ ،
- ص ٩١ ق ١٠٤١ ص ٤٥٣ في ص ٦٧ ق ٢٢١ ص ٥١ .
- (٥١) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي ص ٣ ق ٤٠٦ ص ٨١ ،
- ص ٨٤ ق ٤٨٢ ص ١٠٠ .
- (٥٢) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي ص ٧٠ ق ١٢٣٧
- ص ٣١٢ .
- (٥٣) احمد شلبي عبد الغنى - مصدر سابق ، ص ٢٥١ .
- الجبري - مصدر سابق ، ص ٦٤ .
- (٥٤) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي ، ص ٦٣ ق ١٦
- ص ٣ ، ص ٢ ق ١٠ ص ٨١ .
- (٥٥) ابي الحسن بن حبيب الماوردي - مصدر سابق ، ص ٥٤ .
- Bernard G. Weiss and Arnold. H. Green Asurvey (٥٦)
- of Arab History American University in Cairo, 1980. P. 397.
- (٥٧) السلطان اورخان بن عثمان - تولى الحكم بعد أبيه الغازي عثمان ،
- قام بالكثير من الفتوحات وقتل مقر الحكم الى مدينة بورصة توفي في ٧٦١ هـ
- ١٣٦٠ م . انظر محمد فريد - مرجع سابق - ص ٤٤ .

- (٥٨) د/ محمد حرب - العثمانيون في التاريخ والحضارة - المركز المصري للدراسات العثمانية - القاهرة ١٩٩٤ ص ٣١٥ .
- (٥٩) عرفت المدارس الثمان الأولى منها باسم مدارس الصحن الثمان لوقوعها في وسط استانبول تماما . وتضم كل مدرسة منها تسع عشرة غرفة وثمانى غرف للمدرسين كل مدرس في غرفة منفصلة ، ويتقاضى ٥٠ اقجة يوميا ولكل مدرس من المدرسين الثمانى معيد ، أما الثمانى الأخرى وتسمى موصلة الصحن أو التتمة ويدرس في كل حجرة منها ثلاثة طلبة ويخصص لهم يوميا ما يكفى حاجاتهم .
- (٦٠) على همت اقسكى - مرجع سابق ، ص ٨٣ .
- جودت - مرجع سابق ، ج ١ ص ١٢٠ .
- (٦١) د/ محمد حرب - مرجع سابق ، ص ٣١٠ .
- (٦٢) جب/ يويون - مرجع سابق ، دار المعارف - القاهرة - ١٩٧١ ج ١ ص ١٦٧ .
- جب/ يويون - مرجع سابق ، ج ٢ ص ٢٨٢ .
- (٦٣) على همت افنسكى - مرجع سابق ، ص ٨٩ .
- Bernad and Arnold, Op. Cit., P. 398. (٦٤)
- د/ محمد أليس - مرجع سابق ، ص ١٠١ .
- جودت - مرجع سابق ، ص ١٢٢ .
- دى همت الكى - مرجع سابق ، ص ٨٣ .
- Bernad and Arnold, Op. Cit., P. 398. (٦٥)
- (٦٦) جودت - مرجع سابق ، ص ١٢٤ .
- (٦٧) الدميرى - مصدر سابق ، ص ١٠٣ ص ٢٣٨ .
- (٦٨) الشهاب الخفاجى - مصدر سابق ، ص ٢٣٣ - للمزيد انظر أيضا المحبى - مصدر سابق ، ج ٣ ص ٣ .
- (٦٩) المحبى - مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٣٨ .
- (٧٠) نفسه - ج ٤ ص ٣٩٠ .
- (٧١) مصطفى بن فتح الله الحموى - مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٤٥ .
- (٧٢) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية - مراجعة د/ شوقى غنيف - دار الهلال - القاهرة د/ت ج ٣ ص ٣٢٨ .
- محمد سيد كيلانى - الادب المصرى في ظل الحكم العثمانى ١٥١٧ ، ١٨٠٥ - دار الفرجانى - القاهرة - ١٩٦٨ ص ٢٧٩ .

- (٧٣) محمد سيد تيلاني - مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .
Ismail Hakki. Uzuncarsli. P. 57. (٧٤)
(٧٥) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٩ .
(٧٦) دى شلبرول - مرجع سابق ، ص ١٩٧ ، د/ محمد نور فرحات - مرجع سابق ، ص ٧٠ .
(٧٧) د/ عبد اللطيف - مرجع سابق ، ص ٢٦٦ .
(٧٨) الشهر العقارى - سجلات تقارير النظر س ٣ ق ٦٦٣ ص ٥٧ .
(٧٩) الشهر العقارى - سجلات محكمة قناطر السباع س ١٢٢ ق ١٦٤٦ ص ٤٧٩ .
(٨٠) الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق س ٢٢ ق ١٧٧١ ص ٥٦٥ ، ص ٣٦ الصفحة الأخيرة .
(٨١) الشهر العقارى - سجلاب الباب العالى س ١٥١ ص ٢ .
- سجلات محكمة البرمسية - س ٧١٠ ص ١ ، مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٢٨ ص ٢٣٠ .
(٨٢) الشهر العقارى - سجلات محكمة مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٤٦ ص ٢٣٠ ، ق ١١٢١ ص ٢٢٩ .
- سجلات جامع الحاكم س ٧٣٣ ق ٣ ص ١ .
(٨٣) على مياوك - مصدر سابق ، ج ١٦ ص ٨٨ .
(٨٤) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية س ١١٥ ق ٦٠٣ ص ٤٠٨ ، س ٤٤ ق ٢ ص ٢ ، س ٧٩ ق ٨ ص ٥ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ص ١٢٨ ، س ١١٥ ق ٥٠٤ ص ٢٠٥ .
(٨٥) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن - فصول - مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .
(٨٦) الشهر العقارى - سجلات القسمة العسكرية - س ١٥٦ ق ٢٠٤ ص ١٦٢ .
Ismail, Hakki. Uzuncarsli. P. 95. (٨٧)
(٨٨) دار المحفوظات - سجلات محكمة الاسكندرية - س ١٢ ص ٥٧ ، ص ٧٧ ، س ٧٦ ص ٩٧ .
(٨٩) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٥٣ ص ٢٤ ، س ٢٧ ق ٢٥٣ ص ١٦٢ .

- (٩٠) أرض الأوسية - أصبح الملتزم طبقا لنظام الالتزام ممثلا للحكومة . وثالبا عنها في ادارة الأرض . وخولته الحكومة المركزية سلطات واسعة في حصر التزامه . وكان على الملتزم أن يعمل على صيانة المرافق التي توجد في حصة التزامه ، وفي نظير قيامه بهذا العمل فان الحكومة خصصت له جزءا من أرض القرية التي توجد في حصة التزامه عرف باسم « أرض الأوسية » وهي معفاة من الضرائب ويقوم الفلاحون بزرع هذا الجزء سخرة . انظر د/ عبد الرحيم عبد الرحمن الريف مرجع سابق ، ص ٩٦ .
- (٩١) دار الوثائق - محكمة البحيرة . ص ٢٥ ق ٩٢٦ ص ٤٠٩ .
- (٩٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . ص ١٦ ق ٢٥ ص ٨ .
- (٩٣) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٧٠ ق ١١٧ ص ٣٠٣ .
- (٩٤) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٩٦ ق ٥٨٥ ص ٨٨ ، ص ٩٣ ق ١٣٨٦ ص ٣٥٩ .
- (٩٥) دار الوثائق - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٨٦ ق ٥٨٥ ص ٤٤ ، ص ٩٣ ق ١٣٨٦ ص ٣٥٩ .
- (٩٦) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٦٤ ق ٨٨ ص ٢٤ .
- (٩٧) دار الوثائق - سجلات محكمة البحيرة . ص ١٧ ق ٢٢٧ ص ١٢٠ .
- (٩٨) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . ص ١ ص ٣٠١ ق ١١٧ ، ص ٥٦ ق ٣٨ ص ٢٣ .
- (٩٩) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٦٣ ق ١٥٣٧ ص ٣٦٦ .
- (١٠٠) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . ص ٩١ ق ٨٧٢ ص ٣٨٨ ، ص ٦٣ ق ١٧٨٣ ص ٤٢٧ .
- (١٠١) الشهر العقاري - سجلات محكمة الباب العالي . ص ٦٩ ق ٣٣٧ ص ٩٧ ، ص ٦٥ ق ٣٩٦ ص ١٢٥ .
- (١٠٢) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي . ص ٧٤ ق ٩٤٦ ص ١٦٨ ، ص ٧٤ ق ٨٤٠ ص ١٤٦ ، ص ٧٠ ق ١١٤٠ ص ٢٤٦ .
- (١٠٣) الشهر العقاري - سجلات الباب العالي ص ٦٧ ق ١٨ ص ١٦ .
- ص ٧٨ ق ٦٣ ، ص ١٩٢ .

- (١٠٤) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى . س ٦٧ ق ١٤١
 من ٣٣٥ ، س ٧٤ ق ١٢٣٢ من ٢٢٢ ، س ٧٨ ق ١٠٢ من ٢٤١ .
- (١٠٥) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ١١٩٣
 من ٢٧٢ .
- (١٠٦) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى . س ٧٤ ق ٨٥
 من ١٤٠ .
- (١٠٧) من معنى الوقف واقسامه انظر :
 - أحمد ابراهيم - احكام الوقف والوراثة في الاسلام - المطبعة السلفية
 بالقاهرة ١٩٣٧ ص ١٤ وما بعدها .
- محمد الظاهر بن عاشور - الوقف وآثاره في الاسلام - مطبعة الهداية
 الاسلامية القاهرة ١٩٢٦ ص ١٢ وما بعدها .
- د/ محمد محمد امين - الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ -
 ٩٢٣ هـ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٨٠ ص ٣٨ .
- د/ محمد عفيفى - الأوقاف والحياة الاقتصادية في العصر العثماني .
 ج ٢٠٠ ع . القاهرة ١٩٩١ ص ١١٦ .
- (١٠٨) د/ محمد محمد امين : مرجع سابق ، ص ٤٨ .
- (١٠٩) د/ محمد محمد امين : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .
- القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٤ ص ٣٦ .
- (١١٠) محمد محمد امين : مرجع سابق ، ص ١١٦ .
- (١١١) محمد محمد امين : مرجع سابق ، ص ٩٨ .
- (١١٢) د/ محمد عفيفى : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .
- (١١٣) محمد بن عبد المعطى الاسحاقى - مصدر سابق ، ص ١٤٧ .
- (١١٤) ابن اياس - مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٦٠ .
- (١١٥) الشهر العقارى - سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ١٠٦٢
 من ٢٣٦ .
- (١١٦) البارودى : مصدر سابق ، ص ٥٤ .
- (١١٧) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٣ ق ٨٣٦
- من ١٦٦ ، س ٦٧ ق ١١٥٩ من ٣٣١ .
- (١١٨) الدميرى : مصدر سابق ، ص ١١٣ .

- (١١٩) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٩٣ ق ٢٩٠ من ٤٧٨ ق ٤٣ من ١٠ ، ٨٦ ق ٦٨٨ من ١٠٥ ، ٧٠ ج ٨١٠٣ من ١٠٥ ، سجلات تقارير النظر من ٣ ق ٩ من ١ ، ٣ ق ١٣٨ من ١٢ ، ٩ ق ١٦٣ من ١٩ دار الوثائق القومية - سجلات محكمة البحيرة من ٢٨ ق ١٢ من ٩ ، يس ٢٧ ق ١٠٥٩ من ٨٠ ، ٣٧ ق ٣١٧ من ٢٠١ سجلات محكمة دمياط من ٢٧٩ ق ٧٢ من ٥٦ .
- (١٢٠) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . من ٩ ق ٥٤٦ من ٤٧٧ من ٣ ق ١٦ من ٢ ، ٢٠٦ ق ٢٥ .
- سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٤٨١ من ٩٨ .
- (١٢١) الشهر العقاري : تقارير النظر من ٩ ق ٨٥ من ٢٠ .
- (١٢٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي من ٦٣ ق ٨٥١ من ١٨٢ .
- (١٢٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٧٦ من ٢ .
- (١٢٤) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٦٧ من ١٢ .
- (١٢٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . من ٥٧ ق ٢٧٢ من ١٣٦ .
- (١٢٦) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٥ ق ٥٢٧ من ١٥٤ .
- (١٢٧) أحمد إبراهيم : مرجع سابق ، من ١٠٨ .
- (١٢٨) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٨٥٩ من ١٨٣ .
- (١٢٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . من ٢٩ ق ٢٥٥ من ٨٦ .
- (١٣٠) دار الوثائق : الباب العالي . من ٦٣ ق ١٢٢ من ٢٦ .
- (١٣١) دار الوثائق : سجلات الباب العالي . من ١٥٧ مكرر ق ٨٩٣ من ٢٥٢ .
- (١٣٢) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٢٧٩ من ٦٠ .
- (١٣٣) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ٥٦٣ من ١١٤ ، ٨٦ ق ٣٣٧ من ٣٧ .
- (١٣٤) أحمد إبراهيم : مرجع سابق ، من ٦٣ .
- (١٣٥) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . من ٦٣ ق ١٠٨١ من ٢٤٤ .

- (١٣٦) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ١١٩ ص ١٠ ،
الباب العالى من ٩٣ ق ٣٩١ ص ٧٩ .
(١٣٧) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٢٩٦
ص ٤٣ ، الباب العالى من ٦٣ ق ١٥٨ ص ٥٥ .
(١٣٨) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١٥ ق ٢٠٥
ص ٥٩ .
(١٣٩) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ١١٦٢
ص ٢٢٦ ، س ٦٥ ق ١٣٨٥ ص ٣٩٣ ، س ٨٦ ق ١٤٦١ ص ٢٦٣ . سجلات
تقارير النظر . س ٩ ق ٤٩٣ ص ٦٢ .
(١٤٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦ ق ٣٠١ ص ٦٩ ،
ق ٧١٠ ص ١٣٤ ، س ٢٧٨ ق ٢٢ ص ١٦٨ .
(١٤١) محمد بن أحمد على السكندرى القبطى : التأثيرات العلمية للأوقاف
المصرية - مخطوط بدار الكتب المصرية - حنلى رقم ٧١٣٤ ، ورقة ٦ .
(١٤٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية . س ٢٧٤ ص ٢ .
(١٤٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٥٤ ق ٤٣٥
ص ٩٧ ، س ٩٣ ق ١٠٧٩ ص ٢٤٣ س ٥٣ ق ١٠٤٠ ، س ٢١٨ ، س ٥٤
ص ٥٣٣ ق ١٢٢ س ٨٦ ق ٢٥٠ ص ٣٩ .
- سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ١ ص ١ ، ق ٢٤٤ ص ٢ .
- الدميرى : مصدر سابق ، ص ١١ ، المحبى : مصدر سابق ، ص ٤
ص ٤٦٨ .
(١٤٤) د/ محمد مفيق : الأوقاف ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ .
(١٤٥) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ٤٢٧
ص ٨٥ ، ق ١٠٨٧ ص ٢٤٧ ، ق ٥٤٨ ص ١١٠ ، س ١٥١ ق ٨٢٤ ،
ص ٢٠٣ ، س ٧٠ ق ٩٣٩ ص ٢٤٥ ، س ٣ ق ٣٦٠٢ ص ٧٣٤ ، ق ٣٦٠١
ص ٧٣٤ .
(١٤٦) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٩٣ ق ١٠٢٥
ص ٢٦٤ ، س ٨٦ ق ٣ ص ١ ، س ٦٢ ق ٥٤٢ ص ١٠٩ .
(١٤٧) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٩٣ ق ٧١٥ ص ١٣٥ .
- سجلات محكمة البيرة . س ٢٧ ق ١٦٥ ، س ٨٣ ق ٢٥٢ ص ٧٥
ق ٢١١ ص ١١١ .

- الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٨٦ ق ٦٢٦
ص ٩٥ .
- (١٤٨) / محمد عفيفى : مرجع سابق ، ص ٤٣ .
- (١٤٩) لمعرفة هذه المحاولات انظر :
– محمد بن احمد التيطى : مصدر سابق ، ورقة ٢ .
– عيسى بن عيسى الصنتى – عطية الرحمن : فى صحة ارساد الجوامك
والأطيان . مخطوط بدار الكتب المصرية . فقه المذاهب طلعت ٦٧ . وهو يتكون
من ١٢ ورقة حول هذا الموضوع .
- (١٥٠) د/ محمد محمد أمين : مرجع سابق ، ص ٥١ .
- (١٥١) دار الوثائق : محكمة البحيرة . س ٢٨ ج ٧٧ ص ٤٤ .
- (١٥٢) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ج ٤٣٠
ص ٢٨ .
- (١٥٣) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ج ٤٣٠ ص ٤٨ .
- (١٥٤) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٨٤ ص ١٦٢٢
ص ٣٣٤ .
- (١٥٥) سجلات الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٢٠٦
ص ٣٧٩ . وهو ملحق رقم ٦ من ملاحق الرسالة وتقع هذه الفتوى فى أربع
صفحات .



الفصل الخامس

معاونو القضاة

- ١ - العدول •
- ٢ - الكتاب •
- ٣ - الخبراء •
- ٤ - كشاف الأوقاف •
- ٥ - المحضرون •
- ٦ - الانكشافية •
- ٧ - أمناء السجلات •
- ٨ - المترجمان •
- ٩ - وكلاء الدعاوى •
- ١٠ - المفتون •

معاونو القضاة

لم يكن الجهاز القضائي مقصورا على القضاة اذ كان يوجد العديد من الموظفين الذين يعملون في خدمة القضاة ومساعدتهم بدءا من احضار الخصوم الى المحكمة وترتيب دخولهم الى القضاة حسب أدوارهم وكذلك توثيق الدعوى وكتابتها في السجلات وانتهاء بحفظ السجلات في الخزنة الخاصة بذلك ، ووجد كذلك المفتون الذين يقدمون فتاواهم للقضاة للاسترشاد بها في أحكامهم .

* ويمكن القول ان الجهاز القضائي المكون من القضاة وأعاونهم كان يكون فريقا للعمل القضائي مهمته النظر في قضايا الناس وتسهيل أمور المتعاملين مع القضاة سواء عند نظر القضايا أو عند استنساخ حجج لهم .

١ - العـدول :

تعيينهم : العدالة وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه ومهمة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الاشهاد وأداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم ، وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها

ومن جهة أحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه (١) .

ومن المعروف أن الشهادة أو البينة هي الدليل الأول المعتمد في نظام القضاء الاسلامي ولم تكن الأدلة الكتابية تصلح بمفردها وسيلة مستقلة للاثبات ان رفضها الطرف المدعى عليه ، ففي هذه الحالة لا يقبل الدليل الكتابي ما لم يكن مدعما بشهادة شاهدين على الأقل على صحته ويصدق ذلك على المستندات الرسمية والمستندات العرفية على حد سواء (٢) .

وأول من اتخذ شهودا ثابتين في المحكمة هو القاضي غوث بن سليمان (١٤٠ هـ - ١٤٤ هـ ٧٥٧ م - ٧٦١ م) فهو أول من سأل عن الشهود بمصر في خلافة أبي جعفر المنصور ، وكان الناس قبل ذلك يشهدون ، فمن عرف عنه خير قبل ، ومن عرف عنه غير ذلك لم يقبل على ظاهر الأمر ، حتى كثرت شهادات الزور ، ونشأت في زمن غوث ، فسأل عن الشهود في السر ، واستمر الأمر على ذلك (٣) .

وليس معنى ذلك هو عدم الأخذ بشهادة من يأتي الى المحكمة من الشهود ، ولكن هؤلاء الشهود الثابتين كانوا يحكم وجودهم في المحكمة أكثر صدقا واعتمادا عليهم من غيرهم ونيطت بهم أعمال أخرى بجانب الشهادة في المحكمة .

• ويعين قاضي العسكر الشهود وتسجل قرارات تعيينهم في سجلات المحاكم على النحو التالي « اذن حضرة سيدنا ومولانا . . . الناظر في الأحكام الشرعية بمصر المحمية حالا . . . للشيخ اسحاق النقراوى بان يجلس شاهدا بهذه المحكمة وعليه بتقوى الله في السر والعلانية فانه من سلك طريق الحق نجاة ومن يبتغ الله يجعل له مخرجاً » (٤) .

ويرأس مجموعة الشهود في المحكمة « باشا، شاهد »
 أو « شاهد كبير » كما تطلق عليه الوثائق وتسجل قرارات تعيينهم
 في سجلات المحكمة على النحو التالي « تذكرة من حضرة سيدنا
 ومولانا . . . مصطفى أفندي قاضي القضاة بالديار المصرية جالا
 مضمونها وموجب جروفا هو أن الشيخ شرف الدين يحيى الشرفي
 المالكي بن الشيخ عيد يجلس باشا شاهد بمحكمة جامع الحاكم
 بمصر المحروسة لضبط الوقائع الشرعية التي تصدر بالمحكمة
 وعليه العمل في ذلك بتقوى الله » (٥) .

وكانت تتم حركة تنقلات قضائية للشهود في المحاكم المختلفة
 في القاهرة مثل نقل « الشيخ محمد البكري المجولي الشاهد بمحكمة
 الشيخ أحمد الزاهد الى محكمة مصر القديمة بناء على طلب
 الحاكم الحنفى بها والحاكم الشافعى لوجود أهليته واستقامته
 ومعرفته للورقة » (٦) .

ويلاحظ أن بعض الناس كانوا يرفعون التماسات لقاضي
 العسكر لطلب تعيينهم في المحاكم المختلفة في القاهرة مثذرعين في
 غالب الأحوال بفقرهم وأنهم ذوو عيال . وفي نفس الوقت أهليتهم
 لذلك وقدرتهم على القيام بأعباء هذه الوظيفة (٧) .

وعلاقة القضاة بالشهود يسودها المودة في غالب الأحيان
 إذا أبقى القضاة على الشهود في وظائفهم بدون استبدال
 غيرهم بهم . وعلى العكس من ذلك في حالة استبدال غيرهم بهم
 يتعرض القضاة في هذه الحالة للنقد الشديد والهجاء اللاذع من جانب
 الشهود (٨) .

وعلى هذا كانت علاقة الشهود بالقضاة يغلب عليها المصلحة
 قبل أى شئ آخر ففي حالة عزلهم ينعتون القضاة بالعديد من
 الصفات السيئة ويهجونهم بالقصائد الشعرية التي تتداع بين

التاسي . وعلى هذا ينبغي الا نتخذ من قصائد الشعر ذريعة ضد القضاة قبل أن نفهم الظروف وراء قولها وشاعرها .

ولم يكن عدد الشهود في المحاكم ثابتا فقد كان يتعرض للنقصان والزيادة ، ويخضع هذا لحجم المحكمة وعدد المتعاملين معها . وفى عهد القسم العسكرى « لطف الله محمد بن أبى بكر » وجد في محكمة القسمة العسكرية أكثر من خمسة عشر شاهدا ، وأدى ذلك الى الاختلاف واللفظ بينهم كذلك طمعوا في أموال المسلمين وكانت أعمال المحكمة تتم بشاهدين يكتبان الأمور الشرعية الصادرة بين العساكر . لذا فقد عزل غالب الشهود العاملين معه (٩) .

أما في محاكم الأقاليم فيعين قاضى الاقليم الشهود في محاكمهم وتحديد أعمالهم ويقيد قرار التعيين في سجلات المحكمة على النحو التالى « بين يدى مولانا محمد أفندى دام فضله قرر ٠٠٠ الشيخ شمس الدين محمد ابن المرحوم المغفور له القضاى أحمد الشهير نسبه الكريم بابن حجر الشافعى عدلا بالمحكمة المشار اليها وذلك لعدالته وأمانته وحسن سريره واستقامته واتقانه للحساب وأذنه بتعاطى ما شرح وبكتابة الحجج الشرعية الموافقة للشرع الشريف والقانون المنيف أسوة امثاله من السادة العدول بالمحكمة المشار اليها (١٠) » .

اختصاصات الشهود :

ويظهر أن وظيفة العدول هي :

أولا - كتابة العقود بين الناس في معاملاتهم مستوفية شروطها الشرعية .

ثانيا - أن يستعين بهم القاضى على تزكية الشهود الذين يشهدون عنده في الخصومات لأن القاضى انما يحكم بالبينة المزكاة وليس له أن يلزم الشهود له باحضار من يزكى شهادته (١١) .

وفيما يتعلق بالدعوى القضائية ، كان عمل الشاهد يبدأ بمجرد أن يتوجه المدعى بدعواه الى المحكمة . اذ يقوم الشاهد بسماع شهادة المدعى شفاهة وتدوينها في صورة دقيقة تصلح لتقديمها الى القاضى فعمله هنا اشبه بعمل قاضى التحضير (١٢) .

وفي القضايا المختلفة التى كانت تعرض على القضاة كانوا يأخذون بآراء الشهود وينص على ذلك في آخر القضية وعند اصدار الحكم وفي نفس الوقت تمتع الشهود بحرية كبيرة في التحقيق في قضايا الجنائيات والطب الشرعى . فقد كانوا يقومون باستجواب شهود الحادث ومحاولة معرفة ملابساته وكذلك القيام بالكشف على جثة المتوفى ومعاينتها وتحديد الاصابات الموجودة بها ورفع تقرير بذلك الى القاضى الذى يأخذ بما جاء فيه عند اصدار حكمه في القضية (١٣) .

ويقوم الشهود بتحرير الحجج الشرعية المثبتة للأحكام القضائية ، كما كانت لهم وظيفة أرحب في تحرير الحجج الشرعية المثبتة لكافة أنواع التصرفات القانونية من زواج وطلاق وبيع واجارة وهبة ورهن وشركة وغير ذلك وكان يصدق على حجية هذه الوثائق نفس من يصدق على حجية الأحكام (١٤) .

ولم يكن من حق الشهود التوجه الى خارج المحكمة الا بعد الاذن من نائبها الحنفى (١٥) ومن يتوجه الى الاشهاد خارج المحكمة بدون اذنه يعزل من عمله . كما أنهم لا يأخذون الرسوم بأيديهم (١٦) .

وكانت الأوامر تصدر من قاضى العسكر بوصفه رئيس الهيئة القضائية في القاهرة الى الشهود في كافة محاكم القاهرة وبولاق

ومصر القديمة بتنظيم أعمالهم وعدم شرب الدخان في المحاكم ،
وعدم تناولهم الطعام بمجالس الحكم وكذلك عدم دخولهم الى القهاوى
لأن في ذلك مساواتهم بالأرذال وهو يتعارض مع ما للمنصب من
شرف ومكانة رفيعة (١٧) •

عزل الشهود :

وخضع العاملون في المحاكم ومن ضمنهم الشهود لرقابة
شديدة من النواب في محاكم الأخطاط وكذلك من قبل قضاة
العسكر • وكان يتم عزل المخالف منهم على الفور « فقد عزل
الشيخ سليمان المنزلاوى من تعاطى الشهادة بمحكمة الصالحية
النجمية لأنه تعاطى الأمور الممنوعة بدون أمر من له ولاية الأمر في
ذلك فانه ساقط العدالة » (١٨) وعزل « أحمد بن أحمد أصالة من
محكمة مصر القديمة لعدم أهليته وعدم استقامته وأكله الحشيش
بالمجلس شفاها وقلة أدبه على النايب الحنفى وسبه بالألفاظ
القبیحة وكتابة الامضاءات بالتزوير على اسماء النواب » (١٩) •

كذلك كان يعزل الشهود في حالات كثيرة مختلفة مثل تقاضيتهم
الرشاوى من أجل الشهادة الزور واضرار المسلمين لارتكابهم الأعمال
الباطلة (٢٠) •

كما يلاحظ أن الباشا بحكم ولايته العامة المستمدة من سلطة
السلطان وذلك بوصفه نائبا عنه ، كان يقوم بتوقيع العقاب على
المخالفين من الشهود ففي (رمضان عام ١١٠٨ هـ - مارس ١٦٩٩ م)
أمر الوزير باحضار محمد الزرقاني أحد شهود المحكمة لأنه
كتب وقفية بيت آل الى بيت مال الوزير بالتزوير • فأمر الوزير
بعقابه عن طريق خلق لحيته وشهره على جمل في أسواق القاهرة ،

والجلاد ينادى هذا جزاء من يكتب الحجج المزورة ثم أمر
بنفيه (٢١) .

وكان الشهود ينتسبون الى الأوجاقات العسكرية لتوفير نوع
من الحماية عندما يرتكبون الأمور المخالفة . لذا صدرت الأوامر
من قاضي العسكر بعدم الانتساب الى الأوجاقات ومن حدث منه
ذلك يعزل (٢٢) .

كذلك لم يكن شهود محاكم الأقاليم بمنأى عن العقاب في حالة
خروجهم عن مقتضيات وظائفهم فقد كان يوقع العقاب الشديد
والعزل الفوري من جانب قاضي الاقليم ، وكذلك من قبل الباشا
بحكم ولايته العامة (٢٣) .

ولم تكن علاقة الشهود بعضهم ببعض تخلو من شحنة
وتباغض وهي لا يخلو منها أصحاب العمل الواحد في الوقت نفسه
كانت هناك علاقات التصاهر بين الشهود (٢٤) .

وعلى الرغم من ذلك وجد العديد من الشهود العلماء أصحاب
المؤلفات الأدبية والدينية مثل « محمد الفشنى الشافعى أحد الشهود
بمحكمة الزاهد كان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً توفى في (١٧ ذى القعدة
١٠٢٧ هـ - ٧ نوفمبر ١٦١٧ م) » (٢٥) ومنهم كذلك « محمد بن
ابراهيم المبلط » أحد الشهود الفضلاء بمحكمة الصالحية النجمية
وهو من أكابر العلماء وله العديد من المؤلفات العلمية والأدبية (٢٦) .

الموارد المالية للشهود :

قررت للشهود رسوم معينة على الحجة لا يتعدونها تبعاً
لما قرره لهم قاضي العسكر وهو نصفان على كل حجة ومن خالف
من الشهود يعزل على الفور (٢٧) .

وترك للشهود حرية العمل في وظائف أخرى بجانب وظيفتهم في المحكمة مثل الوظائف الادارية والدينية في الأوقاف حيث كانت تستوعب أعدادا كبيرة منهم وذلك بغية إبعادهم عن قبول الرشاوى في أعمالهم .

فقد « قرر الشيخ بدر الدين حسن البدوى » أحد السادة الشهود بمحكمة الباب العالى في كامل امامة وكامل فراشة وكامل بوابة ونصف قراءة آية الكرسي ونصف ترقية بوقف شمس الدين الواسطى بما لذلك من المعلوم (٢٨) وقرر « الشيخ ابراهيم بن الشيخ شمس الدين أحد السادة العدول بمحكمة باب الخرق في وظيفة الشادية (٢٩) بوقف المرحوم سيد بن سلطان شاه بما لذلك من المعلوم » (٣٠) .

ويبدو أن الشهود نتيجة لهذه الأعمال كانوا ذوى مستوى اقتصادى عال فمنهم « الشيخ محمد الأشبولى الشافعى أحد العدول بالمحكمة الكبرى وكان ذا ثروة وشهرة وكانت له دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج الناصرى وأخرى بشاطيء النيل بالجيزة » (٣١) .

ويظهر من السجلات أن الشهود كان لهم نشاط في الأراضى الزراعية فقد « اشترى علم الدين سليمان بن المرحوم حمزة المبياوى أحد السادة العدول بمحكمة الباب العالى من ولد أخيه الزينى نصار بن حمزة اثنى عشر سهما من أصل أربع وعشرين سهما شايعا هذا في أراضى ناحية منية الرخا والقليوبية بحوض يعرف بأبى دورة وثلثها من الذهب الشريفى معاملة تاريخه بالديار المصرية أربعة وثلاثون ديناراً شريفياً (٣٢) مقبوضاً بيده القبض الشرعى » (٣٣) .

ولا يمنع هذا من وجود شهود ضعاف النفوس تطلعت أعينهم الى ما ليس لهم فقبلوا الرشاوى ، وكذلك تحايلا على النواب فى المحاكم فى تضييع الرسوم المالية عليهم وذلك بعدم تقييدهم القضايا فى السجلات ، كذلك قيامهم بالفصل فيها فى غياب النواب حتى وصفتهم مراسيم قاضى العسكر « بانهم يأكلون الرسوم اكل الكلاب » (٣٤) .

وقد كان الشهود فى الأقاليم يدفعون رسوما لجانب بيت المال وتصدر الأوامر من الديوان لهم بدفع هذه الأموال كما هى العادة فى شهر توت وبعد ذلك تكتب لهم البراءة بتولية أعمالهم والاستمرار فيها (٣٥) .

ولكن لا نعلم اذا كان هذا الأمر خاصا بشهود الأقاليم كما يتضح من نص الوثيقة أم أن ذلك كان أمرا منطبقا على الشهود فى كافة المحاكم سواء فى الأقاليم أو فى محاكم القاهرة وهذا ما نميل اليه .

يتضح من ذلك الآتى :

١ - لم تكن أعمال الشهود مقصورة على الوظيفة التقليدية للشهود بل وجدت لهم أعمال مختلفة تماما فى المحاكم بجانب الشهادة مثل توثيق العقود سواء الزواج أو الشراء أو البيع وكافة المعاملات .

٢ - خضعت أعمال الشهود للمراقبة الشديدة من جانب القضاة حفاظا على فقراء المسلمين من التدليس والنس والرشاوى التى قد تقع عليهم من جانب بعض ضعاف النفوس من الشهود الذين يتم عزلهم على الفور ولا تقبل فيهم شفاعاة .

٣ - تتطلب وظيفة الشهادة صفات خاصة فيمن يطلبها يجب أن يكون قد مر بمراحل تعليمية معينة ونال قسطا وافرا من علم الفقه وعلوم الدين حتى يكون قادرا على التعامل مع القضايا المختلفة التي تعرض عليه ويقوم بكتابتها وتوثيقها .

٤ - تمتع الشهود بسلطة تحقيق واسعة في القضايا الجنائية واستجواب شهود الحادث والكشف على المجني عليه ، وتقديم تقريرهم الى القاضي الذي يأخذ برأيهم . فهم يقومون بما يقوم به الطبيب الشرعي في الوقت الحاضر .

٥ - سمح القضاة للشهود بالعمل في الوظائف الادارية في الأوقاف وذلك لرفع مستواهم المادى حتى لا تمتد أعينهم الى ما ليس لهم بحق وينزلقوا الى المهاوى الأخلاقية التي تؤدي الى فساد أعمال القضاة بل انهيار النظام القضائي .

٦ - تراوحت العلاقة بين القضاة والشهود تبعا لموقف قضاة العسكر منهم ففي حالة عزلهم واستبدال غيرهم بهم يتعرض القضاة لحملة شديدة من الهجاء والنقد اللاذع . أما اذا استمروا في وظائفهم فتكون علاقتهم حسنة فهي علاقة نابعة من المصلحة الخاصة لهم .

٢ - الكتاب :

تعيينهم : يعتبر الكتاب من أهم معاونى القضاة فقد نيط بهم كتابة الحجج في السجلات وكذلك الكشف عنها واستخراجها وقت الحاجة اليها . واختلف عدد الكتاب في المحاكم تبعا لنوع المحكمة وعدد المتعاملين معها وكثافة القضايا التي تنظر أمامها .

فعدد الكتاب في محاكم أحياء القاهرة كاتب أو اثنان أو ثلاثة ولا زيادة على ذلك بعكس محكمة الباب العالي فقد كثر عدد الكتاب على ذلك نظرا لأنها كانت مقرا لقاضي العسكر (٣٦) .

ويعين قاض العسكر الكتاب ويحدد اختصاصاتهم تبعا للمحكمة التي يعملون بها واختصاصاتها النوعية ، فكتاب القسمة العسكرية يختصون بأمورها فقط كذلك كتاب الباب العالي لا يتعدون الاختصاصات المنوطة بالباب وهكذا .

ويسجل قرار تعيين الكتاب في سجلات المحاكم على النحو التالي « هو أن حضرة سيدنا ومولانا شيخ الاسلام . . . أذن للشيخ الامام العمدة علم الدين سليمان الحنفى بأن يجلس بالقسمة العسكرية ويتعاطى ضبط تركات الأموات العسكرية ذكورا واناثا وأتباعهم وأيتامهم والأيلولات والاشهادات والتصادقات المتعلقة بذلك » (٣٧) كذلك « أذن مولانا شيخ الاسلام . . . للشيخ زين الدين أحمد الخريبي بأن يجلس كاتبا بمحكمة الباب العالي لتعاطى كتابة التمسكات وضبط الدعاوى » (٣٨) .

وينص قرار التعيين على اختياره « لحسن سيرته ، لاستقامته وعفته وديانته وأمانته وفضله ومعرفته بوقايح الأحكام الشرعية وضبطه » (٣٩) .

ويقيد في السجل بداية عمل الكاتب ثم يظهر بعد ذلك امضاؤه على الحجج الشرعية على النحو التالى « فى يوم السبت تانى شهر صفر الخير سنة ١٠٠٩ هـ - ١٤ أغسطس ١٦٠٠ م وفيه جلس الشيخ شمس الدين مقيد بالسجل » (٤٠)

ووجد بعض الكتبة الذين كانوا يجمعون بين العمل فى أكثر

من محكمة في وقت واحد مثل « الشيخ شمس الدين محمد المهدي الكاتب بمحكمة بولاق ومحكمة الباب العالي » (٤١) و « الشيخ رشيد الدين مصطفى كاتباً بالباب العالي وبمحكمة القسمة العسكرية » (٤٢) .

وكان بكل محكمة رئيس للكتاب يطلق عليه « باش كاتب » المحكمة ومهمته الاشراف على الكتاب وتوجيههم للأعمال المختلفة وكذلك مراجعة أعمالهم لضمان حسن سيرهم وعدم التدليس أو الخطأ فيها ، وكانت تحفظ تحت يده السجلات الشرعية للمحكمة (٤٣) وتصدر الأوامر التي تنص على وجوب امتثال الكتاب لأوامره ونواهي في سائر الأمور الخاصة بالمحكمة وعدم تعديهم لها بأمرهم به (٤٤) .

ويصدر قاضي العسكر قرار تعيين باش كتبة المحاكم المختلفة ، وأحياناً يتدخل في طلب تعيينهم الأوجاقات العسكرية والسادة العلماء والسادة الأشراف والأمراء (٤٥) .

يعين باش كتبة المحاكم في أحيان كثيرة بناء على طلب الكتاب لهم مثل « تعيين الشيخ زين الدين مصطفى الوسيمي باش كاتب محكمة قناطر السباع حسب طلب الكتاب بالمحكمة له » (٤٦) .

هكذا نجد ان باش كتبة المحاكم المختلفة كانوا هم المسئولين عن الكتاب وأعمالهم وأن اختصاصتهم كانت قد زادت في القرن الثامن عشر فقد نبط بهم « سماع الدعاوى الشرعية » (٤٧) كما تنص مراسيم تعيينهم ، وربما يكون مرد ذلك ما يقابلنا في السجلات من وجود قاض واحد تولى سبع محاكم في وقت واحد فأدى ذلك الى زيادة اختصاصات الباش كتبة .

تنظيم أعمال الكتاب :

صدرت العديد من الأوامر من قاضى العسكر الى الكتاب فى محاكم القاهرة المختلفة لتنظيم أعمالهم مثل عدم التعدى على اختصاصات الكتاب فى المحاكم الأخرى وعدم كتابتهم لشيء من ذلك الا بعد الاذن لهم (٤٨) وعليهم الا يكتبوا مادة متأخرة التاريخ بعد مرور أكثر من ثلاثة أيام على كتابتها (٤٩) .

ولا يسمح للكاتب الواحد بان يقوم بكتابة حجة بمفرده ما لم يكن معه رفيقه عملا بقوله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) ويمنع الكاتب من التوجه بمفرده الى أى مكان للكتابة ما لم يكن معه رفيقه (٥٠) ولا يخرج الكتاب لقضاء المصالح الخاصة بالمحكمة خارجها الا بعد الاذن لهم من النائب الحنفى بها (٥١) .

وعلى الكتبة ان يجلسوا بمقر المحكمة التى يعملون بها من ضحى النهار الى اذان العصر يوميا ومن لم يفعل ذلك يطرد من العمل (٥٢) ولكن الباش كتبة يحضرون الى محكمة الباب العالى فى كل يوم من الصبح الى الظهر وبعد ذلك من الظهر الى العصر فى محاكمهم يعملون بها (٥٣) .

كذلك كانت المراسيم الصادرة من قاضى العسكر تمنع الكتاب من كتابة حجة بتاريخين والا تعرضوا للعقاب (٥٤) وعند مراجعة قاضى العسكر لسجلات محاكم أحياء القاهرة اتضح ان بعض الحجج مكتوبة بخط مشوش ولحن فاحش يغير المعنى وفى ذلك ضياع لحقوق المسلمين وعلى ذلك أمر الا يكتب الحجج الا صاحب الخط الحسن حفظا لحقوق المسلمين (٥٥) .

وفى حالة خروج الكتاب عن مقتضيات وظائفهم كانوا يتعرضون للشكاوى من جانب العلماء والأجاقات العسكرية من ذلك شكوى

أوجاق الانكشارية لقاضى العسكر من الكتاب « بسبب تقصيرهم وعدم التحرى فى الدعاوى والأحكام الشرعية وعندئذ أمر قاضى العسكر بعدم فعل ذلك مرة أخرى ومعاينة المخطيء بالعزل من العمل » (٥٦) .

. وعلى الرغم من ذلك كان الكتاب يقومون بالشطب عليها والكتابة بعد ذلك ، فيوجد فى احدى الوثائق قول الكاتب « مبطل أولها وجارى العمل بباقيها لسهو حصل فيها » (٥٧) وعند اتمام السجلات تختتم بالرباط والشمع وترسل الى خزانة الباب العالى .

عزل الكتاب :

خضع الكتاب للمراقبة الشديدة سواء من جانب الباش كتبه أو من جانب القضاة ، وإن كانت أعمال المحاكم بوجه عام تخضع لنوع من الرقابة الشديدة من جانب العلماء المصريين والأوجاقات العسكرية التى كانت تتدخل فى بعض الأحيان لطلب عزل أو اقرار العاملين فى المحكمة .

لذا فقد تعرض بعض الكتاب للعزل نتيجة خروجهم عن الواجب المؤلف القيام به ، فقد صدر أمر قاضى العسكر بعزل « الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى العبادى من الكتابة بساير المحاكم ولا أحد يقبل منه كتابة الأمور صدرت منه غير لايقة » (٥٨) . كما عزل « الشيخ أحمد الطولونى من محكمة الصالحية وساير المحاكم لصدور أمور منه غير لايقة فى حق السادة المجاورين بالأزهر » (٥٩) .

وفى حالة ما اذا اتضح أن عزل بعض الكتاب كان نتيجة لوشاية كاذبة ويتم التحقق من هذا الأمر يتم إعادة الكاتب مرة أخرى

من ذلك عندما أمر قاضي العسكر بعودة كل من « الشيخ أحمد القصر والشيخ منصور الضوى وإبقائهم في الكتابة مع ما كانوا فيه من الرعاية والاکرام لكون ما ذكر في المراسلة السابقة في شأنهم من صدور أمور غير لايقة انما هو مجرد قيل وقال » (٦٠) .

وفي حالة رجوع الكاتب عن ذنبه وتوبته وتعده بعدم العودة الى مثل ما ارتكب من التزوير والتدليس وقبول الرشوة في هذه الحالة يأخذ عليه قاضي العسكر التعهدات ويسمح له بالعودة لممارسة عمله مرة أخرى . وفي حالة العودة الى مثل هذه الأمور يعزل فوراً من عمله (٦١) .

ولم تخل محاكم الأقاليم من مثل هذه الأمور فقد رفع الحاكم الشرعى بشعر دمياط شكوى للديوان العالى بسبب « شكوى الحاج أحمد الدمياطى على ابراهيم الكارمى وأنه كتب عليه حجة بالتلبيس والتدليس وأن الكاتب المذكور تسحب من الثغر ووجدت له وقايع كثيرة بالسجلات فصدر أمر من الديوان الى القضاة والكشاف والحكام بالوجهين القبلى والبحرى بالفحص عن المذكور والقبض عليه وتجهيزه للديوان مجنزرا عليه » (٦٢) .

الموارد المالية للكتاب :

وقرر للكتاب على كل حجة نصفان فضة (٦٣) كما سمح لهم بالعمل في وظائف الأوقاف والأعمال الادارية بها ، كما عمل بعضهم في الأعمال الدينية كالامامة وقراءة القرآن الكريم وذلك لزيادة دخلهم من هذه الأعمال وحمايتهم من تناول الرشاوى . فقد كانت هذه الوظائف توفر دخلا اضافيا للكتاب مما يجعلهم يعيشون في ثراء من العيش .

فقد قرر قاضي العسكر « الشيخ محمد القرافي من السادة الكتاب بالقسمة العسكرية في كامل المباشرة (٦٤) وكامل الامامة والشادية وخدمة المسجد ونصف ورع اذان ونصف شهادة بوقف المرحوم القاضي عبد اللطيف بما لذلك من المعلوم » (٦٥) وقرر « زين الدين عبد الوهاب القرافي رئيس الكتاب بالقسمة العسكرية في وظيفة النظر والتحدث على وقف القاضي عبد اللطيف القرافي » (٦٦) .

يتضح من ذلك الآتي :

- ١ - تمتع الكتاب بمكانة كبرى بين موظفي المحاكم تبعا لما نيط بهم من أعمال قضائية تطورت مع الزمن مثل سماع الدعاوى الشرعية في القرن الثامن عشر .
- ٢ - خضع الكتاب في المحاكم المختلفة لرقابة شديدة من جانب قاضي العسكر وقضاة الأخطاء وكانوا يتعرضون للعزل في حالة خروجهم عن مقتضيات وظائفهم أو صدور أمور غير لائقة منهم .
- ٣ - كان الكتاب يتوجهون للكتابة خارج المحكمة في حالات معينة مثل الكتابة على المريض وعدم القادرين على الذهاب الى المحكمة بعد الاذن من القضاة لهم في ذلك ولا يتوجه كاتب بمفرده ما لم يكن معه رفيقه .
- ٤ - لم يكن عدد الكتاب في المحاكم متساويا بل اختلف عددهم تبعا لمكانة المحكمة وكثافة المتعاملين معها من المتقاضين اللاجئين اليها .
- ٥ - يتقيد الكاتب في محكمته بالاختصاصات النوعية للمحكمة التي يعمل بها وتصدر الأوامر من قاضي العسكر

بتحديد هذه الاختصاصات ، وتهديد من يتعرض لها
بالايداء والطرء من العمل فورا .

٦ - بعد انتهاء السجل الذى يقيد به الكتاب القضايا كانوا
يقومون بختمه بالشمع ويرسلونه ليحفظ فى الخزانة
الخاصة بالسجلات فى الباب العالى .

٧ - عمل القضاة على أن يأمرؤا الكتاب بأن تكون خطوطهم
واضحة واسلوبهم جميلا حتى لا تضيع حقوق المسلمين
من جراء سوء الخط والأسلوب .

٨ - وجد من الكتاب من خالفوا ضمائرهم وسمحوا لأنفسهم
بتقاضى الرشاوى والتدليس فى الكتابات وتأخير كتابة
القضايا وفى هذه الحالة كان يتم عزلهم فورا حرصا
على مصالح المسلمين .

٩ - يقوم الباش كاتب فى المحكمة بالاشراف على الكتاب فى
المحكمة التى يعمل بها ، وتقويم أعمالهم اذا انحرفوا عن
وظائفهم كذلك فقد كان الباش كاتب يتوجه الى محكمة
الباب من الصبح حتى أذان الظهر ، ويبدو أن ذلك كان
لامضاء الأعمال الخاصة بمحاكمهم وبعد ذلك يقضون
من الظهر الى العصر فى محاكمهم التى يعملون بها .

٣ - الخبىراء :

استعان القضاة فى هذه الآونة بالخبراء لامدادهم بالأراء الفنية
فى القضايا التى تتطلب آراء فنية خافية على القضاة مثل
الجراحية والقابلات والمهندسين وغير هؤلاء من أعضاء الطوائف
الحرفية الذين تستعين بهم المحكمة ولاسيما عند تقرير قيمة التركات
وتقسيمها بين الورثة .

وهذا الأمر معروف في العصر الحديث وشائع في الأنظمة القضائية الحالية وهو ما يعرف بلجنة الخبراء ويدل على ذلك مدى الاهتمام بأمور الناس وقضاياهم والتحرى فيها من أهل الخبرة حتى حقوق الناس ،

فعندما اشترى الحاج « إبراهيم بن المرحوم سعود المقرئ جارية سوداء تدعى حليلة من بايعها السيد الشريف عبد الله بن المرحوم السيد يوسف الديار البكري وأنه اشتراها منه سالمة من العيوب الشرعية والآن ظهر بها عيب شرعي وهو الحمل . وعندما انتدب القاضي المدعى عليه ، طلب القاضي احضار القابلات للكشف عليها وكشفتا على الجارية المذكورة وأخبرت كل منهما بين يدي شيخ الاسلام بأن الجارية المذكورة بها حمل ظاهر من نحو ثلاثة أشهر سابقة على تاريخه . فأخذ شيخ الاسلام بشهادة القابلتين وفسخ العقد بينهما وعادت الجارية الى بايعها مرة أخرى » (٦٧) .

كذلك عندما ادعى « الزيني بالي بن محمود الجاويش بالديوان العالي بانه اشترى من محمد الدمياطي جارية بيضا تدعى زاهدة بصحة وسلامة وأنه ظهر بها عيب شرعي وهو جنون متقطع سابق على شرائها فأحضر القاضي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد حكيم باش بالديار المصرية وأحضر كريمة الشيخ محمد رئيس الأطباء بالبيمارستان المنصوري للكشف على الجارية وشهدا لدى الحاكم الشرعي بأن الجارية بها جنون متقطع قديم سابق على البيع وأنه عيب شرعي قديم موجب لرد العقد فأخذ الحاكم الشرعي بأقوالهما » (٦٨) .

وفي محاكم الأقاليم كان القضاة يستعينون بأهل الخبرة في القضايا التي تحتاج لمشورتهم مثل الطب الشرعي . وكان القضاة

يستعينون بالجراحين في ذلك وهم الذين يقومون بكتابة تقريرهم ثم يرفعونه الى القاضي الذي يأخذ بما جاء فيه عند حكمه (٦٩) .

كما كانت المحاكم تستعين بالخبراء في الأمور الخاصة بالمباني والأوقاف ، ففي الأوقاف استعانت بالمهندسين لتقدير نفقة العمارة التي تتطلبها الأوقاف مثل وقف « شرف الدين الصغير » فقد أذن القاضي لناظره في الصرف على عمارة المنصرة وتوابعها حسب ما قدرة المهندسون من الفضة الأنصاف أربعة عشر ألف نصف وخسماية نصف وما قدر على نقل أتربة الخرابة المجاورة لذلك ألف نصف وذلك حسب تقدير المهندسين (٧٠) .

وفي حالة النزاع بين الجيران على الحدود ووصول الأمر الى القضاة كانوا يرسلون الخبراء المختصين بالمباني الى المكان محل النزاع للفصل في الأمر على الطبيعة . وبعد ذلك يرفع تقريرهم الى القاضي الذي يأخذ بما جاء فيه (٧١) .

على هذا كان القضاة يستعينون بأهل الخبرة في مختلف المجالات التي تتطلب آراء خافية على المحكمة وذلك لامدادها بالآراء الفنية الصحيحة ، وفي نفس الوقت تصدر الأحكام بناء على هذه الآراء التي يتقدم بها الخبراء .

ولم يكن أهل الخبرة هؤلاء معينين في المحاكم بل كانوا من أعضاء الطوائف الحرفية التي تستعين بهم المحكمة وقت الحاجة اليهم في مقابل رسوم معينة يحصلون عليها نظير الاستعانة بخبراتهم .

٤ - كشف الأوقاف :

نتج عن اشراف قضاة العسكر على الأوقاف وتعيين نظارها ، وكذلك اقرار تعيين موظفيها أن وجد جهاز تابع لقاضي عسكر

مهمته العمل على حل المنازعات الخاصة بالأوقاف • يعمل به كشاف في الأوقاف الذي كان يكلف بالتوجه الى العين محل النزاع أو التي في حاجة الى تعبير أو استبدال ليكشف عليها بالاستعانة بأهل الخبرة في ذلك الوقت ثم يقدم تقريره الى قاضي العسكر ليقوم باتخاذ ما يلزم بناء على تقرير الكشاف •

ويعين قاض العسكر الكشاف ويقيده قرار التعيين في السجلات على النحو التالي « قرر مرلانا شيخ الاسلام ••• الشيخ شهابي أحمد بن المرحوم الشيخ عثمان الرضائي الخلوتي في الشهادة على كشف الأوقاف والجلوس بالباب العالي ليتصرف بغاية الهمة والاجتهاد وتمكينه من ذلك » (٧٢) وأحيانا يضاف اليه ضمن اختصاصه « قسمة العقارات وغير ذلك مما يتعلق بأمور الكشاف » (٧٣) •

فعندما وقع نزاع بين « يوسف جاويش ناظر زاوية ابن الأوجاقى وبين القاضى عبد الوهاب عرف بابن اسرائيل وذلك بسبب النزاع حول رواق وحانوت وهل هما من أملاك الزاوية أم كما يدعى القضاء عبد الهادى عبد الهادى بأنهما وقف لوالده ، عندئذ توجه الكشاف الى محل النزاع وقام بمقابلة الحدود التي في الحجة التي قدمها عبد الوهاب ، فاتضح اختلاف الحدود فعندئذ طلب الكشاف قدماء أهل المحلة فذكروا بمعرفة الرواق والحانوت محل النزاع وأنه وقف على الفيومي على الزاوية المذكورة ، وقدم الكشاف تقريره الى الحاكم الشرعى الذى أصدر حكمه بناء على ما جاء فيه » (٧٤) •

وفى حالة النزاع على حدود الأوقاف كان يتوجه الكشاف ليحقق في هذا النزاع عن طريق سماع أقوال المتنازعين ومطابقة حجة الوقف على أقوالهم ، ويعد ذلك يرفع تقريره الى الحاكم الشرعى (٧٥) •

وعند الاستبدال في الأوقاف يتوجه الكشف باذن قاضى العسكر الى الوقف محل الاستبدال لمعاينته وهل يستحق الاستبدال أو لا ؟ وما هى الدواعى لهذا الاستبدال ؟ (٧٦) .

ووجد في الأقاليم كذلك كشف الأوقاف وهو يعمل تحت اشراف قضاة الأقاليم وكان الباشا يحكم ما له من ولاية عامة يأمر الكشف في الأقاليم بالكشف على الجوامع والمساجد والزوايا والأضرحة وتعمير ما يحتاج منها الى عسارة (٧٧) .

وعلى ذلك فقد كان كشف الأوقاف هو المسئول عن القيام بالتحقيق في منازعات الأوقاف والبت في أمور الاستبدال والتعمير الخاصة بالأوقاف بعد الكشف عليها والتحقق من مدى منفعتها في حالة الاستبدال وكذلك التأكد من حاجتها للتعمير في حالة العسارة . كما يقوم كشف الأوقاف بالكشف الدورى على المساجد والزوايا والأضرحة وغيرها من الأوقاف .

وبعكس الخبراء غير المعينين في المحكمة فقد كان كشف الأوقاف موظفا يعمل في المحكمة وله رسوم معينة يتقاضاها نظير عمله ، ولكن الوثائق لا توضح لنا قدرها .

ويعتبر تقرير الكشف أساسيا عند اصدار احكام القضاة فهم يضعونه محل الاعتبار وتصدر احكامهم بناء على ما جاء فيه .

٥ - المحضرون :

وهم المنوط بهم احضار المدعى عليهم الى المحكمة للمثول بين يدى الحاكم الشرعى بها ، وكذلك استدعاء من يكون القضاة فى حاجة اليهم عند النظر فى القضايا المختلفة ، وأطلق عليهم العديد من الألقاب مثل « قاصد الشرع الشريف » .

ووقف المشرع العثماني من المحضرين موقف الريبة والشك فيهم ففي قانون نامة مصر الذي صدر في عهد السلطان سليمان القانوني في المادة ٤٢ تذكر « أنه لدى القضاة الشرعيين بعض النواب والمحضرين الأشرار يرتكبون التزوير ويلبسون الحق ثوب الباطل ويفعلون الباطل على أنه الحق فيظلمون المسلمين ويعتدون عليهم ولا بد من ابعاد مثل هؤلاء فلا يقدم قاض بعد اليوم على أن يلحق بخدمته نوابا ومحضرين من هذا النوع • وان لم يرض الناس عن نائب أو محضر أو يمتدحوه لظهور شره فلا يوكل اليه القاضي عملا » (٧٨) •

ويذكر ابن اياس في أحداث (ربيع الأول ٩٢٤ هـ مارس ١٥١٨ م) « أن شخصا من أمراء ابن عثمان صار يجلس على تكة باب المدرسة الصالحية يسمونه المحضر لا يقضى أمر في الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه ، فكان يقف بين يديه الشاكى والمشتكى، وكان يزعم أنه مستوفى على القضاة في الأمور الشرعية وكان يضرب من كان يستحق الضرب ويسجن من يستحق السجن » (٧٩) •

يتضح من هذا أن وجود منصب المحضر كان سابقا في وجوده على منصب قاضى العسكر ، كذلك يتضح أن المحضر كان له في بداية عمله اختصاص قضائي في النظر في القضايا وتوقيع العقاب •

ووجد بكل محكمة عدد من المحضرين الذين يعملون في خدمتها ويرأسهم في كل محكمة وكيل المحضر باشى الذى يوجد في محكمة الباب العالى وهو يعين من قبل السلطان مباشرة • وفي حالة خلو منصب المحضر باشى يقوم قاضى العسكر بتعيين من يحل محله بصورة مؤقتة حتى يحضر المعين الجديد من استانبول أو تصل براءة سلطانية لمن اختاره قاضى العسكر (٨٠) •

وكان المحضرون يقومون بحمل أوامر قاضي العسكر الى النواب في محاكم القاهرة وتذكر الوثائق « بعد الاذن من حضرة مولانا أفندي قاضي القضاة ٠٠٠ لسيدنا الحاكم الحنبلى في فعل ما يذكر فيه على لسان الزينى عبد الفتاح أحد المحضرين بالباب العالى » (٨١) .

وقبل اعتماد المحضر في المحكمة لدى القضاة كان لابد من وجود ضامن له حتى يقوم بكفالتة في أى حدث قد يبدر منه (٨٢) .

الموارد المالية للمحضرين :

حددت مراسيم قاضي العسكر الرسم الذى يحصل عليه المحضر في القضية بنصف واحد ، ولا يدخل في القضية الواحدة سوى محضر واحد (٨٣) ولكن يبدو أن المحضرين كانوا يخرقون هذا النظام لذا فقد صدرت الأوامر العديدة التى تحذرهم من مغبة التعدي على الناس وأخذ أكثر من الرسم المحدد لهم (٨٤) وحدد الرسم الخاص بمحضر باش طبقا لما حدد في الأمر السلطاني بعثمانيين في كل مائة عثمانى ولا يأخذ ذلك الا من جانب المدعى بعد الدعوى (٨٥) .

وبالرغم من ذلك يبدو أن المحضرين كانوا يتعدون في الرسوم بحجة رسم محضر باش وانهم يلتزمون له برسوم معينة ، ويتخذون ذلك ذريعة لزيادة الرسوم . لذا فقد أمر قاضي العسكر بطرد من يخالف من المحضرين ويأخذ أكثر من الرسم المعتاد (٨٦) .

وفي حالة مخالفة المحضرين للأوامر النواب يعاقب المحضر بالتأديب الشرعى والعقاب والعزل من العمل من جانب النائب الحنفى وذلك بوصفه رئيس المحكمة (٨٧) .

وفي محاكم الأقاليم وجد المحضرون الذين يقومون بأحضار
المطلوبين لدى القاضى فى القضايا المختلفة (٨٨) *

وكما يتضح من الوثائق أن المحضرين اكتسبوا عادة أصبحت
حقا لهم وهو ما عرف بحق الطريق ، فقد كانوا يقومون بتحصيل
رسم من المال لحسابهم الخاص من جانب المدعى عليه الذين يقومون
بأحضاره ، ثم أصبح بعد ذلك المدعى الذى يدفع هذا الرسم ،
وذلك لمنع استخدامه وسيلة للإيقاع بين الناس *

يتضح من ذلك الآتى :

١ - بالرغم من خضوع المحضرين فى المحاكم لرئاسة النائب
الحنفى بالمحكمة ، الذى كان يقوم بعقابه فى حالة
الخطأ ، وجد المحضر باش وهو يوجد فى محكمة الباب
العالى ويقوم برئاسة المحضرين العاملين فى محاكم أحياء
القاهرة * وللمحضر باش رسوم على المحضرين
يسددونها له :

٢ - كان المحضرون يتعدون فى أخذ الرسوم المحددة لهم
وذلك بدليل كثرة الأوامر الصادرة لهم من قاضى
العسكر والتحذير من مغبة تعديهم فى الرسوم *

٣ - بالرغم من قيام قاضى العسكر بتعيين المحضرين بعد
وجود ضامن لهم فان المحضر باش كان يعين ببراءة
من السلطان مباشرة ، واقتصر دور قاضى العسكر فى
تعيينه فى حالة واحدة هى خلو المنصب فيعين قائم مقام
حتى يصل المعين من استانبول أو تصل براءة سلطانية
لن اختياره قاضى العسكر *

٦ - الانكشارية :

تمتع أوجاق الانكشارية بعدديد من الميزات بوصفه اقوى الأوجاقات العسكرية في مصر ، لذا فقد نيطت به العديد من الاختصاصات مثل حفظ الأمن في أحياء القاهرة ، وانبنق عن ذلك أمر آخر وهو عملهم في خدمة قضاة العسكر . فقد كان عدد من الانكشارية يعملون في محكمة الباب العالي برئاسة ضابط يطلق عليه سردار قاضى العسكر .

ويبدو أن عمل الانكشارى في المحكمة كان لاضفاء مزيد من المهابة على مجلس القضاة فقد كان عليه أن يقف ملازما لباب المحكمة لابساً كسبته مع الخيزانة (٨٩) .

وهناك تشابه بين عمل الانكشارية والمحضرين فقد كان الانكشارية يقومون باحضار الخصوم الى المحكمة ، كما كانوا يقومون بتوصيل أوامر قاضى العسكر الى النواب في محاكم القاهرة (٩٠) .

وقد ميزت الوثائق بإيضاح بين الانكشارية والمحضرين ولكن لم توضح الفرق بين عمل الاثنين . وكان الانكشارى يتقاضى نصفين فضة في القضية مقابل الخصوم (٩١) .

وفي بعض الأحيان يعين بعض الانكشارية في بعض الوظائف الصغرى في الأوقاف أو في الوظائف الدينية الصغرى مثل « تعيين حسبن بن الدرويش مراد الينكجى بخدمة شيخ الاسلام في كامل ترقية بجامع الكامل بخط القصرين » (٩٢) .

وعندها تحدث خلافات بين أوجاق الانكشارية وقاضى العسكر كان يقوم الأوجاق بسحب الانكشارية الذين يعملون بمجدمته (٩٣) .

ويتضح من الوثائق أن الانكشارية لم يكونوا يعملون الا في محكمة الباب العالي فقط بجانب قاضى العسكر وربما يكون ذلك لاضفاء جو من الهيبة على مجلس قاضى العسكر بوصفه رئيس الهيئة القضائية في القاهرة وذلك بعكس المحضرين الذين كانوا يعملون في كافة المحاكم الأخرى .

٧ - أمناء السجلات :

وجدت في محكمة الباب العالي خزانة لحفظ السجلات الخاصة بمحاكم القاهرة لحفظها من الضياع وللمنع تعرضها للحوادث المختلفة التى قد تؤدى الى فقدانها ، وكذلك حتى يسهل استخراجها واستنساخ الحجج منها وقت الحاجة اليها . وبعد استنفاد صفحات السجل كان الكتاب في محاكم أحياء القاهرة يقومون بارسال السجل مختوما بالشمع الى هذه الخزنة لحفظه بها .

ووجد لهذه الخزنة أمين مسئول عنها وعدد من الخزنة الذين يعملون تحت رئاسته ويعين قاضى العسكر أمين الخزينة ويسجل في سجلات المحاكم على النحو التالى « قرر شيخ الاسلام ٠٠٠ الشيخ شمس الدين محمد بن المرحوم الشيخ عبد اللطيف الأشبولى أمين السجلات بمحكمة الباب العالي » (٩٤) وينص قرار التعيين على « اختيار أمين السجلات لما ظهر وتبين وتوضح واشتهر من ديانة الشيخ محمد المذكور وأمانته وصيافته ومعرفته وقدرته وحسن خطه وكتابته وصون السجلات والخزنة به راضون ولا يرضون بغيره (٩٥) » .

ويرتبط بوظيفة خزن السجلات قيام أمين الخزنة بتفتيشها حتى يتبين منها اذا كان هناك اعتداءات على اختصاص المحاكم .

الأخرى أم لا ؟ وإذا كان هناك أخطاء من العاملين بهذه المحاكم
أم لا ؟ •

كما يرتبط بها كذلك استنساخ نسخ من هذه السجلات
عند الحاجة إليها للجمهور سواء للاحتفاظ بها أو للتقدم بها إلى
المحكمة كمستند يدعم حقهم في قضاياهم (٩٦) ويبدو أنه كان يوجد
رسم يدفعه الجمهور مقابل استخراج واستنساخ هذه الحجج وإن
كانت الوثائق لا تمدنا بمعلومات عن ذلك •

وعند استنساخ نسخة جديدة ينص على ذلك في أول الحجة
قائلا : « المنقول صورته من سجله المحفوظ بخزانة السجلات
العامة الموقع نقله في ٠٠٠٠ » (٩٧) •

وتشبه هذه الخزانة في وقتنا الحاضر أرشيف المحكمة حيث
تجمع به السجلات حتى يتم تخزينها بعد ذلك في دار المحفوظات
واستخراج نسخ منها لمن يريد من أصحابها •

وبذلك عرفت المحاكم في هذه الآونة نظام حفظ السجلات
وتخزينها حفاظا لها ومنعا لضياعها وفي ذلك حفظ لحقوق الناس
من الضياع •

٨ - الترجمان :

وجد لمصر في العصر العثماني العديد من العلاقات مع الدول
الأخرى التي وجدت لها جاليات تجارية في مصر • وبالطبع لم يكن
كل هؤلاء يجيدون اللغة العربية ، أو من المتعاملين بها لذا فقد
كان لابد من وجود ترجمان يوضح للقاضي أحداث القضية في
حالة وجود نزاع يكونون طرفا فيه • وكذلك يكون الترجمان
واسطة في الحديث بين القاضي والأجنبي •

ووجد الترجمان الذى يعمل فى خدمة قاضى العسكر وعرف باسم « ترجمان صغير » واختص كما يبدو من الوثائق بتسلم الحجج والتمسكات المتعلقة بالباب العالى من قضاة الأخطاء (٩٨) ويبدو أنه بمرور الوقت أصبحت للترجمان بعض الاختصاصات القضائية فتنص الوثائق الصادرة بمحكمة القسمة العسكرية فى بعض الأحيان بقولها « بمعرفة فخر الأكابر والأعيان ٠٠٠ عمدة السادة الموالى الاعمالى العظام مولانا مصطفى جلى ترجمان السادة الموالى بالديار المصرية حالا دام مجده فرض وقرر الأيتام فخر الأعيان ٠٠٠ القاصرين » (٩٩) .

كما يبدو أن الترجمان لم يكن عمله مقصورا على الترجمة فقد وكل اليه التفتيش على أعمال المحكمة والاهتمام بذلك وعدم التقصير فى الخدمة (١٠٠) .

كما وجدت ترجمة فى حريم قاضى العسكر وربما يكون ذلك لأنهم لم يكونوا يعرفون اللغة العربية جيدا مثل « الحرمة المصونة فاطمة الترجمانة بحريم شيخ الاسلام » (١٠١) .

ولم يكن الترجمة فى الغالب من الأتراك الوافدين مع شيخ الاسلام فقد كان منهم عسكريون مثل « الأمير محمد من أعيان الجاويشية بمصر وترجمان شيخ الاسلام قاضى القضاة » (١٠٢) وهناك « الشهابى أحمد ابن الجمالى جمال الدين الترجمان بخدمة قاضى عسكر » (١٠٣) .

من هذا يتضح ضرورة وجود ترجمان فى المحكمة ليكون واسطة بين المتقاضين الذين لا يتكلمون العربية وهى ضرورة وجدت مع وجود الجاليات الأوروبية فى مصر للتجارة .

وكان النرجمان موظفا في المحكمة غير أننا لا نعلم شيئا عن أجره وهل كان له رسوم قضائية يحصل عليها من القضايا التي يعمل بها أو لا ؟ وإذا كان له رسوم فما مقدارها ؟ .

٩ - وكلاء الدعاوى :

وكبل الدعاوى هو المحامى الذى يقوم المدعى عليهم بالاستعانة به لاثبات حقوقهم أمام القاضى ، والوكالة هى نيابة اختيارية تثبت لمن ملكها باذن من صاحب الشأن الأصلي فى الأمر الموكل به مع بقاء حق المنيب فى التصرف أيضا اذ الوكيل كان مقيدا عن التصرف الذى وكل فيه لولا التوكيل ، والتوكيل هو اقامة الانسان غيره مقام نفسه فى تصرف جائز معلوم وهو من العقود الشرعية (١٠٤) .

أما عن شرعيتها فيجوز فى مذهب الشافعية الوكالة فى الخصومات اثباتا ودفعاً وكذا فى استيفاء الحقوق ، وكذلك مذهب الامام احمد ، ويجوز التوكيل بالخصومة فى جميع الحقوق ، وكذا بأبقائها واستيفائها الا فى الحدود والقصاص فان الوكالة لا تصبح باستيفائها فى غيبة الموكل لأنها تندرىء بالشبهات (١٠٥) .

وقد وقف العثمانيون غداة فتحهم مصر من الوكلاء موقف الريبة والشك فيهم لذا أمر السلطان سليم القضاة بصرفهم عن أبوابهم ومعاقبة المخطيء منهم الذى يروج لدعوى باطلة (١٠٦) .

وكان يقوم القضاة بمراقبة احوال الوكلاء والسؤال عنهم والتحرى عن أفعالهم حفظا لناموس العدالة وخوفا على المتقاضين من استغلال الوكلاء لهم ، وفى حالة الوكلاء الذين يتصفون بالصفات السيئة من خداع ومكر ومحاولة الايقاع بالمتقاضين وجعل قضاياهم سببا للمفارم والحصول على المال ، كان لابد من منعهم

من دخول المحاكم وفي حالة عنادهم وتكرار الدخول الى المحاكم
يتم ابعادهم بالضرب والتهديد(١٠٧) .

وكان يتم توثيق التوكيل واعلانه امام القاضى فى المحكمة
وفى حضور الوكيل والموكل وياخذان حجة بذلك ومن أمثلة هذه
النماذج « لدى ٠٠٠ اشهدت عليها الحرمة فاطمة بنت عبد الله
والحرمة لالزار بنت عبد الله ٠٠٠ شهودهما الاشهاد الشرعى وهما
بحال الصحة والسلامة والطوعية والاختيار أنهما وكلتا الجناب
العالى الأمير محمد بن عبد الله الجاويش بالخدم العالية أن ينوب
عنهما فى استخلاص جميع حقهما قبل من يكون وفى الدعوى بذلك
فى مجالس السادة القضاة ونوابهم وولاة أمور الاسلام وفى الحبس
والترسيم والملازمة والاخراج والمكاتبة والاشهاد وعلى الرسم
المعتاد والابرا وغيره وكالة شرعية مطلقة ، وقبل ذلك الأمير محمد
المشار اليه أعلاه قبولا شرعيا »(١٠٨) .

ولم تكن الوكالة خاصة بالرجال فقط فنجد نساء قد كن
وكيلات أمام القضاة فهناك الحرمة « ليلة المرأة ابنة المرحوم أحمد
العوادلى الثابت توكيلها لدى الحاكم الشرعى »(١٠٩) .

وكان لابد من حضور الموكل أمام القاضى للاعلان عن رغبته فى
توكيل الوكيل الذى اختاره مهما كانت الموانع التى تحول دون ذلك
حتى أصحاب العاهات كالخرس مثلا كانوا يستخدمون اشارات
خاصة أمام القضاة لبيان رضاهم بالموكل الذى اختاروه(١١٠) .

وكان يجب أن يكون الوكيل قوى الحجة قادرا على المجادلة
والمرافعة مستخدما لكافة الأدلة التى تؤدى الى اثبات حق موكله ،
لذا كان يتطلب أن يكون الوكيل حاذقا بأمور الشرع ماهرا فيه حتى
يستخدم ذلك لمجادلة خصمه لأن قانون الشريعة كان هو
السائد(١١١) .

وبالرغم من وجود الموكل أمام القاضى فقد كان الوكيل هو الذى يتحدث ويدافع عن الموكل ويظهر ذلك فى الوثائق بجلاء مثل « بين يدى ٠٠٠ شيخ الاسلام محمد أفندى دام عزه ادعى عوض البربرى ابن بركات النازل بناحية شرابى بولاية البحيرة وهو القايم فى تعاطى ما سيذكر فيه بطريق وكالته الشرعية عن ادريس ابن عبد الرسول البربرى الحاضر معه بالمجلس » (١١٢) .

ويتضح من الوثائق ان الوكالة كانت معروفة فى كافة الأعمال والمعاملات المدنية والمالية مثل الارث وما يتبع ذلك من منازعات (١١٣) والطلاق (١١٤) وقضايا الدين وما يقع من خلافات بسببها (١١٥) وقضايا العتق (١١٦) .

اما الوكالة فى الأمور الجنائية فقد كانت موجودة ومعتبرا بها فى ذلك الوقت غير انها عن المدعى ، أما الوكالة عن المدعى عليه فلم نعر عليها فى الوثائق التى اطلعنا عليها .

ومن أمثلة الوكالة فى الأمور الجنائية عن المدعى « عندما تعدى جماعة من المفسدين على الحاج محمد بن الحاج على ووالدته الحرمة عايشة وتعدوا عليهم بالضرب وبعد الكشف على المجنى عليهم اتضح أن محمد المذكور برأسه ضربة أدمت الجلد ولم تقطع وبرقبته ضربتان كل منهما أدمت الجلد وبكتفه اليسرى ضربة ، كذلك والدته برأسها ضربة رزة قطعت الجلد وأدمت وبكتفها ضربة رزة ، وأخبرت أن بفخذها ضربة سيف وأن المفسدين بعد أن ضربوهم سرقوا الكثير من حاجاتهم » (١١٧) عند ذلك قام الحاج محمد وأمه بتوكيل الخواجا شرف الدين موسى بن الخواجا عبد القادر الشهير بأبن الكارمى فى مطالبة المتسبب فى هذه الحادثة والدعوى عليه بذلك (١١٨) .

ومن حق الوكيل عزل نفسه من الوكالة في أى حالة أراد وينص على ذلك أمام الحاكم الشرعى وأن ذلك « لما علم لنفسه فيه من الحظ والمصلحة عزلا شرعيا وقبل ذلك منه قبولا شرعيا » (١١٩) في نفس الوقت من حق الموكل عزل وكيله لأى سبب أراد من ذلك « أشهدت على نفسها بهأى أبنة عبد الله أنها عزلت وكيلها جانم الينكجى وعزلت كل وكيل لها عزلا شرعيا » (١٢٠) .

وكثيرا ما كانت تحدث المنازعات بين الوكيل وموكله في حالة تعدى الوكيل وسرقته موكله وقد شهدت المحاكم أنواعا من هذه القضايا التى يقوم القضاء بالتحقيق فيها (١٢١) .

وفي حالات كثيرة كان المدعى عليه يلجأ الى تعطيل الدعوى والماطلة فيها عن طريق التشكك في صحة توكيل وكيل المدعى عليه . وفي هذه الحالة كان لابد من حضور شهود لاثبات صحة الوكالة وبعد ذلك تبدأ اجراءات الدعوى القضائية (١٢٢) .

كما عرفت الوكالة بين أهل الذمة وكانت توثق أمام القضاء ذلك عندما « وكل الخواجا يعقوب بن الحاج بيرام بن اسرائيل القرمانى ابن أخيه صلتمش بطلب جمبع حقوقه من ذمم الناس وبطلب ودائعه التى أودعها عند الناس من التجار وغيره » (١٢٣) .

يتضح من ذلك الآتى :

- ١ - أن الوكالة لم تكن في فئة معينة ، وأن كانت كثيرة بين العسكريين وذلك لاستغلال مكانتهم العسكرية في استخلاص الحقوق ، في نفس الوقت لم تكن الوكالة مقصورة على الرجال فقط بل وجدت نساء عاملن كوكيلات للدعاوى في قضايا مختلفة .

٢ - لم تكن الوكالة وظيفة محددة يعمل صاحبها كموظف في المحكمة ، بل كانت بمنابة العمل الحر الذي يعمل صاحبه وقت الحاجة اليه من اصحاب الدعاوى المختلفة وان كان يخضع لمراقبة واشراف القضاة لما قد يبدور منهم من افعال قبيحة في حق المتقاضين .

٣ - كان يجب أن يكون الوكيل حاذقا في أمور الشرع حتى يستطيع المجادلة والمرافعة أمام القاضي واثبات حق موكله وتدعيمه بالأسانيد المثبتة لذلك ، فقد كان يتطلب معرفة واسعة بأمور الفقه .

٤ - عرفت الوكالة في مختلف التصرفات المدنية والمعاملات المالية كما عرفت الوكالة في الأمور الجنائية وان كانت الوثائق التي بين أيدينا لا تدلنا الا على الوكالة عن المدعى وليس عن المدعى عليه .

٥ - لم تحدد أى من القضايا التي وجد فيها وكلاء الرسوم التي كان يتقاضاها الوكيل كما أنها غير محددة بمراسيم من قاضي العسكر بعكس كافة الوظائف القضائية الأخرى ، وربما يكون السبب في ذلك أن الوكيل عمل حر وليس موظفا ثابتا في المحكمة .

٦ - وقف المشرع العثماني في بداية الفتح العثماني لمصر موقف الريبة والشك في الوكلاء ، وبالرغم من أنهم لم يكونوا موظفين في المحاكم ، فان القضاة أعطوا الحق في مراقبة هؤلاء الوكلاء ومحاسبتهم على تصرفاتهم لمنعهم من الغش والتدليس وإيذاء الناس .

١٠ - المفتون :

وجد المفتون الى جانب القضاة ولعبوا دورا مهما في الحياة القضائية فقد كانوا بمثابة معاونين للقضاة يقدمون لهم الآراء الفقهية التي يحتاجون اليها ويقدمون فتاواهم مكتوبة الى المتقاضين حتى يستعينوا بها أمام القضاة في اثبات حقوقهم .

ولما كان باب الاجتهاد قد أقفل لم يعد هؤلاء العلماء مثل أسلافهم مجتهدين بل مقلدين بمعنى أنه كان عليهم أن يتوخوا الدقة في الالتزام بالسوابق التي استنتجها أسلافهم العظام بصدد اصدار التعليمات والشروح المتعددة التي أضافتها الأجيال التالية ومن هنا كان يكفي أن يكون العالم أو الفقيه الذي يطلب منه الادلاء برأى حول نقطة قانونية متفقها في هذه الأعمال بحيث يمكنه أن يروى السابقة المناسبة حول أى مناسبة مطلوبة (١٢٤) .

تعيين المفتين :

وجد نظام الافتاء في مصر في العصر المملوكي فقد اهتم الماليك باضفاء الصبغة الدينية على أعمالهم وأحكامهم ، لذا فقد عينوا أربعة من المفتين على المذاهب الأربعة ليقدّموا فتياهم سواء للحكام لاضفاء الشرعية على أعمالهم أو للمحكومين في المعاملات والأمور الشرعية ، وكذلك تقديم الفتاوى التي يطلبها منهم القضاة .

وقد وجد في مصر في العصر العثماني مفتون على المذاهب الأربعة فبالرغم من أن المذهب الحنفي كان هو المذهب الرسمي في الدولة العثمانية فقد سمحت الدولة للولايات العربية التابعة لها باختيار المفتين التابعين للمذاهب الثلاثة (١٢٥) .

وفي القرن السادس عشر كان كثير من المفتين في مصر والشام من أصل رومي أى من الأناضول أما في القرنين السابع عشر والثامن

عشر فقد غدا المفتون في مصر وغيرها من البلاد العربية شخصيات محلية عربية ولم يكن يشترط تخرج رجال الافتاء في الأقاليم في مدارس استانبول كقاضى العسكر وانما كان يقبل تخرجهم في اية مدارس مدنية أخرى (١٢٦) .

ونتيجة لمكانة الأزهر العلمية في العالم الاسلامى ولشهرة علمائه فقد كان الأزهر أهم جامعة اسلامية تخرج المفتين في الوسط الاسلامى كله في العصر العثمانى ، وكان خريجوه يشغلون مناصب الافتاء والمناصب الدينية الرفيعة سواء في مصر أو في البلدان الاسلامية .

ويذكر محمد بن أبى السرور البكرى « أن والده أول من لقب بمفتى السلطنة الشريفة بالديار المصرية ولقب بشيخ الاسلام » (١٢٧) .

وفي القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر كان المفتون يعينون من استانبول ولم يكن ذلك مقصورا على المفتى الحنفى فقط بل مفتى المذاهب الأخرى . فالشيخ « محمد أبو السرور بن محمد بن أبى الحسن » عمل رسالة دقيقة المعانى تتعلق بمباحث آيات السبع المثاني وبعث بها من الديار المصرية الى دار السلطنة السنية تتضمن طلب منصب افتاء الشافعية بالقاهرة وتم له ذلك (١٢٨) ويبدو أنه استخدم في ذلك علاقاته بالعلماء المقربين للسلطنة لتعيينه مفتيا شافعيًا بمصر .

ووجد من بين المصريين من تولى مناصب الافتاء في البلدان الاسلامية الأخرى « عبد البر بن عبد القادر بن أحمد بن زين القيومى العوضى فقد تولى افتاء الشافعية في القدس » (١٢٩) .

ولم يكن لقب مفتى السلطنة يطلق على المفتى الحنفى والشافعى فقط فقد وجد مفتى السلطنة المالكى « الشيخ أبى

عبد الله محمد الشهير نسبه الكريم بابن عبد الوارث المالكي « (١٣٠) ولم نعث في الوثائق التي اطلعنا عليها على لقب مفتي السلطنة الحنبلي فربما يعود ذلك الى قلة انتشار المذهب الحنبلي في مصر .

ويلاحظ انه لم يوجد اماكن خاصة للمفتين مثلما كان عليه الحال في العصر المملوكي من جلوسهم بدار العدل ، غير انه في أواخر القرن الثامن عشر لما « بنى محمد بك أبو الذهب جامعة قرر الأمير المذكور ثلاثة من العلماء وقصر عليهم الافتاء وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم يجلسون حصة من النهار ضحوة كل يوم للافتاء ورتب لهم ما يكفيهم » (١٣١) .

وأطلقت الوثائق على المفتين في القرن الثامن القابا مثل « شيخ الافتاء والتدريس بالجامع الأزهر » (١٣٢) . « من اعيان مشايخ الافتاء والتدريس بالجامع الأزهر » (١٣٣) واختفى لقب مفتي السلطنة الشريفة وربما كان ذلك بسبب زوال تعيين المفتين من جانب السلطنة العثمانية في هذه الآونة .

وتعرض المفتون للعزل بل النفى في حالات كثيرة في القرن الثامن عشر من جانب الأوجاقات العسكرية العثمانية والقوى المملوكية التي تنامى دورها كثيرا في هذه الآونة (١٣٤) .

ففي عام ١١٩٢ هـ - ١٧٧٨ م غضب إبراهيم بك ومراد بك على « الشيخ عبد الرحمن العريشى مفتي الحنفية فعزلوه من الافتاء وأحضروا الشيخ محمد الحريرى والبسوه خلعة ليكون مفتي الحنفية وأرادوا نفى الشيخ العريشى فشفع فيه شيخ السادات » (١٣٥) كما عزل الشيخ « حسن الكفراوى من افتاء الشافعية وتقرر مكانه الشيخ أحمد بن يوسف الخليفى وذلك نتيجة لغضب الأمير يوسف بك تابع محمد بك أبو الذهب على الشيخ الكفراوى » (١٣٦) .

المفتون في الأقاليم :

ووجد مفتون رسميون في الأقاليم وهم ممن تعلموا في الأزهر الشريف وعادوا الى بلادهم بعد اجازتهم بالفتيا من علمائه مثل « على بن صالح بن موسى المالكي مفتي فرشوط » (١٣٧) والامام الفقيه « ابراهيم بن الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعي انفرد بالافتاء مدة طويلة على مذهبه بين أهل القرى » (١٣٨) .

وكان الباشا هو الذى يصدر قرار تعيين المفتين في الأقاليم بعد اختيارهم من جانب جماعة العلماء فقد صدق الوزير « محمد باشا » والى مصر (١١٩٨ هـ - ١٧٨٣ م) على تعيين المفتي السيد « سليمان قنيد » مفتي مالكي بغير اسكندرية ومنح التعدي عليه (١٣٩) .

وفي حالة خروج المفتين على واجب وظائفهم يتقدم الناس بالشكوى الى القضاة وحكام الولاية ، ففي ولاية البحيرة اجتمع قائمقام الولاية والأمراء والعلماء والخاص والعام في المحكمة بسبب الشكوى من الشيخ أحمد بن المرحوم الشيخ منصور الشافعي المفتي . وأشهد على نفسه بالتوبة والاقلاع عن الأعمال التي من شأنها إيذاء المسلمين وإيقاع الضرر بهم (١٤٠) .

وعلى هذا كانت هناك رقابة مفروضة على المفتين من جانب العلماء والقضاة وفي نفس الوقت من جانب الباشا الذى كان يحكم ولايته العامة يعين المفتين في الأقاليم ومن حقه أن يسألهم .

عمل المفتين :

وكان للمفتين نوعان من الأعمال يدخلان في وظيفتهم العامة في الفتيا الشرعية ، العمل الأول وهو الفتيا العامة أى بذل المشورة الشرعية لمن يطلبها من المسلمين في مسائل العقائد والعبادات

والمعاملات والعمل الثانى هو الفتيا القضائية أى بذل المشورة
فى مسألة من مسائل المعاملات بمناسبة نزاع معروض على
القضاء (١٤١) .

وبالرغم من أن الطابع العام لهذا العصر كان هو التقليد وليس
الاجتهاد ، فقد كان المفتون من الناحية العملية يستطيعون اختيار
السوابق المناسبة وإهمال ما لم يعد منها قابلاً للتطبيق أن يطوعوا
الشريعة للظروف الجديدة ، وهو ما قاموا به بالفعل (١٤٢) .

وكان القاضى يستضىء بنصائح رجال الشرع ، ويستطيع
الأطراف المتنازعة أن يحصلوا مقدماً على نوع القرار الذى يصدره
المفتى ، ويلجأ القضاة عادة الى هؤلاء المفتين ولرايهم سلطة معترف
بها . ومع أن حكم القاضى لا ينقض فاذا حدث أن أجمع مفتو
المذاهب على الانتقاص من قرارات القاضى ، فإن القاضى يعترف
بخطئه (١٤٣) .

وأمدتنا وثائق المحكمة الشرعية بالعديد من الفتاوى التى
استخدمها المتنازعون فى المحكمة لاثبات حقوقهم وكان يحكم لجانبهم
لوجود هذه الفتاوى (١٤٤) .

ومن أمثلة هذه الفتاوى الفتوى التى رفعها جماعة من النصارى
القاطنين بقرى دمياط الى المفتين . وذكروا فى سؤالهم أن الكنيسة
كانت متسعة فضاقت لأنه كلما سقط جدار منها كانوا يعمرن خلفه
من داخلها حتى ضاقت بحيث لم يمكنهم عمارة من داخلها مطلقاً
وسقطت كذلك بعض الجدران الساترة لدفن الأموات والصبيان
يدخلون ويخرجون بعض عظام الأموات ويلعبون بها وحصل لهم
بذلك الضرر . فهل يأمر أن يبنى ما خرب من جوانب الكنيسة
المذكورة ويشيدوا ما انحرف من الأماكن المعدة لدفن الأموات

بالأحجار والتراب الساقط • وأجاب عليهم المفتون بترميم ما تخرّب من جوانب الكنيسة وتشبيد ما انحرف من الأماكن المعدة لدفن الأموات (١٤٥) •

والملاحظ من المصادر المعاصرة أن نظام الافتاء في مصر في هذه الآونة قد احتفظ الى حد بعيد بصورته النقية خالية من كل ما يعيبها من شوائب وربما مرد بذلك الى أن المفتين كانوا من كبار العلماء المصريين الذين تمتعوا بمكانة كبيرة في نفوس الشعب فضلا عن الحكام ، لذا فقد عملوا على المحافظة على صورتهم نقيّة ، كذلك الرقابة المفروضة عليهم من جانب زملائهم ومنافسيهم من العلماء الآخرين • وتعرضهم للنقد الشديد في حالة الشطط في الفتوى أو اثبات ما يسيء الى مناصبهم وقد كان المفتون خاصة والعلماء عامة هم الرقباء على القضاة وكذا على الحكام (١٤٦) •

وهناك العديد من المفتين الذين اشتهروا بالتقوى والورع وعدم المجاملة ، مثل « على بن محمد بن خليل الملقب نور الدين الحنفى » فقد نشأ له ولد وكان يميل اليه ميلا زائدا فعلمه العلوم • ثم ان هذا تغلغل في الهوى والفسق والفجور وتعرض لبعض حرم المسلمين فأفتى أبوه بقتله (١٤٧) •

كذلك اشتهر « على بن زين العابدين محمد بن على » الذى أصيب في بصره بسبب أن رجلا تزوج ووقع بينه وبين زوجته مشاجرة فطلقها ثلاثا ثم أدركه تعب فاستفتاه فأفتى بأنها لا تحل له الا بعد زوج آخر فتوعده بأن يقتله ان لم يردّها ، فلم يكثر بكلامه ولم يفته الا بما قال فجاء هذا الرجل وضربه بالسيف على رأسه حتى قام اهل الحلقة وضربوا هذا الرجل بالنعال حتى مات (١٤٨) •

وبذلك فقد كان المفتون لا يكثرئون بالتهديد والوعيد بل يقدمون فتاواهم طبقا للسوابق السابقة ومحاولة اخضاع القواعد للمتغيرات الجديدة بما يتناسب وروح العصر .

الموارد المالية للمفتين :

لما كانت وظيفة المفتى بشكلها القائم لا تتضمن اى مرتب فقد اعتبرها المتدينون ارقى من وظيفة القاضى . على أن المفتى من الناحية العملية كان يقوم بوجه عام بتحصيل رسم نظير ادلائه بالفتوى وكان هذا الرسم يتناسب مع ثروة الشاكي . ومثل هذه الرسوم التى يحتمل انها كانت توفر دخلا كافيا لصغار المفتين ولكن كبارهم فى المدن الكبرى كانوا يتبوأون مكانة ارفع من ذلك بكثير ويبدو أن السلطات العثمانية درجت على الابقاء على بعض الاشراف المالى على المفتين بمنحهم اعانات ووظائف ادارية مختلفة (١٤٩) .

وقد عمل كثير من المفتين فى وظائف نظارة الأوقاف وذلك حتى توفر لهم دخلا يتناسب مع ما لهذا المنصب من جلالة (١٥٠) كما كان بعض المفتين يحصلون على رواتب نقدية من الأوقاف مثل وقف الحرمين (١٥١) .

الانتاج الأدبى للمفتين :

لم تكن حياة المفتين مقصورة على الافتاء والتدريس بل كانت حياة مليئة بالانتاج الأدبى الذى مازال موجودا حتى الآن ما بين مخطوط ومطبوع يستفيد منه الناس ومنهم :

١ - محمد أبو السرور بن محمد أبى الحسن الملقب بتاج العارفين الجامع بين علمى الظاهر والباطن له الكثير من

المؤلفات منها رسالة رشيدة الألفاظ تتعلق بمباحث
آيات السبع المثاني (١٥٢) •

٢ - زين الدين بن نجيم أفتى ودرس في حينة أشياخه
وانتفع به خلأئق وله عدة مصنفات منها :

(١) شرح الكنز •

(ب) الاشياء والنظائر وصار كتابه هذا عمدة الحنفية
ومرجعهم (١٥٣) •

٣ - سالم بن محمد عز الدين السنهاورى المصرى المالكي
كان أجل أهل عصره من غير مدافع وهو مفتى المالكية
ورئيسهم واليه الرحلة من الآفاق واجتمع فيه من العلوم
ما لم يجتمع في غيره وله مؤلفات كثيرة منها :

(١) حاشية على مختصر خليل في الفقه •

(ب) رسالة في ليلة النصف من شعبان (١٥٤) •

٤ - عبد القادر بن عثمان الحنفى الشهير بالطورى (من
الطور) مفتى الحنفية بمصر من سادة أئمة الحنفية وكان
علما فاضلا فقيها أديبا وله وجاهة ونباهة في أنواع
العلوم وله تصانيف منها :

(١) شرح على الكنز في الفقه •

(ب) تكملة البحر الرائق •

(ج) كتاب في الأدب جمعه من نظمه ونثره سماه
الفواكه الطورية (١٥٥) •

٥ - عبد القادر بن محمد بن أحمد بن زين الفيومي المصري الشافعي جمع بين المعقول والمنقول وكان فقيها محدثا صوفيا ويعرف الحساب والهيئة والميقات والموسيقى ألف تأليف كثيرة منها :

(١) الشرح الكبير لمنهاج النووى .

(ب) الروض المذهب فى تحرير ما لخصته من فروع المذهب .

(ج) كتب على شرح البهجة وشرح النزهة فى الحساب .

(د) شرح المنظومة الشهيرة بالرحبية فى الفرائض .

(هـ) له نظم يتعلق بالتصوف والعقائد (١٥٦) .

٦ - مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكومى نسبة الى طور كرم مفتى الحنابلة بمصر وكان له العديد من التأليف هى :

(١) ديوان شعر .

(ب) مسبوك الذهب فى فضل العرب .

(ج) غاية المنتهى فى الفقه .

(د) الكواكب الدرية فى مناقب ابن تيمية .

(هـ) تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك فى رمضان .

(و) توضيح البرهان فى الفرق بين الإسلام والإيمان .

(ز) قلائد المرجان فى إلناسخ والمينسوخ من القرآن .

(ح) نزهة الناطرين فيمن ولم مصر من الخلفاء
والسلطين .

(ط) جامع الدعاء وورد النظام .

(اى) يدعي الانشاء والمراسلات (١٥٧) .

٧ - زين الدين أبو المعاطي حسن بن علي بن علي . كان
خطيبا بليغا ذكيا حاد الذهن له سعة اطلاع في العلوم
وله نظم رائع ومن مؤلفاته :

(ا) ديوان شعر هو على فضله عنوان .

(ب) شرح صفة القطب سيدى ابراهيم الدسوقي .

(ج) ألف كتابا في مناقب أستاذه الحفنى .

(د) حاشية على شرح شيخ الاسلام على البردة .

(هـ) الحلل السندسية على أسرار الدائرة الشاذلية .

(و) نظم الأهرية في النحو .

(ز) منظومة في تاريخ مصر (١٥٨) .

* * *

هوامش الفصل الخامس

- (١) عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون . المطبعة البهية . القاهرة د/ت . ص ١٩٥ .
- (٢) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى ، مرجع سابق ص ٧٧ .
- (٣) أبى عمر محمد بن يوسف الكندى : الولاة وكتاب القضاة - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م . ص ٣٦١ .
- (٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . ص ٥١٥ الصفحة الاولى من الفلاف .
- (٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة جامع الحاكم . ص ٥٧٣ ص ١ ، سجلات محكمة الزاهد . ص ٦٨٧ الفلاف . سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٣٨ من الفلاف .
- (٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . ص ١٧٩ ق ٦٦٥ ص ١٨٨ .
- (٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . ص ١٠٠ ص ٣٢١ .
- سجلات محكمة باب الشعيرية . ص ٦٤٩ ق ٧ ص ١ .
- (٨) الدميرى : مصدر سابق ، ص ٩٢ ، ص ١٠٣ .
- (٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ٢٣ ص ١ .
- (١٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ٢٣ ص ١ .
- (١١) محمود بن عرنوس : مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

- (١٢) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى مرجع سابق ، ص ٧٨ .
- (١٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . ص ١٣
- ق ٢٤ ص ٢٧ .
- سجلات محكمة الباب العالى . ص ٧٠ ق ١١٣٠ ص ٢١٤ ، ص ٦٣
- ق ١٤٨٩ ص ٣٩٢ ، ص ٨٦ ق ٦٣٩ ص ٩٨ .
- (١٤) د/ محمد نور لرحات : القضاء الشرعى مرجع سابق ، ص ٨٠ .
- (١٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٢٩ صفحة
الفلاف ، سجلات محكمة البرمسية . ص ٧٠٣ ق ٩٣٣ ص ٢٤٢ ، سجلات
محكمة بولاق . ص ٣٢ ق ١٧٨٠ ص ٥٦٦ .
- (١٦) الشهر العقارى : سجلات قناطر السباع . ص ١٢٦ ق ٢٧٢٣
- ص ٦٤٥ .
- (١٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . ص ١٣٣ ق ٣
- ص ٢ .
- (١٨) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالجية التجمية . ص ٤٩٢
- ص ١ .
- (١٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . ص ١٠٠
- ص ٣٢١ .
- سجلات محكمة الباب العالى . ص ١٥٣ ص ٩ ، محكمة الزواهد .
- ص ٦٧٨ ص ٤٦٩ .
- (٢٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . ص ٥٩ الفلاف ، الباب
العالى ص ١٥٧ مكرر ص ٦ ، سجلات محكمة جامع الحاكم . ص ٧٣٣ ق ٤
- ص ١ .
- (٢١) أحمد شلبي عبد الفنى : مصدر سابق ، ص ٢٠١ .
- عبد الرحمن الجبرلى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٤٠ .
- (٢٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق ص ٦٥ الصفحة قبل
الآخيرة .
- (٢٣) دار الوثائق : سلات محكمة دمياط . ص ٢٩ ق ١٢ ص ٦ .
- (٢٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . ص ١٢٣ ق ١٧٠٩
- ص ٣٥٧ .
- (٢٥) مصطفى بن فتح الله الحموى : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٧٥ .
- ٣٤٥

- (٢٦) نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٩ .
- (٢٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ١٥١ صفحة
الغلاف ، سجلات محكمة الصالح . س ٣١٥ ق ٣٢ ص ٨ ، س ٣٢١ ص ٢ .
- (٢٨) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٢٣٣ ص ١٩ .
- (٢٩) الشاذى : مهمته ان يسافر فى مصالح الوقف لجهاته الموقوفة
واحضار غلها . وكذلك اسندت اليه مهام رقابية وتاديبية ، من توقيع للجرائم
على ارباب الوظائف ، وكانت المهام الموكولة اليه تستلزم الشدة والحزم . انظر
د/ محمد عفيفى ، مرجع سابق ، ص ٩٩ .
- (٣٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٨٤ ق ١٦٠٠
ص ٣٣٠ ، سلات تقارير النظر . س ١ ق ٩٤١ ص ٩٩ ، س ١٢ ق ٤٧٢
ص ٦٩ ، س ٩ ق ٥٦ ص ٧ .
- (٣١) عبد الرحمن الجبرى ، مصدر سابق ، ج ٢ ص ٤٠٤ .
- (٣٢) الذهب الشريفى : بعد فتح مصر على يد السلطان العثمانى سليم
الاول أصبحت العملة الذهبية العثمانية تعرف باسم الشريفى وهو اشتقاق
لفظى من نفوذ سلاطين الممالك الجراكسة المتأخرين الذى عرفت بالقابهم
(الشرى - الاشراف او ظلت العملة حتى بعد فتح مصر بقرنين) انظر د/ احمد
السيد محمد الصاوى ، مرجع سابق ، ص ٤ .
- (٣٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٩١ ق ٨٦٧
ص ٣٨٥ ، س ٨٧ ق ٣٤٠ ص ١٠٥ .
- (٣٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ الصفحة الأخيرة .
- (٣٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٦٤ ق ١٨٩ ص ٩٢ .
- (٣٦) الشيخ احمد العريش : مصدر سابق ، اجابة السؤال السادس
ص ٤ .
- (٣٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٤٤
ق ٥٢٦ ص ٣٦٩ .
- (٣٨) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٣٠٧ ص ٣ .
- س ٢٧٢ ص ١ .
- سجلات محكمة بولاق . س ٦٨ ص ١ ، س ٧٠ ص ١ .
- (٣٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١١٤
ق ٥٥ ص ٤٧ .

- سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٥٤ ص ١ .
- (٤٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٧٠ ص ٢٩ .
- سجلات تقارير النظر . س ١٨ ق ١٤١٩ ص ١٩٩ .
- (٤١) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٨ ص ١ .
- (٤٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢١٤ ق ١ .
- ص ٣ .
- سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٣٠ ق ٣٢ ص ٢٢ .
- (٤٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٥٤
- ص ١ .
- سجلات القسمة العسكرية . س ١٤٤ ص ١ .
- (٤٤) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٤ ق ٣٠٣ ص ٢٨ .
- سجلات القسمة العربية . س ١٣٠ ق ٣٢ ص ٢٢ .
- (٤٥) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١ ق ١٤١٥
- ص ١٥١ ، س ٣ ق ٦٨٠ ص ٥٦ ، س ٤ ق ٣٠٣ ص ٢٨ ، س ١٠٩ ،
- س ٣ ق ٢٣٨ ص ٢٨ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٢٢٧ ص ١ .
- (٤٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٤٠ صفحة
- الغلاف .
- (٤٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٣٧
- ق ١ ص ١ .
- (٤٨) النظر الفصل الثانى : الاختصاصات القضائية للقضاة .
- (٤٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٧٠ ص ١ .
- (٥٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢٠٩ ص ١ .
- باب الشعرية . س ٥٩٦ ص ١ .
- (٥١) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩٦
- ص ١ .
- (٥٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٢٩ ق ٥
- ص ١ .
- (٥٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٩
- ق ١٥ ص ٤ .

- (٥٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٧٠، ص ١ .
- (٥٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشريعة . س ٥٩٦
ص ١ .
- (٥٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣٥٥ الصفحة
المواجهة للغلاف .
- (٥٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢٣٥ ق ٧٠
ص ٦١ .
- (٥٨) الشهر العقارى : سجلات الصالحية النجمية . س ٥١٦ ق ٤
ص ١ ، س ٥٢٠ ص ١ .
- (٥٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣٥٥ الصفحة
المواجهة للغلاف - محكمة بولاق . س ٦٤ ص ٢ من الغلاف - محكمة الزاهد .
س ٦٨٢ ص ٣٨ - محكمة قناطر السباع . س ١٤٠ صفحة الغلاف - الصالحية
النجمية س ٥١٦ ص ١ - محكمة الصالح . س ٣٦١ ص ٢ ، قسمة عربية .
س ٩٤ ص ٢ .
- (٦٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ ص ٣ من
الغلاف .
- (٦١) الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ ص ٣ من
الغلاف .
- (٦٢) دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . س ١٦ ق ٧٠٥ ص ١٣٢ .
- (٦٣) انظر الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ١٢ ق ٨٧١
ص ١٢٩ ، س ٣ ق ٧٩ ص ٧ .
- الديميرى : مصدر سابق ، ص ١٠١ .
- (٦٤) المباشرة : عرفت الاوقاف وظيفة « المباشرة » وعرف من يشغلها
باسم « المباشرة » وقد حرصت الاوقاف على أن يتمتع من يقرر في هذه الوظيفة
بصفات اخلاقية مثل العفة والامانة ومهام المباشرة هي أن يكون ضابطا لاصول
الوقف وعمارته ومصارفه التي عينها من غير تهاون فيها . وكذلك تدوين حساب
مستأجره ومستحقه . واعداد حساب شهري وسنوي للوقف وعلى المباشرة أن
يعرض الحساب السنوي للوقف أمام القضاة . انظر د/ محمد عفيفي عبد الخالق
مرجع سابق ، ص ٩٥ .

- (٦٥) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٣١٣ ص ٤٥ ،
س ٣ ق ٥٨ ص ٢٩ .
- (٦٦) الشهر العقاري : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٣١٢ ص ٢٦ ،
س ١ ق ٨٥٨ ص ٩١ .
- سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ٤٧ ص ٩ .
- (٦٧) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٢٤٧ ق ١
ص ١ .
- (٦٨) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٧٨ ق ١١٠٩
ص ٣٣٧ .
- محافظ الدشت . محفظة رقم ٢٦٣ لعام ١١٦٥/١١٦٦ هـ ١٧٥١/
١٧٥٢ ص ٥٤٥ .
- (٦٩) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٩ ق ٣٢٩ ص ٢٦٥ .
- (٧٠) الشهر العقاري : سجلات الباب العالي . س ٦٣ ق ١٠٩ .
ص ٢٢٣ ، س ٢٢١ ق ١١١ ص ٨٣ .
- (٧١) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٢٢٨ ق ٧
ص ٤ .
- (٧٢) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ١٦٧ ق ١٠١٥
ص ٢٧٠ .
- (٧٣) الشهر العقاري : سجلات محكمة تقارير النظر . س ١٤ ج ٢٠٦
ص ٣٦ .
- (٧٤) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٥٤٢ .
ص ١٠٩ ، س ١٧٩ ق ٦٦٦ ص ١٨٨ .
- (٧٥) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ١٧٣ ق ٤٦٤
ص ١٧٦ .
- (٧٦) الشهر العقاري : سجلات محكمة الباب العالي . س ٦٣ ق ٤٤٥
ص ٨٩ .
- (٧٧) دائر الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٨ ق ٢٢ ص ١٨ .
- (٧٨) قانون لامة : ص ٨٣ .
- (٧٩) ابن اياس : مصدر سابق ، ق ٥ ص ٢٤٣ وما بعدها .

- (٨٠) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٥ ق ٢٤ ، ص ١٦ ،
 — سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩٠ ق ٣ ص ١ .
 (٨١) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٤٦ ق ٦١٣
 ص ١٠٦ .
 (٨٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٩٤
 ص ١ .
 (٨٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣١٥ ق ٣٢
 ص ٨ .
 (٨٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٢٦
 ق ٢٧٢٢ س ٦٤٥ .
 (٨٥) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣١٢ اللاب .
 (٨٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة البرمشية . س ٧١١ ص ١ .
 (٨٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . س ١٠٠ ق ٣٩٠
 ص ١٨٦ .
 (٨٨) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . س ٢٧ ق ٣٢ ص ٢٤ .
 (٨٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٦
 ق ٤٦٤ ص ٢٥١ .
 — سجلات محكمة الرمشية . س ٧١٠ الغلاف .
 (٩٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٢٢ ص ٤٤٧٩
 قسمة عربية . س ١٣ ق ٤٥٢ ص ٣٢٥ .
 (٩١) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٦٣ ق ٢١٣ ص ٤٥ ،
 البرمشية . س ٤٧٠٣ ق ٩٣ ص ٢٤٢ .
 (٩٢) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . س ٣ ق ٢٦٤ ص ٢٢ .
 (٩٣) أحمد شلبي : مصدر سابق ، ص ٣٨٠ وما بعدها .
 (٩٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٢٢٨ ق ٢٢٩
 ص ١١٣ .
 (٩٥) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٦٧ ق ٢٣١
 ص ٧١ .
 (٩٦) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . ١٦٧ ق ١٦٤ ص ٥٠ .
 — سجلات تقارير النظر . س ٩ ق ٩٠٠ ص ٨٤ .

- (٩٧) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ٢٢٣ ق ٣٩٤
 ص ٢١٥
- (٩٨) الشهرى العقارى : سجلات الصالحية النجمية . س ٥٢٤
 ص ٤ .
- (٩٩) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ٧
 ص ٥ .
- (١٠٠) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . س ٢٧ ق ٦٧ ص ٣٤ .
- (١٠١) الشهر العقارى : محافظ الدشت . س ٢٦٣ ص ٥٤٥ لعام
 ١١٦٥ ، ١١٦٦ هـ ١٧٥١ ، ١٧٥٢ م .
- (١٠٢) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . س ١٥١ ق ٥٨٤
 ص ٢١٨ .
- (١٠٣) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . ١٢٣ ق ٣١٨ ص ٥٧ .
- (١٠٤) أحمد ابراهيم : أحكام التصرف من الغير بطريق النيابة . مطبعة
 العلوم القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٨٢ .
- (١٠٥) نفسه ص ١٨٦ .
- (١٠٦) قانون ثامة ص ٨٣ .
- (١٠٧) الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشمرية . س ٥٩ ق ١
 ص ١
- (١٠٨) الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٢٣ ق ٤٠
 ص ١٤ - سجلات محكمة الباب العالى . س ٦٣ ق ٤٣١ ص ٧٦ - سجلات
 القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ٧٥ ص ٤٦ ، س ٣٨ ق ٥٣١ ص ٣٢٠ ،
 ص ٤٣ ق ١٢ ص ٧ - سجلات القسمة العربية . س ١٠١ ق ١٣٨ ص ٩٠ .
- (١٠٩) دار الوثائق : محكمة دمياط . س ٣٨ ق ١٣٤ ص ٥٧ ، س ٣٩
 ق ١١٦ ص ٤٦ .
- (١١٠) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٩٦
 ق ٤٤١ ص ٢٤١ .
- (١١١) أحمد شلبى عبد الفنى : مصدر سابق ، ص ٣٨٠ .
- (١١٢) دار الوثائق : محكمة البحيرة الشرعية . س ٢٧ ق ٢٤٢
 ص ١٢٩ .

- (١١٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٤٨
ق ٢٠٣ ص ١٢١ ، س ٤٣ ق ٣٩٠ ص ٢٤٧ ، س ٤٤ ق ١٢ ص ١١ ، س ٧٩
ق ٦٣ ص ٣٩٠ .
- (١١٤) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٨٦ ق ١٤٨
ص ٢٥ .
- دار المحفوظات : محكمة دمياط الشرعية . س ٦ ص ٥٥ .
- (١١٥) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٤٣ ق ١٧٥
ص ١٠٣ ، القسمة العربية . س ١ ق ١٣٨ ص ٩٠ .
- (١١٦) الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ١٨ ق ٤٤٧
ص ١٨١ ، س ٤٣ ق ١٢ ص ٧ .
- (١١٧) دار المحفوظات : سجلات محكمة دمياط . س ٦ ق ٢٠٧
ص ٤٩ .
- (١١٨) دار المحفوظات : سجلات محكمة دمياط . س ٦ ق ٢١٧
ص ٥١ .
- (١١٩) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٨٦ ق ٣٥٦
ص ٥٣ .
- (١٢٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١ ق ٣٤
ص ١٠ .
- (١٢١) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٣ ق
ق ٢٥٧٠ ص ٤٩٦ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ١٢٢ ص ٧٢ .
- (١٢٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ١٥٣
ق ٩٢١ ص ١٨٣ .
- (١٢٣) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ٣ ق ٢٦٥
ص ٥٤ .
- سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٢٦ ق ٢ ص ٢ .
- (١٢٤) جب وبوين : مرجع سابق ، ق ١ ص ٢٥٨ .
- (١٢٥) د/ لى عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص ٢٩١ .
- (١٢٦) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

- (١٢٧) محمد بن أبي السرد البكري : النزعة الزهية . مصدر سابق ،
ص ٣١ .
- (١٢٨) مصطفى بن فتح الله الحمري : مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٢ ،
ص ٣٩ .
- (١٢٩) المحبى : مصدر سابق ، ق ٢ ص ٢٩٣ .
- (١٣٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجبية . ص ٤٧٨
ق ٣٤ ص ١١ .
- (١٣١) عبد الرحمن الجبرتي : مصدر سابق ج ٢ ص ٢٤٢ .
- (١٣٢) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالي . ص ٢١٤
ق ٢٩٤ ص ١٢٧ .
- (١٣٣) الشهر العقارى : سجلات تقارير النظر . ص ٣ ق ٧٣١ ص ٦٤ .
- (١٣٤) أحمد شلبي عبد الغنى : مصدر سابق ، ص ٣٨١ وما بعدها .
- (١٣٥) الجبرتي : مصدر سابق ج ٢ ص ٧٢ .
- (١٣٦) نفسه ج ٢ ص ٢٣ .
- (١٣٧) الجبرتي : مصدر سابق ج ١ ص ٤٨٢ .
- (١٣٨) نفسه ونفس الجبرتي ص ٤٨٥ .
- (١٣٩) دار المحافظات : سجلات محكمة الاسكندرية . ص ١٢ ص ٣١ .
- (١٤٠) دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة . ص ٢٥ ق ٣٥١ ص ١٩٣ .
- (١٤١) د/ محمد نور فرحات : القضاء الشرعى مرجع سابق ، ص ٨٧ .
- (١٤٢) جب بووين : مرجع سابق ، ق ١ ص ٢٥٩ .
- (١٤٣) دى شانول : مرجع سابق ، ص ١٩٦ .
- (١٤٤) الشهر العقارى - سجلات الباب العالي ص ٢٢٨ ق ١٩٦
ص ١٤٧ .
- (١٤٥) دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط . ص ١٦ ق ٧٢ ، ق ٧٢١
ص ١٣٧ .
- (١٤٦) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالي ، ص ٣٠٩
ص ٢٧٩ .
- سجلات محكمة القسمة العسكرية . ص ١٤٢ ق ١٦٤ ص ١٣٢ .
- (١٤٧) المحبى : مصدر سابق ، ق ٣ ص ١٨٤ .

٣٥٣

(م ٢٣ - تاريخ القضاء)

- (١٤٨) النجى : مصدر سابق ، ق ٣ ص ١٥٨ ،
(١٤٩) جب/ بووين : مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .
(١٥٠) الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . ص ٦٣
ق ١٠١٧ ص ٢٤١ ، ق ١٤٠٦ ص ٢٣١ .
- دار الوثائق - سجلات محكمة دمياط . ص ٥١ ق ٢٤ ص ٨ ، ص ٦٥
ق ١٩٩ ص ١٠٨ .
(١٥١) الشهر العقارى : سجلات الباب العالى . ص ٦٣ ق ٥٧٥ .
ص ١١٩ .
- سجلات تقارير النظر . ص ٩ ق ٣١٧ ص ٤١ .
(١٥٢) مصطفى بن فتح الله الحموى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٢٩ .
- النجى : مصدر سابق ، ج ١ ص ١١٧ .
(١٥٣) الفزى : مصدر سابق ، ج ٣ ص ١٥٤ .
(١٥٤) النجى : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٢٠٤ .
(١٥٥) نفسه ، ج ٢ ص ٢٤٢ .
(١٥٦) النجى : مصدر سابق ، ج ٢ ص ٤٥٦ .
(١٥٧) محمد سييد كيلانى : مرجع سابق ص ٢٨١ .
(١٥٨) الجبرنى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٣٣٧ .

الخاتمة

نعتبر دراسة موضوع القضاة في مصر في العصر العثماني على قدر كبير من الأهمية ، وذلك لأنه بعد أن كان القضاة يعينون من قبل سلطان مصر أصبحوا بعد الفتح يعينون من قبل قاضي عسكر الأناضول وذلك تبعاً لتغير مركز مصر فبعد أن كانت مركزاً للدولة كبرى أصبحت مجرد ولاية تابعة للدولة كبرى تضم العديد من الولايات .

ومما يجدر ذكره إن العثمانيين عند دخولهم مصر وجدوا الاضطرابات تسيطر على كافة مناحي الحياة ولاسيما أحوال القضاة وذلك كانعكاس لتدهور أوضاع الدولة المملوكية كذلك فقد تداخلت اختصاصات قضاة الشرع مع اختصاصات قضاة السياسة ولم يعد هناك حد فاصل بين الاثنين وانتشرت الرشوة والمحسوبية في التعيين . وعند دخول العثمانيين مصر أدخلوا العديد من الإصلاحات في هذا المجال وعلى رأسها جعل المذهب الحنفي المذهب الرسمي في القضاء ، وهذه التغيرات من التغيرات النادرة التي أدخلها العثمانيون في البلاد .

وقد انتهت الدراسة الى نتيجة مهمة مؤداها أن اختصاصات القضاة في مصر في العصر العثماني ظلت ثابتة طوال فترة الحكم العثماني للبلاد ، ولم يحدث بها سوى تغييرات طفيفة في نهاية القرن الثامن عشر وأدى الحفاظ على هذه الاختصاصات طوال العصر العثماني الى نوع من الجمود .:

كذلك فقد وضعت الدولة العثمانية شروطا علمية لمن يتولى منصب القضاة منها أنه لا بد أن يمر بمراحل تعليمية معينة بمدارس استانبول وقدمت هذه الشروط خدمات جليلة فقد منعت ضعف العلم والنفوس من تولى هذه المناصب ، ولكن في القرن الثامن عشر أصاب الجمود نظم التعليم في الدولة العثمانية وانعكس ذلك بدوره على أوضاع القضاة وتعليمهم وبذلك تسرب اليها الضعف .

وئمة ملاحظة وهي أن قوة القضاء ونظمه وأوضاع القضاة مرتبطة دائما بقوة الدولة ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت أوضاع القضاة مستقرة ونظمهم ثابتة ولكن انعكست أوضاع الدولة في القرن الثامن عشر وهزائمه المتكررة على أوضاع القضاة ونظم التقاضي فبدأ الضعف يتسرب اليها .

وقد حافظ العثمانيون على التقليد الاسلامي الذي يقضى بأن يتولى الحاكم (الباشا) القضاء في أمور الخراج والجنايات واقتصرت سلطة القضاة في هذا المجال على التحقيق فقط أما سلطة الحكم واتخاذ القرار فقد كانت في يد الباشا وللحق فقد كان بعضهم ضعيفا في الأمور الشرعية مما ترتب عليه الوقوع في اخطاء فقهية في الأحكام .

واشرف قضاة العسكر في مصر على الأوقاف وتعيين موظفيها وكذلك محاسبة ناظرها عما أنفق وعما جبي من أموال الأوقاف واذا كانت هذه الأوقاف تقوم بما أسند اليها من المهام التي رصدت من أجلها أم لا ؟ وقد قدم هذا الاشراف نوعا من الرقابة الشديدة على الأوقاف وبذلك فقد قامت بالمهام التي رصدت لأجلها خير قيام .

وقام قضاة العسكر في مصر بدور بارز في الحياة السياسية في البلاد فقد كانوا أعضاء في الديوان كذلك كانوا يقومون بدور كبير في الوساطة السياسية بين الأطراف المتنازعة في البلاد .

ولكن يلاحظ أن قاضي العسكر شارك مشاركة فعلية في بعض
الفتن مثل فتنة أفرنج أحمد ولكن كانت مشاركته في صف الباشا
الممثل الشرعى للسلطان ، وفيما عدا هذه الفتنة فقد كانت نظرة
جميع القوى المتصارعة اليه على أنه الرجل الثانى فى التنظيم
العثمانى فى مصر وأنه الوحيد القادر على القيام بالوساطة بين هذه
الأطراف المختلفة نظرا لمكانته .

وبالرغم من سيطرة الصناجق المماليك على الحياة السياسية
فى مصر فى القرن الثامن عشر وتسلمهم على الباشوات بالعزل فقد
كانوا يقدمون الاحترام والولاء لقضاة العسكر وربما كان السبب
فى ذلك راجعا الى عدم رغبتهم فى إثارة السلطات عليهم لعزل
الممثل الشرعى له فى الأمور الشرعية بما يحمله من مكانة كبرى فى
زمن تسود فيه الشريعة وتعتمد فيه الدولة على العامل الدينى فى
تجميع رعاياها حولها .

وبخرج البحث بنتيجة مهمة حول انتشار الرشاوى فى أحكام
القضاة ، فكما يبدو من خلال سجلات المحاكم الشرعية أن القضاة
كانوا ينظرون الى المتقاضين نظرة واحدة لا يفرقون بينهم من حيث
المنصب ولا الغنى ، وكثيرا ما كانوا ينصفون رجلا فقيرا ضد خصمه
العسكرى ما دام معه الحق . ولم تمدنا المصادر المختلفة لهذا
العصر بتناول القضاة للرشوة الا فى مثال واحد لذا لا يصح أن
نعمم عليه أن القضاة كانوا مرتشين . ومما ساعد على عدم
انتشار الرشوة خضوع القضاة لرقابة شديدة الوطأة من جانب
العلماء منافسيهم التقليديين .

كذلك نلاحظ أن قضاة العسكر فى مصر كانوا يتكلمون اللغة
العربية بطلاقة ول بعضهم مؤلفات فى الأدب العربى والفقه والتفسير .

وذلك لأنهم كانوا يتعلمون العلوم المختلفة في مدارس استانبول باللغة العربية مثل النحو والصرف والفقه والتفسير وغيرها من العلوم الإسلامية .

واعتقادى أنه يتعذر فهم القضاء القنصلى في مصر في القرن التاسع عشر ما لم نعد الى جذوره في العصر العثمانى حيث تمتع الأجانب بحق اللجوء الى قناصلهم في بعض القضايا ، ولكن هذا الأمر لم يكن يمثل خطرا على سيادة الدولة لأنها كانت قوية يخشى جانبها أما بعد ضعفها فقد طمع فيها أعداؤها المتربصون بها وظهر القضاء القنصلى بوجهه البغيض في القرن التاسع عشر وتفرع عنه المحاكم المختلطة .

وثمة موضوع آخر يمكن دراسته وهو موقف الشعب المصرى من الاصلاحات القضائية التى أدخلها العثمانيون ، وموقفهم من القضاة العثمانيين بل من الادارة العثمانية في مصر .

وعند الغزو الفرنسى عام ١٧٩٨ م كان قاضى العسكر ضمن من فروا من البلاد ، لذا فقد عين الفرنسيون الشيخ أحمد العريشى قاضيا للعسكر في هذه الفترة وقام الفرنسيون بادخال بعض الاصلاحات الشكلية في نظم التقاضى السائدة في البلاد مثل التحقيق وكتابة حيثيات للحكم وما الى ذلك ولكن بعد خروج الفرنسيين من مصر عاد النظام القضائى فيها كما كان وعاد قاضى العسكر العثمانى ، ولكن أدخلت بعض المحاكم الجديدة ، واعتقادى أن الحملة الفرنسية تمثل الفترة الانتقالية في أوضاع القضاة ما بين العهد العثمانى وعهد محمد على وخلفائه الذين حاولوا التملص من السيطرة العثمانية على القضاء . وعملوا على وضع العراقيل أمام قاضى العسكر العثمانى . وبدأوا في سن القوانين المختلفة المستمدة من أوربا وبدأوا في إلغاء المحاكم الشرعية .

الملاحق

ملحق رقم (١)

تعيين قاضى العسكر

يوم الجمعة المبارك ثانى شهر جمادى الآخرة سنة سبع وألف من الهجرة المحمدية ورد فيه الخبر بان الصدقات الخندكارية أيد الله عظمتهما وجدد في الدهور معدلتهما أنعمت بقضاء مصر المحروسة على مولانا شيخ مشايخ الاسلام انسان عبر الموالى العظام قطب فلك العقول والافهام محمد أفندى الشهير ببحتى أدام الله تعالى رفعة وعمم أقطارها بمزيد عدله وأيد عزته وأقام مقامه مولانا جمال الشهير بالكفل دامت رفعة وزيدت مسرته .

ملحوظات :

- مكان الوثيقة — الشهر العقارى — سجلات الباب العالى
س ٩٠ ص ٨١ .
- يتضح من ذلك أن قرار تعيين قاضى العسكر كان يصدر من السلطان مباشرة بناء على ترشيح قاضى عسكر الأناضول له .
- كان قاضى العسكر يرسل قائمقام يحل محله الى حين حضوره .

ملحق رقم (٣)

تعيين القسام العسكري

يوم الأخذ المبارك ثالث عشرين صفر الخير سنة ٩٩٠ هـ وفيه قدم سيدنا ومولانا ابراهيم أفندي بن مولانا علاء الدين الشهير نسبه الكريم بابن المرعس قساما عسكريا بمصر المخيمية من قبل سيدنا ومولانا علامة الأمم أفصح علماء العرب والعجم حضرة مولانا قاضي قضاة العساكر المنصورة بولاية أناضولي دامت رفعتة وعظمت مسرته الى يوم الدين .

بمحمد واله أمين والحمد لله وحده

ملاحظات :

- ١ - مكان الوثيقة - الشهر العقاري - سجلات محكمة القسمة العسكرية س ١٢ - ص ٢٢٠
- ٢ - يتضح من ذلك أن قاضي عسكر الأناضول هو الذي يعين القسام العسكري فهو نائب له .

ملحق رقم (٤)

تعيين شيخ الطائفة

لما حضر لدى مولانا قاضي القضاة شيخ الاسلام جماعة التجار بسوق العطر بالفحامين بسبب مشيخة سوقهم المذكور وبعضه طلب محفوظ الزرنيجي وبعضهم طلب ابراهيم بن الجمال طال القيل والقال واشرف الأمر على الاختلال فأحضر مولانا قاضي القضاة بعض مفردات من العطر الموضوع بدكاكين أهل السوق ووضعه بين يديه في المجلس العام وعرضه على محفوظ وابراهيم

المذكورين بحضرة أهل السوق فلم يعرفه واحد منهما وكان في المجلس من جملة تجار السوق المذكور الشيخ نور الدين علي بن الشيخ نور الدين الباواني فسئل منه عن المفردات فذكرها فردا فردا ثم اختبره حضرة قاضي القضاة وامتحنه في غير ذلك فيما يتعلق بالعطر والأعشاب فأحسن الجواب واتضحت أهليته وتبين كونه أولى وأليق وثبت أنه أخرى وأحق فعنده ذلك قرره حضرة قاضي القضاة ونصبه وأقره شيخا على تجار السوق المذكور أسوة من تقدمه في ذلك وضح محفوظ المزبور وإبراهيم المذكورين من التعرض في ذلك وأبطل العمل بما يخالفه من الآن لما ظهر بعد الامتحان جرى ذلك في ثامن عشر شوال سنة ثلاث وألف .

ملحوظات :

— مكان الوثيقة — الشهر العقاري — سجلات محكمة الباب العالي ص ٦٣ ق ٢٧٩ ص ٧٧ .

يتضح من ذلك الآتي : كان يتم تعيين شيخ الطائفة أمام القاضي الذي يقره في عمله في نفس الوقت يمنع المعارضين له من التعرض له في عمله .

وفي حالة تقدم أكثر من مرشح لمشيخة الطائفة يقوم قاضي العسكر باختبار المرشحين في مواد صناعة الطائفة حتى يمكن اختيار الأجدر والأكثر فهما لأمر حرفة حتى يمكنه منع الغش والتدليس .

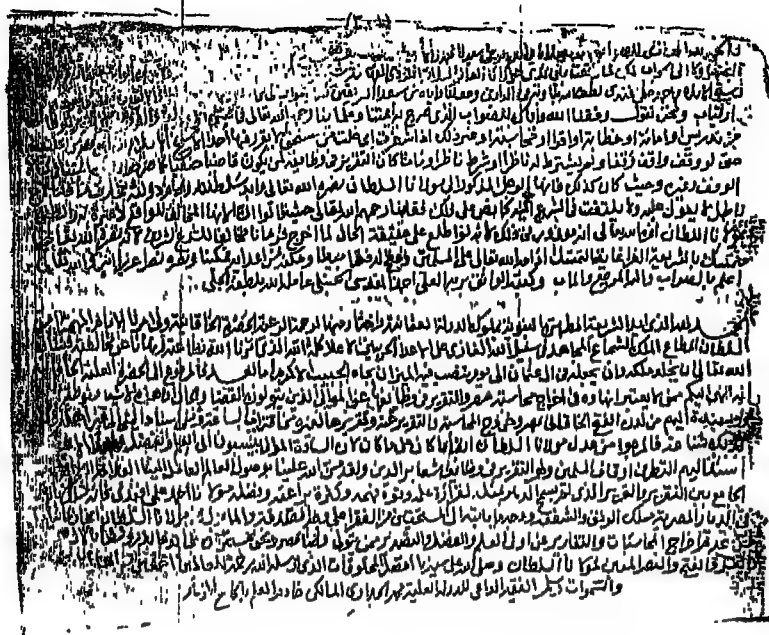
ملحق رقم (٥)

بمصاب تبصاة الشرايين على الراس

ولاية المنوفية

وفتقر بما راعه
 انشا الله تعالى على بحر الجسر الساطع والبلدية
 باقليم المنوفية حسب الامر العالي المحلة من حضرة
 مولانا المقام العالي المعظم واوديا بشا دامت مدته
 وزادته رتبته بالهكم العالي الذي معتمونه بعد التسليم
 المشعوب للرئيسوم بالاشراف العالي المكي . اعلنا الله
 تعالى وابعدنا وابعدنا الى كل واقف على امر الجناح العالي الخاتم
 السريعي بالمنوفية وقابله بذلك المخلص العالي الكاشف
 بالاطليم والاسير محمد ابن فخراد شيخ العرب بتقنين اعمالهم
 ان لا يتخلفوا بلقت خواطرها للاسم الى ما فيه فارة الجناح
 والاطليم وحصول الرتب الكامل الكامل لسائر بلاد الاقاليم
 والبلديات وذلك الاياتفاق عمل الجسر السلطانية
 والبلديات ويحتاج الحال في ذلك الى المشي على ما
 الجسر السلطانية والبلديات بالاطليم وبحر الجسر
 عز منه ويمنه وطوله وما يجعل له أنفع في جردته والذي
 عادة جردته على الجردة السلطانية والذي جردته على
 العالي النواحي ومقدار ما يصرف على الجسر السلطاني
 وما تحت كل جسر من البلاد وما يروي منه والجسر
 الذي فعل هو من ملازم الغلاحيين جميع الجسور والرياق
 والاوقاف او فعل هو محتسب كجاعة مغنين ونقل المصلحة
 العامة والنفع في مساويكها الشاحية في الحق ام لا وبحر الجسر
 في الزميمة وكثايله لا جسر على حدته الكساحي في على حد
 والبلديات على حدته وشيئين ما في الاقليم من الجسر الذي تركت
 بغير جردته حتى استندت وبيعت والسبب الموجب تركها
 بغير جردته ومدة ذلك ونقل اذا عمر تلك الجسر يعوق فنتجها
 بما بين جردته وعمارته في القديم ام لا وهل المصلحة في بقاءه
 على ما هو عليه او عمله وما كان عليه الحال في عمارته القديمة
 وهل عمارته على النواحي الشريفة وعلميه وعلى الاوقاف
 او علميه خاصة او على من يروي منه وبحر الجسور
 ايضا فالكواحي يساير الاقليم وما يروي من الجسر وما
 يروي من البحر وما هو مستعمل منها في ما هو مستعمل
 المسدود ومصلحة او انشاؤه على ما هو عليه اصل من جردته
 الجناح العالي الاميركي الكبير في الاوحد في الاجامح

والله اعلم بالصواب



ملحوظات :

— مكان الوثيقة : الشهر العقاري - سجلات الباب العالي
٢٠٩ ، ص ٣٧٩ .

تـ يلاحظ من ذلك الاشراف الكامل للقضاة على الأوقاف
رغم المحاولات التي بذلت لاجراء ذلك من تحت أيديهم .

— فشلت المحاولات التي بذلت لاجراء الأوقاف من تحت
اشراف القضاة برغم المراسيم السلطانية التي أمرت بذلك
ويرجع هذا الى موقف العلماء المساندين للقضاة والذين
سياندوا القضاة في موقفهم وافتوا بعدم جواز ذلك .

قائمة الاختصارات

ما بين علامتى التنصيص مادة مستقاة من مصدر	
س	سجل
ق	وثيقة
ص	صفحة
ج	جزء
ط	طبعة
م.م.ع	الهيئة المصرية العامة للكتاب
B.S.O.A.S	Bultine of the school oriental and African tudies.

* * *

الفهرس

الصفحة

٥	تقديم
١٣	المقدمة
١٩	الفصل الأول : القضاة في الدولتين المملوكية والعثمانية
٢١	— القضاة في مصر في العصر المملوكي
٤٧	— القضاة في الدولة العثمانية
٦٨	— هوامش الفصل الأول
٨١	الفصل الثاني : الاختصاصات القضائية للقضاة في مصر
٨٤	— قاضى العسكر واختصاصاته القضائية
٩٥	— قضاة الشرع في الأقاليم واختصاصاتهم القضائية
١٠٣	— القسام
١٠٤	(أ) القسام العسكرى واختصاصاته القضائية
١١٥	(ب) القسام العربى واختصاصاته القضائية

الصفحة

١٢٦	القضائية	قضاة الأخطاء في القاهرة واختصاصاتهم
١٣٦	الباشا العثماني واختصاصاته القضائية	
١٤١	انحسار الولاية القضائية للقضاة	
١٥١	هوامش الفصل الثاني	
١٧٥	الفصل الثالث : الدور الإداري والسياسي للقضاة	
١٧٧	أولا : الدور الإداري	
١٧٨	الدور الإداري لقضاة العسكر	
١٩١	الدور الإداري لقضاة الشرع في الأقاليم	
٢٠٥	ثانيا : الدور السياسي	
٢١٠	دور القضاة في الوساطة السياسية	
٢١١	موقف القضاة من فتنة السبائية	
٢١٥	موقف القضاة من فتنة أفرنج أحمد	
٢١٨	هوامش الفصل الثالث	
٢٣١	الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقضاة	
٢٣٣	أولا : الحياة الاجتماعية	
٢٣٤	الأصول الاجتماعية للقضاة	
٢٣٩	علاقة القضاة بالطبقة الحاكمة	
٢٤٥	علاقة القضاة بالشعب المصري	
٢٥١	تعليم القضاة ونتاجهم الأدبي	
٢٦١	ثانيا : الحياة الاقتصادية للقضاة	
٢٦٢	أولا : الموارد المالية للقضاة	
٢٦٢	الرسوم القضائية للقضاة ومرتباتهم	
٢٦٨	الأنشطة الاقتصادية للقضاة	

الصفحة

٢٧٣	... ثانيا : الاختصاصات الاقتصادية للقضاة
٢٧٣	... - الاشراف على الأوقاف
٢٨٧	... - هوامش الفصل الرابع

الفصل الخامس : معاونو القضاة

٣٠١	... - العدول
٣١٠	... - الكتاب
٣١٧	... - الخبراء
٣١٩	... - كشاف الأوقاف
٣٢١	... - المحضرون
٣٢٥	... - الانكشارية
٣٢٦	... - أمناء السجلات
٣٢٧	... - الترجمان
٣٢٩	... - وكلاء الدعاوى
٣٣٤	... - المفتون
٣٤٤	... - هوامش الفصل الخامس
٣٥٥	... - الخاتمة
٣٦١	... - الملاحق
	... - ملخص الرسالة

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ :
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى ،
عليه عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية ،
د. علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - آكلوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي ،
د . على حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د . محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د . على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د . أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام
التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩

- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين ، ترجمة : د. أحمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د. حلمى أحمد شبلبي ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقى : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠

- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى في العصر
العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨
د. عبد المنعم الدسوقي الجيمى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشى ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١

- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الاعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) اعدتها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر ،
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢
- ٥٣ - اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبي ، ١٩٩٢
- ٥٧ - مصر الاسلامية واهل الذمة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

- ٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمى المطيعي ، ١٩٩٣
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي ،
د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
حامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل النعمة في الاسلام ،
تأليف : س. س. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ،
ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر
في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
أمينة أحمد أمام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل النعمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د. سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د. سعيد اسماعيل علي ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٤

- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قنيسة السويس والتنافس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى
نصر أكتوبر ،
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرة الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤)
د. أحمد الشرييني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التلوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥

- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف: بيتر مانسفيلد : ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د. نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)
ج ٢ ،
د. سهر اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد

- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى -
الرومانى) ج ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
١. د. عبد العزيز صالح ، ١. د. جمال مختار ،
١. د. محمد ابراهيم بكر ، ١. د. ابراهيم نصحي ،
١. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : ١. د. عبد العظيم
رمضان
- ١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد
كفافي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور
- ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،
د. تيسير أبو عرجة
- ١٠٣ - رؤية الجبروتى لبعض قضايا عصره ،
د. على بركات
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد
- ١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ -
١٩٨٧) ،
د. أحمد فارس عبد المنعم
- ١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
فى ربع قرن ، ج ٢ ،
د. سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية فى العصر الحديث ،
تأليف دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد الجمال
- ١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش

- ١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥
سليم خليل النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ١ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ٢ ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي
د. محمد، محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصرى)
د. اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح
- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق ~~مصرية~~) ،
علاء الدين وحيه

رقم الإيداع ١٩٧٧/١٩٧٨

الترقيم الدولى 6 — 5288 — 01 — 1977 I.S.B.N.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

هذا الكتاب قام الباحث بتقسيمه إلى خمسة فصول،
عالج في الفصل الأول منها نظام القضاء في الدولتين
المملوكية والعثمانية، وعقد مقارنة بين النظامين، أما الفصل
الثاني، فتناول فيه الاختصاصات القضائية في مصر في العصر
العثماني، وحدودها وتوزعها بين القضاة من جهة والوالي
العثماني من جهة أخرى.

وفي الفصل الثالث تناول الدور الإداري والسياسي للقضاة،
واختصاصات القضاة العسكريين، واختصاصات قضاة الشرع، في
الأقاليم، أما الفصل الرابع فتناول فيه الباحث الحياة
الاجتماعية والاقتصادية للقضاة، وأصولهم الطبقية، وحياتهم
العلمية ومراتبهم. وفي الفصل الخامس والأخير تناول الجهاز
المعاون للقضاة من الشهود والكتبة والوكلاء والخبراء وأمناء
السجلات والانكشافية والمحضرين، والاختصاصات المنوطة
بكل منهم.